

جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهرارز - فاس



مركز دراسات الدكتوراه: الجماليات وعلوم الإنسان
تكوين الدكتوراه:
Interface, Ressources, Sociétés et Dynamiques Territoriales
تخصص: جغرافيا

التراث العمراني بمدينتي فاس ومكناس القديمتين: المقومات والتنمية المحلية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

تحت إشراف الأستاذة:

ماجدة صواب

إعداد الطالبة الباحثة:

فاطمة الزهراء بوجدي

ر.و.ط: 2399778407

السنة الجامعية: 2019-2020

إهداء

إلى من قال في حقهما سبحانه وتعالى:

"وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما، فلا تقل لهما أفه ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا".

صدق الله العظيم.

✍ إلى من ضحت براحتها من أجل تنشئتي وإسعادي .. إلى معني العنان والتفاني ...
✍ إلى بسمه الحياة وسر الوجود .. إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي ...
(أمي الحبيبة)

✍ إلى من كلفه الله بالهيبة والوقار .. إلى من علمني العطاء بدون انتظار ...
✍ إلى من أحمل اسمه بكل افتخار .. أرجو من الله أن يمد في عمرك لتري ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار ..

(أبي العزيز)

✍ إلى سندي في الحياة ورفيقي دربي زوجي العزيز الأستاذ **محمد الرفيق**، الذي ساعدني ومدني بالعزيمة والأمل والصبر، و كان دائما يشجعني على إتمام دراستي.

✍ إلى قرة عيني وحبيبة قلبي ابنتي الحبيبة **إسراء الرفيق**.

✍ إلى **أساتذتي** وكل من علمني حرفه.

✍ إلى إخوتي.

✍ إلى كل الأصدقاء والصديقات وطلبة الجغرافيا.

✍ أهدي هذه الأطروحة المتواضعة لكل من ساهم في إنجازها من قريب أو بعيد وليحفظ الله الجميع...راجية من المولى عز وجل أن تجد القبول والنجاح أقدم باقة شكر وامتنان.

كلمة شكر

لأبد ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود بها إلى أعوام قضيناها في رحابها مع أساتذتنا الكرام، الذين قدموا لنا الكثير باذلين جهودا كبيرة في بناء جيل الغد وإثارة طريق البحث العلمي، حيث أقدم لهم الشكر الجزيل، وأخص بالذكر الأساتذة :

✍ أتقدم بالشكر و الامتنان للدكتورة ماجدة صواب التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث، وخصصت جزءا مهما من وقتها وملاحظاتها، فلما مني كل الشكر والتقدير.

✍ كما أتقدم بجزيل الشكر وفائق التقدير والاحترام إلى للدكتور اليزيد علمي حمدوني رمز التضحية العطاء دون مقابل، الذي نكن له كل الاحترام والتقدير، والذي مهما قلنا فيه لن نوافيه حقه.

✍ كما أتوجه بجزيل الشكر وفائق التقدير والاحترام إلى للدكتور بوشني الخزان مهما استطاعت الكلمات أن تحمل من معاني ودلالات، فإنها تبقى دون أدنى شك غير وافية بالمقصود وغير معبرة وواصفة بأمانة ما يستحقه أستاذي وموجهي صاحب الفضل الكبير،

✍ كما أتوجه بالشكر إلى جميع أساتذة مختبر الدراسات الحضرية، والذين اكتسبت منهم حب البحث عن المعرفة، الدكتور حسن ضايض، محمد شوقي، امحمد المولودي...والى كل طلبة الجغرافيا، وكل من ساهم من قريب أو بعيد في إخراج هذه الأطروحة إلى الوجود.

فلهم أجدد شكري الجزيل على ما قدموه لي من نصائح وإرشادات ساهمت في إنماء فكري، وحفزتني لأنم بحثي على أكمل وجه، فجزاؤهم الله عني خير الجزاء.

فاطمة الزهراء بوجدي

ملخص:

يحظى التراث العمراني بأهمية كبرى لدى المجتمع الدولي والمجتمعات المحلية، لما يحمله من قيم إنسانية ووطنية متعددة، ويعتبر مصدرا للدخل القومي، وأساسا للتنمية الاقتصادية والمحلية والمحافظة على الهوية الثقافية.

ويزخر المغرب بتراث عمراني غني ومتنوع بفعل العمق التاريخي والتلاقي الحضاري. وقد صنفت العديد من مدنه إرثا للبشرية جمعاء. وفي هذا الإطار تمثل المدن القديمة المركز الأساسي للتراث الوطني، حيث تم تسجيل العديد منها كمواقع ومعالم تاريخية ضمن لائحة التراث العالمي.

وتعتبر مدينتا فاس ومكناس من أهم المدن المغربية على الصعيد الوطني، اللتان اشتهرتا بتاريخهما وتراثهما العريق، خصوصا بعد تصنيفهما كتراث عالمي من طرف منظمة اليونسكو.

إن الوضعية المتدهورة التي تعيشها المدينتين معا، خصوصا بعد توالي الانهيارات سواء على مستوى بعض المآثر التاريخية أو على مستوى المباني، عجلت بوضع مجموعة من البرامج والمشاريع من أجل إنقاذهما ورد الاعتبار لهما والحيلولة دون وقوع ضحايا جدد على مستوى الأرواح.

فتدهور النسيج القديم بهاتين المدينتين، ليس ناتجا فقط عن عامل أو عاملين، بل هو حصيلة لمجموعة من العوامل المترابطة والمتداخلة فيما بينها في إطار علاقة تأثير وتأثر، التي ساهمت إلى حد كبير في اندثار وانهيار مجموعة من المعالم التاريخية بهما.

وأمام حدة التدهور الذي عرفته المدينتين خلال العقود الأخيرة، تم تبني مجموعة من الخطوات والإجراءات العملية لمعالجة هذه الإشكالية، تتجلى في إعادة تأهيل المآثر التاريخية، وبرنامج معالجة السكن الآيل للسقوط، عبر تأهيل جزء من المظهر المعماري القديم، وتحسين ظروف عيش الساكنة المستهدفة وتمكينها من الخدمات الضرورية.

ومن شأن مختلف هاته البرامج المدرجة في إطار مقاربة إعادة رد الاعتبار للمدينتين، أن تساهم في تحسين المشهد الحضري، وتحقيق التنمية السوسيو-اقتصادية للساكنة المحلية، والحفاظ على الطابع العريق والأصيل لهاتين الحضارتين العريقتين.

Abstract:

Urban heritage is of great importance to the international and local communities; firstly, because of the various human and national values it embodies Secondly, because it is considered a source of the national income. Thirdly, it is essential for the economic and the local development, as well as for the protection of the cultural identity.

Morocco is loaded with a rich and varied urban heritage due to its historical depth and cultural convergence. It has classified many of its cities as World Heritage Sites and a legacy to all mankind. In this context, the ancient cities are the main pillar of the national heritage, as many of them have been recognized as historical sites and landmarks within the World Heritage List.

The cities of Fez and Meknes are among the most important Moroccan cities at the national level. They are famous for their history and ancient heritage, especially after they were classified as a world heritage by the UNESCO.

The deteriorating situation that the two cities endure together, especially after the succession of collapses, whether at the level of some historical monuments or at the level of buildings, the thing that precipitated the establishment of a set of programs and projects in order to prevent and rehabilitate them as well as to protect human lives from this collapse.

The damage of the old fabric in these two cities, is not only the result of one or two factors, rather, it is the outcome of a group of interconnected and interrelated factors, in the context of effect and affected relationship, which contributed greatly to the extinction and collapse of a group of historical monuments.

Faced with the severity of the deterioration experienced by the two cities during recent decades, a set of practical steps and procedures were adopted to address this problem, which is reflected in the rehabilitation of historical monuments and the treatment program for fallen housing, through the restoration of some old architectural appearance, and improving the living conditions of the target population and enabling it to benefit from necessary services.

These programs, which are included within the framework of the reconsideration approach of the two cities, would contribute to improving the urban scene, achieving socioeconomic development of the local population, and preserving the ancient genuine character of these two-ancient civilizations.

مقدمة عامة

يعد التراث ثروة وطنية تعتر به كل أمة. فهو مبعث فخرها، وجزءا من ذاكرتها، ودليل على عراققتها وأصالتها، ومعبّر عن هويتها وصلة وصل بين ماضيها وحاضرها. فحضارة أي شعب لا يمكن أن تقوم بدون تراث. فهو يحفظ للأمة كيانها وبقائها، وهو يشمل الموروث المادي وغير المادي.

وتكمن أهميته في إعطاء الشعوب هوية خاصة بها، التي تميزها عن الأخرى؛ فكل شعب له إرثه وتراثه الخاص به، الذي توارثه من جيل إلى آخر. فالتراث هو المحدد الأول والأخير لثقافته وأحد ركائز هويته.

ويعتبر موضوع التراث من الموضوعات التي كثر تداولها حاليا، والذي طالما حظي باهتمام الباحثين والمؤرخين، حيث عكفوا على كتابة الدراسات والتوثيق اللازم لحفظه وبقائه. ذلك أن الحفاظ على التراث - كان ولا يزال - نواة المفهوم الجديد للتراث العالمي، الذي تضمنته اتفاقية التراث العالمي الثقافي والطبيعي الصادرة عن منظمة اليونسكو سنة 1972.

وقد تزايد الاهتمام بالتراث لدى شعوب العالم خلال السنوات الأخيرة، باعتباره يشكل الهوية الثقافية التي تميز شعبا عن غيره. فتم عقد العديد من الندوات والملتقيات، وتأسست العديد من المنظمات والجمعيات التي تتادي بالحفاظ على التراث الإنساني.

ويحظى التراث العمراني بأهمية كبرى لدى المجتمع الدولي والمجتمعات المحلية، لما يحمله من قيم إنسانية ووطنية متعددة. وأصبحت له قيمة اقتصادية، وأساسا للتنمية الاقتصادية والمحلية والمحافظة على الهوية الثقافية.

إذ تمثل المباني التراثية والمناطق التاريخية موردا رئيسيا من مصادر الدخل الوطني، ومصدرا للجذب السياحي، وذلك باعتبارها إرثا تراثيا يحتفظ بالعديد من الشواهد العمرانية والاجتماعية والتاريخية، والتي تعكس مسيرة المدينة على مر التاريخ¹، كما أنها تعزز السياحة الثقافية، وهي من أسرع القطاعات نموا في سوق السياحة الدولية، ومحرك قوي للتنمية الاقتصادية.

¹ - أسعد أبو غزالة، (2012). "الأبعاد الاقتصادية لتصنيف وترتيب المباني التراثية والحفاظ عليها نحو مدخل لتفعيل التنمية المستدامة للمدن التاريخية"، منشورات المؤتمر والمعرض الدولي الثالث للحفاظ على التراث العمراني، ص 8.

1 - أهمية موضوع مقومات التراث العمراني والتنمية المحلية بمدينتي فاس ومكناس القديمتين

يعتبر تحديد موضوع البحث أول خطوة تواجه الباحث، وهو "المجال المعرفي الذي يختاره الباحث لانتقاء إشكالية محددة منه لتكون الموضوع الذي سيبحث فيه"¹؛ فمن هذا المنطلق تم اختيار موضوع "التراث العمراني ومسألة الحفاظ عليه بالمغرب"، نظرا للأهمية التي أصبحت تحظى بها المدن التاريخية، سواء من طرف الدولة المغربية، أو من طرف المنظمات والهيئات الدولية.

يعتبر الحفاظ على التراث العمراني لدولة ما، إحدى أكثر المسائل تشابكا وتعقيدا، نظرا لاختلاف وجهات النظر حولها، وتعدد الجهات المساهمة فيها، وتعامل كل منها مع المعطيات الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة الخاصة بهذا التراث؛ لذلك قامت الهيئات الدولية والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية، بعقد الندوات والمؤتمرات الدولية وورشات العمل، للتنبيه إلى الأخطار التي تتعرض لها المدن التاريخية، والمباني الأثرية. وأصدروا المواثيق التي تعتبر مرجعا لجميع الدول في سن وتطوير القوانين والتشريعات المنظمة لعملية الحفاظ.

وفي هذا الصدد تعتبر مدينتا فاس ومكناس من أهم المدن على الصعيد الوطني، اللتان اشتهرتا بتاريخهما وتراثهما العريق، خصوصا بعد تصنيفهما تراثا عالميا من طرف منظمة اليونسكو (فاس سنة 1981، ومكناس سنة 1996)، واللتان تعرفان بعض التحولات والتغيرات على مستوى تراثهما العمراني. وتأتي أهمية تناول موضوع التراث العمراني لمدينتي فاس ومكناس، محاولة لتقديم دراسة حديثة عن التراث العمراني المغربي، من خلال حالة مدينتا فاس ومكناس، وإغناء البحث حول هذا الموضوع، الذي أصبح من المواضيع المهمة، من خلال توظيف التقنيات والأدوات الحديثة، سواء تعلق الأمر بنظم المعلومات الجغرافية، أو بمعالجة المعطيات الإحصائية.

2- دوافع اختيار موضوع البحث

إن اختيارنا موضوع دراسة التراث العمراني بمدينتي فاس ومكناس، ناتج أساسا عن رغبتنا الملحة في التعريف بالمدينتين القديمتين، وما تزخر بهما من مؤهلات تاريخية وعمرانية ومعمارية؛ ويمكن تقسيم هذه الدوافع إلى:

¹ - إبراهيم أبراش خليل، (2009): المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، ص 223.

2- 1 - دوافع ذاتية

تتجلى في الإلتناء إلى مدينة فاس أحد جزئي المجال المدروس، الذي جعلني أكثر قربا من المجال، ووجود شعور شخصي بكون معالم هاتين المدينتين تعاني الإهمال وسوء التوظيف، وأغلبها فقدت وظيفتها الأصلية، وبعضها اندثر.

بالإضافة إلى رغبتنا في إثراء الموضوع في ظل قلة الدراسات الجغرافية حول التراث، كما أن المدن القديمة لم تحظى سوى بالقليل من الاهتمام من طرف الدارسين أو المسؤولين في تدبير الشأن المحلي.

2- 2 - دوافع موضوعية

تتجلى في التعريف بما تزخر به من مآثر تاريخية وعمرانية؛ وبضرورة الحفاظ على التراث العمراني وحمايته، والمساهمة في خلق الوعي بضرورة الحفاظ عليه لكي لا يكون مصيره الاندثار. فبالرغم من تعدد وكثرة الدراسات والأطاريح التي تناولت التراث من عدة جوانب، إلا أنها تبقى غير كافية بالنظر لمكانة وقيمة هذه المدن تاريخيا، باستثناء مدينة فاس القديمة التي حظيت باهتمام أكثر. ولحد الآن لا توجد دراسات أحاطت بالموضوع من جميع جوانبه خصوصا في الدراسات الجغرافية. وتأتي هذه الدراسة للوقوف على مدى تطبيق الحماية القانونية للتراث، التي سنها المشرع المغربي على أرض الواقع، بالإضافة إلى إثارة الانتباه إلى أهمية هذا التراث، ومسألة الحفاظ عليه من خلال إعادة توظيفه، وكذلك محاولة إبراز دوره في التنمية المحلية.

3 - تقديم مجال مدينتي فاس ومكناس القديمتين

تتنمي مدينتا فاس ومكناس إلى جهة فاس - مكناس، التي تعد إحدى الجهات الإثني عشر، التي أحدثت بموجب التقطيع الجهوي الأخير لسنة 2015، تتشكل من عمالتين (فاس ومكناس)، وسبعة أقاليم (تازة، تاونات، صفرو، الحاجب، بولمان، إفران، مولاي يعقوب)، ومن 194 جماعة ترابية. تتميز بتنوع واختلاف خصائصهما الجغرافية؛ تحد بجهة طنجة - تطوان - الحسيمة شمالا، وجهة الرباط - سلا - القنيطرة بالغرب، وبجهة الشرق شرقا، وبجهتي بني ملال - خنيفرة، وجهة درعة تافيلالت جنوبا (الخريطة رقم 1).

تأسست النواة الأولى لمدينة فاس حوالي سنة 808 م، تمتد على مساحة 340 هكتار وتتكون من وحدتين: فاس البالي وفاس الجديد؛ تقطنها 70592 نسمة حسب إحصاء 2014، وتضم مجموعة من المرافق تتوزع بين البنايات التاريخية والمرافق العمومية والأنشطة الحرفية والتجارية.

تقع مدينة فاس في جهة فاس - مكناس، على خط عرض $34^{\circ}04'$ ، وخط طول $5^{\circ}00'$ ¹، وعلى ارتفاع 403 م فوق مستوى سطح البحر، ويبلغ عدد سكانها 1.112.072 نسمة، وتعتبر أكبر مدن الجهة. وحسب التقسيم الجماعي، يتوزع النسيج القديم بمدينة فاس، بين جماعتين ترابيتين هما: مقاطعة فاس المدينة وجماعة المشور فاس الجديد.

في حين تمتد عمالة مكناس على مساحة 1786.30 كلم². تقع في الجزء الشمالي من المغرب. إحداثياتها الجغرافية هي بين خطي عرض $30^{\circ}52'$ و $33^{\circ}55'$ شمالا وخطي طول $5^{\circ}29'$ و $5^{\circ}37'$ غربا². يبلغ ارتفاعها فوق سطح البحر حوالي 540 م. كما تقع على الطريق الوطنية رقم 6 الرابطة بين الدار البيضاء وفاس.

وتغطي المدينة القديمة لمكناس مساحة تناهز 96.5 هكتار، تشتمل على مجموعة من المآثر العمرانية من مساجد، وأضرحة، وفنادق، ومباني أصيلة، ... ذات قيمة تاريخية هامة. هذا الموقع، جعل المدينتان تلعبان أدوارا أساسية في تاريخ المغرب، إما كممر أو كقاعدة. كما جعلهما محط أنظار الأسر التي تعاقبت على حكم المغرب عبر تاريخهما الطويل.

4- إشكالية وفرضيات البحث

4-1- إشكالية البحث

أصبح التراث بمختلف أنواعه مبعث فخر واعتزاز الأمم، وعنوانا لأصالتها وعراقتها، وصلة وصل بين ماضيها وحاضرها؛ فهو السجل الخالد الذي يحفظ تاريخ الأمم والشعوب، والدليل الواضح على تطور الحضارات. لذلك حظي باهتمام بالغ من قبل المؤرخين والأدباء وعلماء الأنثروبولوجيا وغيرهم، نظرا لأهميته وقيمته، فنال النصيب الأوفر من الدراسات والكتابات، فهو يعتبر مادة خصبة للبحث العلمي والأكاديمي.

ويزخر المغرب بتراث ثقافي مادي غني ومتنوع بفعل العمق التاريخي والتلاقي الحضاري، وقد صنف العديد منه مواقع للتراث العالمي وإرثا للبشرية جمعاء. وفي هذا الإطار تمثل المدن العتيقة المرتكز الأساسي للتراث الوطني، حيث تم تسجيل ثمان مواقع ومعالم تاريخية منها ضمن لائحة التراث العالمي³.

1- الخريطة الطبوغرافية فاس شرق وفاس غرب 1/25000.

2- الخريطة الطبوغرافية لمكناس 1/50000.

3- زهير البحيري وامحمد الموساوي، (2012): المدينة العتيقة بصفرو بين التدهور ورد الاعتبار، ضمن كتاب سياسة المدينة الواقع وأفق التفعيل، منشورات الملتقى لمدينة صفرو، الدورة الثالث والعشرين، الشركة العامة للتجهيز والطبع، فاس، الطبعة الأولى، ص 176.

وتعتبر مدينتا فاس ومكناس من أهم المدن على الصعيد الوطني، اللتان اشتهرتا بتاريخهما وتراثهما العريق، خصوصا بعد تصنيفهما تراثا عالميا من طرف منظمة اليونسكو، حيث تتوفران على مخزون عمراني غني ومتنوع، يشتمل على ما هو عسكري وديني واقتصادي واجتماعي.

إلا أن وضعية هذا الموروث التاريخي عرف تدهورا خطيرا على مستوى المدينتان، خصوصا بعد توالي الانهيارات سواء على مستوى بعض المآثر التاريخية، أو على مستوى المباني.

إن تدهور النسيج العمراني القديم بهاتين المدينتين، لا ينتج فقط عن عامل أو عاملين، بل هو حصيلة مجموعة من العوامل المترابطة والمتداخلة فيما بينها في إطار علاقة تأثير وتأثر (طبيعية وبشرية وغيرهما من العوامل الأخرى)، التي ساهمت إلى حد كبير في اندثار وانهيار مجموعة من المعالم التاريخية بهما.

وأمام هذه الوضعية تم اتخاذ مجموعة من التدابير العملية لمعالجة هذا التدهور، من خلال إعادة تأهيل المآثر التاريخية وبرنامج معالجة السكن المهدد بالانهيار، وعبر تأهيل جزء من المظهر المعماري القديم، الهادف إلى تحسين ظروف عيش الساكنة المستهدفة، وتمكينها من الخدمات الضرورية.

ومن شأن مختلف التدخلات المدرجة في إطار مقاربة إعادة ردا الاعتبار للمدينتين، أن تساهم في تعزيز المدارات السياحية وتحسين المشهد الحضري، وتحقيق التنمية السوسيو-اقتصادية بهما والحفاظ على الطابع العريق والأصيل لهاتين الحاضرتين.

ولتحليل هاته الإشكالية والإحاطة بها، لا بد من الإجابة على مجموعة من الأسئلة، نذكر منها:

- ماهي المؤسسات المسؤولة عن حماية التراث العمراني والمحافظة عليه على المستوى الدولي والوطني، وماهي المواثيق والقوانين التي توطر هذه الحماية؟
- أين يتجلى غنى الرصيد التراثي بمدينتي فاس ومكناس، وأين تكمن أهميته؟
- ما هي الحالة الراهنة للتراث المبني بمدينتي فاس ومكناس، وكيف تساهم التحولات السوسيو-اقتصادية والمجالية ومختلف العوامل الطبيعية في تسريع تدهوره؟
- ما طبيعة ونوعية التدخلات المعتمدة في إطار سياسة ردا الاعتبار، وكذا الطرق المتبعة في عمليات الإصلاح والترميم؟
- كيف يمكن تشمين هذا التراث العمراني واستغلاله في تحقيق التنمية المحلية؟

4-2- فرضيات البحث

جوابا على أسئلة الإشكالية، تم حصر الفرضيات التالية:

- ✓ تتعدد المؤسسات والمواثيق الدولية والوطنية، المهمة بحماية التراث العمراني ورد الاعتبار له، على المستوى الدولي بصفة عامة، وعلى مستوى الوطني والمحلي بصفة خاصة؛
- ✓ تتوفر مدينتا فاس ومكناس على معالم تاريخية وأثرية مهمة، إلا أنها تعاني العديد من الإهمال والتدهور، وتعتبر العوامل الطبيعية والتحولات السوسيو-اقتصادية أحد أهم أسباب هذا التدهور؛
- ✓ ساهمت مجموعة من المشاريع والبرامج في إيقاف نزيف التدهور، الذي تعاني منه المدينتين وإعادة الاعتبار لهما؛
- ✓ يلعب التراث العمراني بمدينتي فاس ومكناس القديمتين دورا هاما في تحقيق التنمية المحلية، إذا ما حسن استغلاله وتثمينه.

5- أهداف البحث

- إذا كانت الأبحاث والدراسات، قد تناولت مسألة حماية التراث، برؤى ومقاربات متباينة وفي اختصاصات مختلفة، فإن الدراسات المتعلقة بالحد من تدهور الإطار المبني العتيق، والتي عالجت إشكالية تدهور الأنسجة القديمة تبقى قليلة¹.
- ومن هذا المنطلق سنحاول إغناء هذه الأبحاث بدراستنا للتراث العمراني بمدينتي فاس ومكناس، من خلال الإجابة على السؤال العريض التالي: ما هو حجم وأهمية الرصيد التراثي بمدينتي فاس ومكناس؟ وماهي السبل الناجعة لتثمينه والحفاظ عليه، بغية استغلاله في تحقيق التنمية المحلية بالمدينتين؟
- الإجابة على هذين السؤالين تمكنا من التوفر على مجموعة من المعطيات والحقائق من أهمها:
- تشخيص وتحديد المكونات التراثية بالأنسجة القديمة الموجودة بمدينتي فاس ومكناس، مع إبراز حالتها الفيزيائية، والعوامل المسؤولة عن تدهورها؛
 - تقييم تدخلات الدولة والمجتمع المدني في رد الاعتبار للنسيج القديم، ومدى نجاعة هذه السياسة في الحفاظ عليه؛

¹- أنجزت مجموعة من الأطروحات حول المدينتين القديمتين لفاس ومكناس خصوصا على المستوى التاريخي، فنجد منها تلك التي أنجزها كل من الأساتذة، عبد الواحد مهداوي، محمد البوشيخي جواد أبو زيد، علي البوازاني، محمد البغدادي، منير أقصبي، محسن الإدريسي العمري، على مستوى المدينة القديمة لفاس. في حين نجد كل من الأساتذة، مصطفى كنكورة، عبد المالك ناصري، محمد اللحية، جمال حيمر، على مستوى المدينة القديمة لمكناس.

- تحديد وإبراز مختلف التدابير والضوابط التقنية الواجب احترامها لتهيئة وترميم المعالم التاريخية والمساحات التاريخية؛

- اقتراح بدائل تنموية لتوظيف التراث في التنمية السياحية، وبالتالي المساهمة في تحقيق التنمية الجهوية على مستوى الجهة.

6- مناهج البحث: منهجيته وأدواته وتقنياته

6-1 - مناهج البحث

إن استخدام المنهج العلمي في العلوم الإنسانية بصفة عامة، والجغرافيا بصفة خاصة يطرح عدة صعوبات بسبب تعقد الظواهر الاجتماعية والمجالية وتشابكهما. إذ يتطلب تناول موضوع في الجغرافيا مثلا، دراسة عوامل متداخلة: طبيعية، تاريخية، اجتماعية واقتصادية لتفسير ظاهرة معينة، وبالتالي اعتماد مناهج متعددة، للإحاطة بالآليات المفسرة لمجموع الظواهر، والإجابة على مختلف الإشكالات المطروحة، سواء في علاقاتها مع المجال أو علاقتها مع بعضها البعض.

ومن أجل دراسة موضوع " تدهور التراث العمراني بمدينة فاس ومكناس دراسة جغرافية، وبلورة إطار استراتيجي لحماية التراث العمراني"، اعتمدنا عدة مناهج قصد معالجة الموضوع من مختلف جوانبه، وهي:

أ - المنهج التاريخي

لإبراز تأثير مختلف الظروف التاريخية في تأسيس المدينتين وتطورهما، وكذا في تشييد وبناء معظم المآثر التاريخية ومختلف مكونات النسيج، كان لزاما تطبيق المنهج التاريخي، الذي يعتبر من أساسيات البحث الجغرافي. حيث يمكننا من رسم صورة واضحة تفسر وجود التراث ووظائفه التاريخية التي يمكن الاستفادة منها لبناء اقتراحاتنا المستقبلية.

ب - المنهج الوصفي

يعتبر الوصف من أهم ركائز المنهج الجغرافي، بحيث لا يمكن إجراء أي تحليل لإشكالية موضوع البحث دون المرور برصدها وتشخيصها وإبراز مظاهرها كميا ونوعيا وتوزيعا. وسنعمد هذا المنهج في عملنا من خلال وصف مكونات هذا النسيج، ومحاولة ضبط تاريخ بنائها والحالة الفيزيائية التي هي عليها الآن.

ج - المنهج التحليلي

يقوم على تحليل الظاهرة بمعطياتها وبياناتها للوصول إلى فهم العلاقة بين جميع مكونات النسيج بالمدينتين وبين التدهور الذي يطاله وأسبابه. وتقييم التدخلات والبرامج التي تم اعتمادها للحفاظ على التراث المادي بكل من مدينتي فاس ومكناس ومدى نجاعتها، وكذا إعطاء بعض التجارب الناجحة في ميدان المحافظة على التراث المعماري بهاتين المدينتين.

د - المنهج الاستنباطي

من خلال الانطلاق من العام نحو الخاص، في مقارنة مختلف جوانب إشكالية التراث، انطلاقاً من التطرق إلى مختلف التدخلات لتدبير التراث والمحافظة عليه، سواء فيما يتعلق بالجانب التشريعي أو المؤسساتي أو الإجرائي، من المستوى الدولي إلى العربي والإسلامي فالوطني ثم المحلي.

هـ - المنهج الإحصائي

يعتبر من أساسيات البحوث الإنسانية. إذ لا يكفي التوفر على الأرقام والإحصائيات أو التقنيات المعلوماتية، بل لا بد من استحضار الطرائق والأساليب المناسبة لمعالجة وتحليل هذه المعطيات. وهذه بدورها تستدعي عملاً فكرياً. "ويقوم المنهج الإحصائي الاستدلالي على أساس التعرف على ما تعنيه الأرقام المجمعة واستقرائها ومعرفة دلالاتها، أكثر من مجرد وصفها وتفسيرها وتقديمها للقارئ، كما هو الحال في المنهج الإحصائي"¹.

6-2- منهجية وأدوات وتقنيات البحث

أ - البحث البيبليوغرافي

يعتبر العمل البيبليوغرافي أولى خطوة في منهجية البحث، التي نهدف من خلالها إلى بلورة الإشكالية والإحاطة بكل جوانبها، من خلال ما توفره مختلف مكتبات الجامعات المغربية والمعاهد العلمية من كتب ورسائل جامعية وبحوث ومقالات علمية التي تناولت موضوع التراث من مختلف جوانبه، وكذلك مجال الدراسة وخصائصه. كما تم الاطلاع على الدراسات والأبحاث التي أنجزها مختلف الفاعلين، والتقنيين، والباحثين والأكاديميين والمتخصصين في مجال التراث، بالإضافة إلى كل البرامج والتقارير الإدارية الوطنية والدولية التي أصدرتها مختلف المؤسسات المعنية بشكل مباشر أو غير مباشر بموضوع التراث والذاكرة الإنسانية.

¹ - عامر إبراهيم قنديلجي، (1999) - البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، ص 123.

بالإضافة إلى التردد على مختلف المصالح الإدارية بكل من المدينتين وحتى بعض المصالح والوزارات بالعاصمة الرباط، بهدف التزود بالتقارير والإحصائيات والوثائق الرسمية المتعلقة بالتراث وحمايته.

ب - العمل الميداني

تعتبر الاستمارة من أهم أدوات البحث الجغرافي التي تمكن من جمع المعطيات حول إشكالية جغرافية معينة، ونظرا لصعوبة تطبيق مسح شامل للمدينتين القديمتين فاس ومكناس، بسبب كبر حجم مجتمع البحث، وكما هو معمول به في مثل هذه الحالة، قمنا بالاعتماد على تقنية العينة: فئة تمثل مجتمع البحث، أو جمهور البحث، أي جميع مفردات الظاهرة التي يدرسها الباحث، أو جميع الأفراد أو الأشخاص أو الأشياء الذين يكونوا موضوع مشكلة البحث¹.

وبالنظر لطبيعة الموضوع، وباعتبار تجانس عناصر المجتمع، فقد ضم المجتمع الإحصائي ثلاث فئات رئيسية:

- الفئة الأولى حول المآثر التاريخية: وتحديد المباني التي لها قيمة تاريخية، لاستخراج المعطيات المتعلقة بصنفها العمراني وقيمتها التاريخية والمعمارية والفنية، وحالتها الفيزيائية ومظاهر وأسباب تدهوره...
 - الفئة الثانية استمارة خاصة بالسكن المهدد بالانهيار: وعددها 300 استمارة بالمدينة القديمة لفاس، و150 استمارة بالمدينة القديمة لمكناس (وقد تم اختيار هذا العدد لكون مدينة فاس تنتشر بها نسبة كبيرة من المباني المهددة بالانهيار تتجاوز 3600 بناية، في حين يصل عدد المباني بالمدينة القديمة لمكناس حوالي 1800 بناية).
 - الفئة الثالثة: دور الضيافة: وعددها 70 استمارة موزعة بين 50 بالمدينة القديمة لفاس و20 بالمدينة القديمة لمكناس (تم اختيار 70 عينة بفاس لكون عدد هذه الدور يبلغ 116 دار، في حين يصل عددها بمكناس 29 دار). و300 موجهة للسياح 150 موجهة لسياح مدينة فاس، و150 بمدينة مكناس.
- وكما تم إجراء مقابلات مطولة مع مجموعة من الإداريين والمهندسين والتقنيين والمهنيين في مختلف القطاعات المتدخلة في التراث.

¹ - وحيد رجاء دويدري، (2000)، البحث العلمي، أساسياته النظرية وممارسته العلمية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص 107.

ج - البرامج المعلوماتية الحديثة

ركزت المرحلة الثالثة، على العمل الخرائطي، من خلال إنجاز مجموعة من الخرائط المتعلقة بموضوع البحث، معتمدة في ذلك على تقنية نظم المعلومات الجغرافية من خلال برنامج Arc Gis، وإنشاء قاعدة بيانات تهم النسيج القديم لمدينتي فاس ومكناس. وقد مكنتنا هذه الأداة المعلوماتية من إنجاز مجموعة من الخرائط:

- خريطة توطين مجال الدراسة؛
- خريطة توطين المعالم التاريخية والمعمارية وتحديد مواقعها وإنشاء قاعدة بيانات متعلقة بها على الخريطة (تاريخ تأسيسها، نوع التدهور الذي تعرفه، طبيعة التدخل الممكن، ...)
- خريطة توزيع المباني الأثرية بالمدينتين؛
- خريطة توزيع المباني والمآثر التاريخية المتدهورة بالمدينتين؛
- خريطة تصنيف المباني والمآثر التاريخية حسب حالتها الفيزيائية؛
- خريطة توزيع المباني والمآثر التاريخية المهددة بالانهيار حسب درجة الخطورة.

7- المفاهيم العامة المؤطرة للبحث

يعد التراث العمراني عنصرا مهما من عناصر التراث الثقافي. وهو من أهم المصادر المادية التي تعبر عن النشاطات الإنسانية، الاجتماعية والثقافية، لأناس عاشوا ومارسوا النشاطات في عهود سابقة، وذلك من خلال تتبع الحياة الإنسانية، والاجتماعية وتطورها¹.

إن الاهتمام بالمباني والمناطق التاريخية ليس من الأمور الجديدة أو الثانوية. ويعتبر الحفاظ عليها مطلباً عالمياً تسعى إليه جميع الدول، وتتنافس من أجل حماية هذا الجزء المهم من ثقافتها، خاصة في ظل ما تتعرض له من تدهور. وقد بدأت عمليات الحفاظ المعماري بعد الثورة الصناعية. لكن مع نهاية الحربين العالميتين الأولى والثانية، بدأت تتزايد وثيرة الأصوات العالمية، التي تنادي بالحفاظ على التراث العمراني لما لحق به من أضرار وتدهور.

ففي أوائل القرن العشرين، بدأ الاهتمام في بعض الدول الأوروبية بالمباني التاريخية كقيمة تراثية يجب الحفاظ عليها. وبعد الحرب العالميتين الأولى والثانية، بدأت هذه الدول في تجديد وإحياء مراكز المدن القديمة وأحيائها المتدهورة. ومع حلول النصف الثاني من القرن ذاته، انتقل هذا الاهتمام إلى العالم

¹ - ياسر هاشم عماد الهياجي، (2013): " إدارة مواقع الجذب السياحي التراثية، مدينة صنعاء القديمة أنموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود الرياض، ص: 17.

الإسلامي ودول العالم الثالث، حيث أفرزت الأساليب المعمارية والأفكار التخطيطية المقترحة لتطوير المناطق والمباني التاريخية، العديد من سياسات التعامل معها. وتختلف هذه السياسات في أهدافها ووسائلها، طبقا لدرجة وحجم ونوعية التلف والدمار الذي أصاب المنطقة التاريخية، فضلا عن قيمتها المادية والمعنوية على مر الأجيال.

7 - 1 - مفهوم التراث

اختلفت التعريفات في إعطاء مفهوم محدد وموحد للتراث. إلا أنها أجمعت على كونه يمثل الذاكرة الحية للفرد والمجتمع، تمكن من معرفة هويته وانتمائه إلى شعب وحضارة من الحضارات. ويعد مفهوم التراث من المفاهيم التي كثر تداولها في الآونة الأخيرة.

ورغم كثرتها، فقد عرف هذا المفهوم العديد من الجدل والنقاش، من قبل بعض الدارسين والباحثين والأكاديميين في تحديد مفهوم موحد له. فقد أصبح إعطاء تعريف موحد إشكالية تصعب الإحاطة بها. والتراث لغة عند ابن منظور في لسان العرب من: "الورث، والإرث، والميراث، والتراث، كلها بمعنى واحد. ثم ذكر معنى التراث بأنه: "ما يخلفه الرجل لورثته"¹.

كما يعرف التراث بأنه "صورة الماضي وتاريخه الذي طوى الزمان صفحاته وبين طياته أصالة الشعوب بانتمائها للمكان ومعاصرتها للزمان"².

واصطلاحا التراث هو مجموعة العناصر المادية وغير المادية، وتشمل الثقافة والمعرفة والعادات والتقاليد الاجتماعية، التي يمكن نقلها من مجتمع لآخر عن طريق الإرث، وتمكن أهمية التراث في إعطاء صورة واضحة عن جذور الثقافة المحلية للأجيال القادمة³، أما التراث المعماري فهو أحد الروافد الأساسية لثقافة المجتمع، لما يحتضن من أبعاد اجتماعية ودينية واقتصادية وسياسية⁴.

وفي أبسط تعريف له، إنه تراكم تاريخي للمقتنيات المادية وغير المادية التي تركها الآباء والأجداد، من عادات وتقاليد.... ويعرف كذلك على أنه كل ما تتوارثه الأجيال عن الأجيال التي تسبقها، وكل ما ستركه هذه الأجيال إلى الأجيال التي ستأتي بعدها. ومنه فالتراث بمفهومه البسيط هو خلاصة ما خلفته الأجيال السالفة للأجيال الحالية.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة "ورث" المجلد الثاني، دار الرشاد الحديثة، بدون تاريخ، ص 200.

² - عبد الجواد توفيق أحمد (1987): "العمارة الإسلامية فكر وحضارة" مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر. ص 160.

³ - أحمد صلاح الدين عوف، (2006): مفاهيم الحفاظ لألفية جديدة في دولة الامارات العربية المتحدة، دائرة الثقافة والإعلان، الطبعة الأولى، ص 55.

⁴ - عبد الجواد توفيق أحمد (1987): مرجع سابق، ص 117.

وتعرف "اليونسكو" التراث بأنه: "ميراث الماضي الذي نتمتع به في الحاضر وننقله إلى الأجيال القادمة"¹. ويعتبر التراث الثقافي أنه: "ميراث المقتنيات المادية وغير المادية، التي تخص مجموعة ما أو مجتمع لديه موروثات من الأجيال السابقة، وظلت باقية حتى الوقت الحاضر ووهبت للأجيال المقبلة"². ومنه، فالمادة 1 من الاتفاقية المتعلقة بحماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي (16 نونبر 1972)، يشمل التراث الثقافي العناصر التالية³:

- الآثار: تشمل كل الأعمال المعمارية وأعمال النحت والتصوير على المباني، وكل العناصر والتكوينات ذات الصلة الأثرية، والنقوش والكهوف، ومجموعات المعالم التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ أو الفن أو العلم.

- المجموعات: مجموعات المباني المنعزلة أو المتصلة، التي من خلال عمارتها أو تناسقها أو اندماجها في منظر طبيعي، تشكل قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ أو الفن أو العلم.

- المواقع: تتمثل في أعمال الإنسان أو الأعمال المشتركة بين الإنسان والطبيعة، وأيضا مختلف المناطق بما فيها المواقع الأثرية، التي لها قيمة استثنائية من الوجهة التاريخية أو الجمالية، أو الإثنولوجية أو الإنثروبولوجية.

وينص ميثاق إدارة التراث الأثري، الصادر عن منظمة المجلس الدولي للمعالم التاريخية والمواقع الأثرية (ICOMOS) سنة 1990 في مادته 1 على ما يلي: "التراث الأثري هو جزء من التراث المادي، تطبق فيه المنهجية التاريخية، حتى يتم الوصول إلى المعرفة الأساسية، وهو يشمل كل أثر للوجود الإنساني، ومختلف الأماكن التي تمت فيها الأنشطة البشرية، المتمثلة في الهياكل والمقتنيات بكل أنواعها الموجودة في اليابسة أو الغارقة تحت الماء، ومختلف المعدات المرتبطة بها. وقد قام هذا الميثاق بتصنيف الممتلكات الأثرية حسب موقعها في اليابسة أو غارقة في الماء"⁴.

¹ - منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، "ما هو التراث العالمي".

² - منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، "التراث الثقافي المادي"، مكتب اليونسكو بالقاهرة.

³ - منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، "النصوص الأساسية المتعلقة باتفاقية التراث العالمي 1972"، (نشرة 2005)، المؤتمر العام لمنظمة

الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس، (17 أكتوبر-21 نوفمبر 1972).

⁴ - charte internationale pour la gestion du patrimoine Archéologique (1990), sur le site internet : www.inp.rnrt.tn/Convention/Html/icomos%20chartes%20.htm.

كما ينظر إلى التراث الثقافي أيضا أنه: شكل ثقافي متميز يعكس خصائص بشرية عميقة الجذور، وتتناقله الأجيال المتعاقبة، ويصمد عبر فترات زمنية متفاوتة نوعيا ومتميزة بيئيا، وتظهر عليه التغيرات الثقافية الداخلية والعادية، ولكنه يحتفظ دائما بوحدة أساسية مستمرة¹.

كما يمثل التراث من وجهة نظر باحثين آخرين، مجموعة من القيم والتقاليد والمعتقدات، والخبرات المتراكمة عبر الزمن. فالتراث هو: "كل ما صار إلى الوارث أو الموروث عن الأسلاف من أشياء ذات قيمة، وسمات أصلية. كما أنه مجموعة الآراء والأنماط والعادات الحضارية المتنقلة من جيل إلى آخر"².

7-1-1- أنواع التراث الثقافي

- **التراث المادي:** هو ما خلفه الأجداد، من المعالم والآثار التاريخية، والمباني القديمة، والواحات، والتراث الطبيعي، والتحف والبقايا المادية من أوان وحلي، وملابس، ووثائق، وكتابات جدارية ذات الأهمية المعمارية والتاريخية؛ التي تعتبر جديرة بحمايتها والحفاظ عليها بشكل أمثل للأجيال القادمة، وتشكل كلها جزءا من التراث الذي يجب الحفاظ عليه، باعتباره تراثا للإنسانية معرض للانقراض.

- **التراث اللامادي:** يعتبر ذي أهمية كبيرة، فهو يخلد ذاكرة الوطن وهويته، ويضم القطع الأثرية المنقولة، والحرف اليدوية، والفنون الشعبية، والمعارف التقليدية، والطقوس والشعائر، والتظاهرات الاحتفالية، والفنون البصرية والأدائية، والأدب واللغة واللهجات، والطب التقليدي، وتقاليد الطهي وغيرها، مما يرتبط ارتباطا وثيقا بالتراث العمراني³. كما يقصد به مجمل الإبداعات الثقافية سواء التقليدية، أو الشعبية المنبثقة عن جماعة، والمنقولة عبر التقاليد، وهي على سبيل المثال: اللغات، والموسيقى والأدب الشفهي، والفنون الشعبية والتعبيرية مثل الرقص والمهرجانات⁴. وقد عرفته اليونسكو بأنه "الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات - وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية - التي تعدّها الجماعات والأفراد جزءا من تراثهم الثقافي"⁵.

فمن خلال التعاريف السابقة، ورغم تعددها واختلافها، يشكل التراث هوية كل مجتمع وخصوصيته التي تميزه عن باقي المجتمعات، يعزز وجوده ويؤكد جذوره الحضارية والإنسانية.

¹ charte international pour la gestion du patrimoine Archéologique (1990), sur le site internet : www.inp.rnrt.tn/Convention/Html/icomos%20chartes%20.htm.

² نور الدين محمد عماد، (2010): "الحفاظ على التراث العمراني في المدينة الإسلامية القديمة، دروس مستفادة من تجارب سابقة"، سجل أبحاث المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية"، الرياض، السعودية، ص 707.

³ - Denhez, 1981, "What Price Heritage?" Plan Canada, Vol. 21, No. 1, P.7

⁴ - علي خليل اسماعيل الحديثي، (1999): "حماية الممتلكات الثقافية في القانون الدولي دراسة تطبيقية مقارنة"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ص 22.

⁵ - اليونسكو 2003، المادة الأولى.

7 - 2 - التراث العمراني

يعتبر التراث المعماري والعمراني رمزا للتطور الإنساني عبر التاريخ، وتعبيرا عن القدرات التي وصل إليها الإنسان في التغلب على مشاكل البيئة المحيطة. فهو أحد الروافد الأساسية لثقافة المجتمع لما يحتضن من أبعاد اجتماعية ودينية واقتصادية وسياسية¹.

ويعرف التراث العمراني بأنه "وثيقة تاريخية وفنية وجزء من التراث السياسي والروحي والرمزي، وهو الحقيقة الثقافية واستمرارها وتعدد مجالات التراث المعماري، وتنقسم إلى المحيط البيئي للملكية، والمبنى، والأثاث والمنقولات الداخلية والخارجية².

كما تعرف المادة الأولى من "ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته" التراث العمراني أنه³: "كل ما شيده الإنسان من مدن، وقرى، وأحياء، ومبان، وحدائق، ذات قيمة تاريخية أثرية، أو معمارية، أو عمرانية، أو اقتصادية، أو تاريخية، أو علمية، أو ثقافية، أو وظيفية، ويتم تحديدها وتصنيفها وفقا لما يلي:

- **المباني التراثية:** هي المباني التي تشكل في مجموعها التراث المعماري في منطقة ما، وما تحمله من قيم تاريخية اكتسبتها، إما من خلال تميزها المعماري والجمالي، أو عمرها الطويل أو ارتباطها بأحداث مهمة حدثت في المنطقة؛ تلك الأحداث قد تكون دينية، اقتصادية، اجتماعية وسياسة، وقد تتسع دائرة تصنيف المباني التاريخية لتشمل كل مبنى يتجاوز عمره الخمسين عاما كما في القانون الإيطالي مثلا⁴. ويعرفها أيضا الباحث الانجليزي فيلدن، أنها تلك المباني التي تعطينا الشعور بالإعجاب، وتجعلنا بالحاجة إلى معرفة المزيد عن الناس الذين سكنوها وعن ثقافتهم، وفيها قيم جمالية معمارية، تاريخية، أثرية، اقتصادية، اجتماعية وسياسة⁵.

- **مناطق التراث العمراني:** تشمل المدن والقرى والأحياء ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية، بكل مكوناتها من نسيج عمراني وساحات عامة وطرق وأزقة وخدمات تحتية وغيرها.

¹ - أماني السيد، (2010): "إعادة الإحياء العمراني كركيزة للاستدامة مع ذكر خاص لمناطق التراث العمراني، رسالة الدكتوراه، جامعة القاهرة، ص 3 و4.

² - أحمد محمود الشحات، (2003): "الاستدامة في مشروعات الحفاظ العمراني والمعماري"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الهندسة، قسم الهندسة المعمارية، القاهرة. ص 18.

³ - ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته، المادة الثانية، ص 4.

⁴ - محمد فوزي عتمة علام، (2007): إعادة تأهيل المباني التاريخية في فلسطين " حالة دراسية، تجربة مدينة نابلس عام 1994"، أطروحة

ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ص 13.

⁵ - FEILDEN, B. (1994): conservation of historic building, London, butter worth architecture, p 01.

-مواقع التراث العمراني: وتشمل المباني المرتبطة ببيئة طبيعية متميزة على طبيعتها، أو من صنع الإنسان".

من خلال ما سبق، يشمل التراث العمراني كل ما خلفه لنا الأسلاف من تراث حضاري قديم، كما يعتبر من أهم مظاهر التطور الإنساني في كافة عصور التاريخ، وأحد أهم العناصر والرموز الأساسية للتراث. ويتميز عن غيره من عناصر التراث بوجوده المادي، الذي يقطع الشك في وجود حضارات الأجيال السابقة بصورة مباشرة، كما يبرز تتابع تجارب وقيم حضارية واجتماعية ودينية بين الأجيال.

7 - 3 - سياسات التدخل في التراث العمراني

تتضمن عملية الحفاظ على التراث العمراني سياسات وآليات متعددة ومختلفة، تقوم أساسا على اتخاذ القرار حول مستوى التدخل العملي على المنشأ المعني. وعليه فإن مستويات التدخل تتفاوت فيما بينها، اعتمادا على مقدار التغيير والتحول المطلوب تنفيذه على المنشأ الأصلي، الذي غالبا ما يفضل المستوى الأدنى للتدخل المطلوب والضروري لتقليص مدى التغيير والتعديل على عناصره.

وترتكز مسألة الحفاظ على التراث المبني على ثلاث مراحل:

- تحديد قيمة التراث المبني من خلال قيمته التاريخية أو المعمارية؛
- إجراء تشخيص أولي للمخاطر التي يواجهها المبنى التاريخي، مع تحديد عوامل وأسباب تدهوره؛
- وضع استراتيجية للحفاظ على المبنى التراثي، الذي يحمل إما قيمة تاريخية أو معمارية، وذلك بالحد من مستوى التدهور الذي يعاني منه.

7 - 3 - 1 - الحفاظ

يقصد به الحفاظ على المباني والنسيج والطابع المعماري الخاص بالمعلمة التاريخية، كرمز تاريخي وقيمة أثرية يجب المحافظة عليها في صورتها الأصلية. ويشمل الحفاظ على الهيكل الاجتماعي والاقتصادي بجانب الهيكل العمراني.

وهو أيضا "عملية حماية المنشآت والعناصر والمفردات المعمارية ذات الخصائص التاريخية والثقافية والبصرية المتميزة، وصيانتها وإصلاحها"¹. ويشكل كذلك مختلف الإجراءات والأعمال التي تتخذ

¹ - نسرين رفيق اللحام، (1997): "الحفاظ على المباني التراثية وتوظيفها"، رسالة ماجستير، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، القاهرة، ص 6.

لإطالة عمر التراث المعماري ومنع تلفه. إذ يجب أن تتم عملية الحفاظ بدون الإضرار بالمبنى وبدون تدمير أو تزوير قيمته التاريخية"¹.

يمكن أن نستخلص من خلال مختلف التعريفات السابقة، أن مفهوم الحفاظ على التراث العمراني، هو جميع العمليات التي تستهدف المباني التاريخية أو المناطق ذات القيمة الأثرية، وكل ما تحتويه من مباني ذات أهمية أو منشآت معينة أو بيئة عمرانية مميزة، أو نسيج عمراني فريد. ويمكن تحقيق هذا من خلال نقطتين هما:

● **الأولى:** تحقيق عملية الحفاظ اللازمة لكل ما له قيمة تراثية، مرتبطة بالمبنى الأثري باستخدام أحدث الأساليب والطرق؛

● **الثانية:** توفير الدعم المالي والتقني لتنفيذ أعمال الصيانة والحفظ اللازمة للمباني والمواقع الأثرية. كما يمكن استنتاج أن مفهوم الحفاظ العمراني خرج من مفهومه الضيق إلى مفهوم أوسع لسببين هما:

● **أولاً:** الحفاظ كمفهوم عبارة عن مظلة تضم من خلالها عددا من المفاهيم والمصطلحات الأخرى، مثل الصون وإعادة الإحياء، وإعادة الاستخدام، والإعادة إلى الوضع الأصلي؛

● **ثانياً:** مصطلح الحفاظ اليوم لا يشمل الحفاظ على الموارد والمباني التقليدية فقط، بل يشمل حماية التجمعات البشرية التاريخية والثقافية، التي تظهر عليها أسلوب حياة أو ميزة ثقافية تستحق المحافظة عليها وحمايتها.

وتقوم المحافظة على مجالين أساسيين هما:

- الأول، تقني يتمثل في الترميم أو التجديد؛

- الثاني، اجتماعي واقتصادي، يسعى إلى مساعدة المدن القديمة على استعادة الوظائف الاجتماعية والاقتصادية، التي كانت تضطلع بها في الماضي، ويعتبر هذا المجال من أنجع الوسائل، التي يجب اعتمادها لإنقاذ هذا النوع من المدن.

يهدف من هذا كله إلى الحفاظ على الأنسجة العمرانية والمباني التاريخية، كرموز تاريخية ذات قيمة علمية وجب المحافظة عليها في صورتها الأصلية والحيلولة دون تدهورها وفنائها.

¹ - أيمن عزمي جبران سعادة، (2009): "آليات تفعيل المشاركة الشعبية في مشاريع الحفاظ المعماري والعمراني - حالة دراسية للضفة الغربية"، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص 69.

7-3-2 - الحماية

إن حماية المبنى التاريخي أو الأثري، تعني حماية الصورة البصرية العامة للمنشآت المحمية، وكذلك البيئة الاجتماعية والاقتصادية المحيطة به.

وهي سياسة لا تعنى بحماية المباني التاريخية من الناحية الإنشائية والبصرية فقط، ولكن تشمل أيضا تحديد معايير وشروط ضمان صيانة هذه المباني في إطارها التشريعي والعمراني.

وتهدف كذلك منع التدهور الذي يطال المباني الأثرية، من خلال حمايتها من أي مؤثرات خارجية بيئية أو عمرانية قد تنعكس سلبا عليها أو على محيطها العمراني.

وتشمل سياسة الحماية إجراءات الترميم والصيانة والتجديد، التي تساهم في حماية المباني الأثرية ومنع تدهورها، وتأخير سرعة تدني مستواها الهندسي والوظيفي الحالي. كما يقتصر هذا النوع من السياسات على الحيازات التاريخية أو الأثرية، وأحيانا يستخدم بالمناطق الحديثة ذات الطابع التراثي المتميز.

7-3-3 - الترميم

يقصد بالترميم هو كل تدخل يهدف إلى إعادة الكفاءة لأحد أعمال النشاط الإنساني، وترمي عملية الترميم إلى إعادة المباني والمناطق التاريخية إلى حالتها الأصلية عند إنشائها.

ويعرف ميثاق فيينا الصادر سنة 2005م باعتباره من أحدث المواثيق الدولية، الترميم بأنه الكشف عن حالة المبنى الأصلية ضمن المواد المتوفرة بالموقع. وبذلك يتغير هذا المفهوم عن المفهوم القديم، الذي ينص على إرجاع المبنى إلى صورته الأصلية وبناء العناصر المفقودة¹.

تعد عملية الترميم إحدى الأساليب الأساسية المتبعة في سياسة المحافظة، من أجل التعامل مع الأبنية الأثرية القديمة، التي أصابها التصدع أو التشقق أو التعرية أو التآكل، حيث ألحق بها الضرر المادي لحالتها الإنشائية. ويعد الترميم في مثل هذه الحالات، بمثابة مطلب ضروري لفرض الصيانة اللازمة عن طريق الترميم، دون المساس بالجوهر والعمق التاريخي والفني لمثل تلك الأبنية، وهذا من خلال عملية الترميم².

¹ - صالح مصطفى لمعي، (2008): المخطط العام للحفاظ على التراث الثقافي 2008، ص 41.

² - UNITED NATION, (1971) : Economic commission for Europe, Urban Renewal, vol 1, United Nation, New York, 1971, p 125.

يمكن أن نستنتج أن الترميم هو إعادة المبنى إلى حالته الأصلية، عن طريق إعادة بنائه أو إصلاحه حسب ما تتطلب حالته. فالمبنى الأثري يتعرض على مر الزمن إلى تغيرات تتراوح بين إزالة أجزاء منه أو تعديل أجزاء فيه أو إضافة أجزاء إليه. وعند إجراء عملية الترميم يعود المبنى الأثري إلى حالته الأصلية. وتتضمن عملية الترميم مثلاً أعمال إزالة العناصر الدخيلة، وأعمال التنظيف، وأعمال استبدال القطع المتدهورة بأخرى جديدة، على أن يتم تمييزها عن مثيلاتها القديمة، وهناك ثلاثة معايير يجب أخذها بعين الاعتبار عند كل عملية ترميم وهي¹:

■ **الجانب القانوني:** من أجل الحصول على رخصة الترميم من قبل السلطة الحكومية الوصية (وزارة الثقافة)، يجب أن يكون العقار مرتباً حسب:

- ظهير شريف رقم 1.80.341 بتاريخ 17 صفر 1401 (25 دجنبر 1980) يتضمن الأمر بتنفيذ القانون رقم 22.80 المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات².

- مرسوم رقم 25 - 81 - 2 بتاريخ 22 أكتوبر 1981؛ بتطبيق القانون رقم 22.80 المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات³.

■ **الجانب المعرفي:** يهتم معرفة تاريخ البناية ووظائفها، ذلك أن الوظيفة هي التي تحدد شكل الترميم.

■ **الجانب التقني:** ونميز فيه ما بين مستويين:

✓ مستوى عادي: يتمثل في تحديد الحاجيات وتشخيصها؛

✓ مستوى تقنيات البناء والترميم: الذي يتطلب تحديد التقنيات التي استعملت في البناء أول مرة (تقنية الأقواس مثلاً)، وكذا المواد المستعملة فيه مثل الياجور (التراب والجير) والتراب المدكوك.

7- 3 - 4 - التدعيم

هو حل مؤقت يتم اللجوء إليه لتقوية وتدعيم عناصر المبنى "المهدد بالانهيار"، إما بزيادة قدرة المواد الأصلية المستعملة في البناء على التماسك باستخدام أنواع من المواد اللاصقة (الإسمنت)، وهذا

¹- ريهام الخضراوي، (2012): الحفاظ على التراث العمراني، رسالة لنيل درجة الماجستير في التخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، مصر، ص 26.

²- الجريدة الرسمية عدد 3564 بتاريخ 12 ربيع الآخر 1401 (18 فبراير 1981)، ص 162.

³- الجريدة الرسمية عدد 3601 بتاريخ 1981/11/04.

يؤدي إلى تدهور المبنى بشكل يؤدي إلى نتائج عكسية¹؛ أو عن طريق وضع دعائم خشبية لأسقف المباني وجوانبها، للحيلولة دون تدهور حالته الفيزيائية، التي يمكن أن تؤدي إلى سقوطه واندثاره.

7- 3- 5 - إعادة البناء

تضم هذه العملية إعادة بناء المباني الأثرية التي يصعب ترميمها، إما بسبب انهيارها التام أو انهيارها الجزئي. ونظرا لرمزيتها داخل النسيج القديم، يتخذ القرار بإعادة بنائها على الحالة التي كانت عليها طبق الأصل، شريطة استنادها على حقائق تاريخية موثقة ومدونة ومفصلة عن الحقبة الزمنية الأصلية التي بنيت فيها (صور، قصائد وصفية، تقارير، المصادر التاريخية، ...).

تتم في حالة كون المبنى سيئا، ويوجد به خلل لا يمكن إصلاحه، أو أن إصلاح هذا الخلل ذي تكلفة عالية، وبذلك تصبح عملية الإصلاح غير مجدية، لذلك يتم السماح بإعادة البناء على نفس خطوط البناء ومراعاة النواحي الفنية والجمالية.

وتشكل عملية إعادة البناء، الأسلوب الثاني المتبع في سياسة المحافظة، لأنها تمتلك أداة فعالة في فرض الحماية على الأبنية ذات قيمة تاريخية وفنية فريدة من نوعها، من خلال إعادة بناء الأجزاء التالفة والمتآكلة من أجل إتمامها، والتي لا يمكن فرض عملية الترميم عليها من أجل إعادتها إلى حالتها الطبيعية.

7- 3- 6 - رد الاعتبار

تتضمن جميع الإجراءات والتدخلات التي تهدف إلى إعادة إحياء المبنى وظيفيا، سواء بنفس الوظيفة السابقة أو أية وظيفة مناسبة ومتوافقة مع الوظيفة الأصلية. وتعتبر سياسة رد الاعتبار سياسة شاملة، تهتم تقريبا بكل جوانب المباني التاريخية، من حيث ترميمها وتجديدها وحمايتها وصيانتها وإعادة استعمالها، وتحسين محيطها العمراني (من حيث تحسين طرقها، وتزويدها بالبنية الأساسية، والمرافق والخدمات اللازمة)، وذلك بهدف تحقيق التكامل والانسجام واستمرارية الحياة لهذه المدن التاريخية ومحيطها الحديث (باقي المدينة)، وتحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي لسكانها.

تهتم هذه السياسة بكل المباني التاريخية ومحيطها العمراني، فهي عبارة عن عملية إعادة تهيئة المبنى وإحيائه لغرض توظيفه واستعماله مرة أخرى، إما لنفس العمل والغرض الأصلي، أو لاستعمال

¹ - الاسمنت لا يلتصق مع المواد الأصلية في البناء الذي يدخل في تركيبه الجير.

جديد مع إجراء بعض التغييرات بما يتلاءم والحاجة الاستخدامية الجديدة له، وهذه الطريقة تضمن بقاء المبنى في حالة عمرانية جيدة، بسبب وجود صيانة مستمرة له من قبل الأشخاص المنتفعين به.

7-3-7 - الصيانة Entretien

تعتبر الصيانة بمثابة عملية تضمن إعادة بناء الأجزاء المفقودة والتالفة والمتعرضة للأضرار في المبنى التاريخي، باستخدام مواد جديدة متلائمة مع مواد البناء الأصلية لإعادة الشكل الأصلي للمبنى، ويسمح في هذه العملية باستخدام الإضافات والمواد الداعمة، التي تحافظ على هيكل المبنى كما هو، لضمان استمراريته وعدم تلفه، كما يسمح ببعض التغيير والإضافات ولكن بشروط محددة، بالإضافة إلى الهدم والإزالة في حالة كون الأجزاء المراد إزالتها لا تؤثر على قيمة المعلمة التاريخية بكافة عناصرها، فهي عملية تهدف إذن إلى استمرارية الإحساس بالقيمة التاريخية للمبنى، والتأكيد على شخصية المكان والمجتمع المحلي.

تهدف هذه العملية أيضا إلى الحد من تلف وقع فعلا، أو من تلف يحتمل وقوعه، باستخدام الوسائل المناسبة مثل: إصلاح الشقوق ودهان الخشب والمعادن بانتظام، وإزالة الحشائش، وعزل الجدران عن الرطوبة، وهذا يعني أن الصيانة هي العامل الرئيسي في إطالة عمر المبنى من ناحية، وإكسابه أحسن مظهر من ناحية أخرى.

رغم أن طبيعة ووظيفة صيانة الحالة المعمارية للمدينة هي شاملة، إلا أن لها خصوصية في تعاملها مع المعالم التاريخية القديمة، خصوصا تلك التي تحتاج إلى التجديد من خلال الصيانة سواء كانت جزئية أو كلية.

7-3-8 - الإصلاح

يتم في حالة كون المبنى في حالة إنشائية متوسطة، حيث يمكن إصلاحه بنصف تكلفة المبنى السيئ، وهنا يتم تصميم وتنسيق المواقع المحيطة بهذه المباني، كذلك الساحات والميادين العامة. وهو استبدال جزء أو أجزاء من المبنى نتيجة لهبوط في أساساته، وذلك إنقاذاً له من الانهيار؛ وفي مثل هذه الحالات فإنه لا يصح سوى استخدام مواد مماثلة، أو مشابهة قدر الإمكان لمواد الإنشاء الأصلية للمبنى، مع مراعاة تميز الأجزاء المبدلة عن الأجزاء القديمة، وذلك حتى يسهل التعرف على أجزائه الأصلية، والأجزاء المغايرة المستحدثة، وفيما عدا ذلك فإن ثمة أساليب عديدة للحفاظ على التصميم المعماري، خصوصا وأن رعاية عنصر الفكر المعماري للمبنى الأثري أهم كثيرا.

7- 3- 9 - التجديد Rénovation

عادة ما تستخدم سياسة التجديد، من أجل إضفاء مظهر شكلي جديد، يتفق مع النمط والذوق العام لوقت إجراء تلك العملية.

هو إضافة وإدخال أشياء حديثة للمبنى الأثري مثل: الكهرباء، المصاعد والتدفئة، وسلالم الحريق إلى غير ذلك، ويشتمل على:

- **إعادة التشكيل:** هو "إعادة تجميع أجزاء مبنى تاريخي سواء في مكانه أو في مكان جديد باعتباره أثر قومي"¹.

- **إعادة الاستعمال:** تهتم بالمباني التاريخية ومحيطها العمراني، وذلك من خلال رفع مستوى المنطقة الاقتصادية والاجتماعي. وهي بمثابة عملية إعادة توظيف المباني ذات القيمة الأثرية والتاريخية في استعمالات جديدة، تلائم التطور الحالي وفي الوقت نفسه تضمن استمرارية حياة تلك المباني والمحافظة عليها بصورة عملية، وهذه السياسة تعد في حد ذاتها تعويضاً عما يتم إنفاقه على عمليات الترميم والصيانة، حتى تحقق عائداً اقتصادياً، بشرط ألا تمثل هذه العملية أية خطورة على المنشأ الأثري، أو أي تعارض مع قيم أو مبادئ المجتمع². وتهتم هذه السياسة بالقيمة الوظيفية والاقتصادية للمباني التاريخية للحفاظ على قيمتها التاريخية والمعمارية والعلمية. وتركز على إعادة توظيفها في استعمالات جديدة، تتلاءم مع التطور الحاصل مع أقل تغيير في التوزيع الداخلي للفراغات، ولا يحدث أي تغيير في الواجهات الخارجية، مع استمرارية الصيانة للمباني والمحافظة عليها بصورة عملية³.

8 - الأقسام الكبرى للبحث

تم تقسيم العمل إلى ثلاثة أبواب، وهي على الشكل التالي:

الباب الأول بعنوان: المؤسسات والمواثيق والقوانين الدولية والوطنية لحماية التراث. يشتمل على فصلين: خصص الفصل الأول لدراسة أهم المواثيق والقوانين والمؤسسات الدولية المتعلقة بحماية التراث، وأهم القوانين والفاعلين والمتدخلين في حماية هذا التراث على المستوى الوطني. أما الفصل الثاني فقد تطرقنا من خلاله إلى الإطار الجغرافي للمدينتين، وإلى التركيز على وعوامل التدهور.

¹ - إبراهيم وحيد زكريا، وشديد منال، (2006): "تأثير تجديد المباني ذات القيمة التاريخية على تجديد الفراغات الحضرية المتاخمة لها، مؤتمر قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، المؤتمر الدولي الثالث، القاهرة. ص 707.

² - مصطفى كمال مدبولي، (1992): "إعادة تأهيل المناطق المركزية ذات القيمة التاريخية في الدول النامية"، دراسة حالة القاهرة، منطقة الدرب الأحمر، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، ص 26.

³ - نفسه، ص 26.

الباب الثاني حمل عنوان: الإمكانيات التراثية العمرانية بالنسيجين القديمين لفاس ومكناس، ضم هو الآخر فصلين، تم التطرق فيهما إلى ما تزخر به المدينتين من معالم ومآثر معمارية وتاريخية، وتصنيفها حسب وظيفتها (الوظيفة الدينية والعسكرية والثقافية الاقتصادية والسكنية). إضافة إلى عرض لأهم مميزات التاريخة والمعمارية والفنية، لمعرفة قيمتها الحقيقية. كما تم تقديم نماذج عن كل صنف من المعالم المدروسة، من خلال نموذج أو أكثر، بالإضافة إلى الوضع الراهن للمآثر.

وجاء الباب الثالث تحت عنوان: مشاريع رد الاعتبار للنسيج القديم بمدينتي فاس ومكناس: التراث وإمكانية خلق تنمية محلية، حيث تم تقسيمه إلى فصلين: خصص الفصل الخامس إلى الجهود المبذولة للمحافظة على التراث ورد الاعتبار له من خلال سرد أهم التدخلات التي عرفتھا المدينتين. الفصل السادس فتطرق إلى إعادة توظيف بعض المآثر التاريخية، لتكون قبلة سياحية تساهم في تحقيق التنمية بالمدينتين. بالإضافة إلى دراسة تمثلات الساكنة لمشاريع رد الاعتبار وانعكاساتها.

9- صعوبات البحث

خلال قيامنا بهذا البحث واجهتنا مجموعة من الصعوبات والمعوقات، تتجلى بالأساس في صعوبة الحصول على المعلومات والمعطيات من المصالح العمومية، إضافة إلى تخوف وتوجس بعض التقنيين والمهنيين من مدنا بالمعطيات الرقمية والخرائطية، خصوصا وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس.

الباب الأول:

الإطار المؤسسي والقانوني لحماية
التراث العمراني، والإطار الجغرافي
لمدينتي فاس ومكناس القديمتين،
وعوامل تدهور تراثهما العمراني.

مقدمة الباب الأول

يعد الحفاظ على التراث العمراني بمثابة الحفاظ على الهوية. فهو صلة وصل ما بين الماضي العريق والمستقبل. وقد أدى توقف وظيفة أغلبية المباني التراثية، إلى إهمالها وتدهورها أو إلى اندثاره وزوال بعضها، وهو ما استدعي التدخل من أجل رد الاعتبار إليها عن طريق الترميم والصيانة.

حظي التراث العمراني بأهمية كبيرة لدى المجتمع الدولي والمجتمعات المحلية، لما يحمله من قيم إنسانية ووطنية متعددة، وأصبح مصدرا للدخل الوطني، وأساسا للتنمية المحلية وللحفاظ على الهوية الثقافية.

ولإبراز أهمية التراث وأهمية المحافظة عليه، يعالج هذا الباب الإطار المتعلق بالتراث العمراني، من خلال إبراز أهم المؤسسات الدولية والوطنية، وكذا مختلف القوانين والمواثيق التي تهتم بالمحافظة على التراث العمراني سواء على المستوى الدولي أو الوطني.

فقد تعددت القوانين والمواثيق الدولية والوطنية للمحافظة على التراث، إذ كانت أولها تلك التي صدرت في أوروبا خلال نهاية القرن 19. أما على المستوى الوطني، فقد كانت بداية الاهتمام به بإصدار ظهير 1912 خلال الفترة الاستعمارية.

أما على المستوى المؤسساتي فتلعب منظمة اليونسكو إلى جانب منظمات ومؤسسات دولية أخرى، أدوارا هامة في الحفاظ على هذا الموروث الغني على مستوى العالم وعلى المستوى الوطني. بالإضافة إلى ذلك، سنتطرق خلال هذا الباب ومن خلال الفصل الثاني، إلى عرض الخصائص الطبيعية والبشرية التي تتميز بهما مدينتا فاس ومكناس، وإبراز تراثهما بالموارد الترابية والتي تؤهلان المدينتين، لكي تلعبا أدوارا أساسية على المستوى الاقتصادي على مستوى الجهة أولا، وعلى المستوى الوطني ثانيا، مع التركيز على مختلف العوامل والآليات، التي ساهمت وتساهم في تدهور التراث العمراني بالمدينتين القديمتين.

ومن تم نتوخى من خلال هذا الباب الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما هي أهم المواثيق والمؤسسات الدولية والوطنية التي تهتم بالتراث العمراني؟
- ماهي أهم الخصائص والمميزات الطبيعية والبشرية لمدينتي فاس ومكناس؟
- ماهي أهم العوامل المساهمة في تدهور التراث العمراني بمدينتي فاس ومكناس القديمتين؟

الفصل الأول:

القوانين والمؤسسات الدولية والوطنية المعنية بالتراث العمراني

مقدمة الفصل الأول

صيغت خلال القرن الماضي العديد من القوانين والمواثيق الدولية، بهدف حماية التراث وحفظ الممتلكات الثقافية والتاريخية. فقد عقد معماريو الآثار سنة 1931 مؤتمرهم الدولي في مدينة أثينا اليونانية، الذي صدر عنه ميثاق أثينا، الذي يعتبر أول وثيقة تعلن فيها المبادئ العلمية للحفاظ على الممتلكات الثقافية والتاريخية على المستوى الدولي.

للتوالى بعد ذلك عقد المؤتمرات وإصدار القوانين والمواثيق الدولية، التي ركزت على الحفاظ عليه وصيانته، من خلال استخدام المواد والتقنيات الحديثة أثناء عملية الصيانة، وكذا احترام محيط الأبنية التاريخية، بالإضافة إلى زيادة التعاون العالمي.

وتماشيا مع المجتمع الدولي، وبغية تحقيق نفس أهدافه، أصدر المغرب مجموعة من القوانين لحماية موروثة العمراني، الذي تزخر به كل جهات المملكة. كما تحملت مجموعة من الوزارات والمؤسسات مسؤولية حمايته والحفاظ عليه.

فما هي إذن هاته المؤسسات التي تأخذ على عاتقها مسؤولية حماية التراث العمراني، سواء على المستوى العالمي أو الوطني؟

وماهي المواثيق الدولية والوطنية التي توطر هذه العملية؟

1 - القوانين والمؤسسات الدولية لحماية التراث العمراني

بدأ اهتمام المجتمع الدولي بحفظ التراث العمراني وصيانته منذ ميثاق إيطاليا سنة 1883، حيث أصبح أكثر حداثة وعلميا من السابق. وقد اهتمت عدد من المنظمات الدولية بالتراث العمراني، منها:

- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (UNESCO)؛

- المجلس الدولي للآثار والمواقع (ICOMOS)؛

- المركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافية (ICCROM)؛

- المجلس الدولي للمتاحف (ICMOI)؛

- مركز التراث العالمي (WHC)...

وستنطرق فيما يلي لقوانين حماية التراث، من خلال إبراز مختلف القوانين والمواثيق الدولية، التي تعالج التراث العمراني على المستوى الدولي.

1 - 1 - الإطار القانوني والتشريعي لحماية التراث على المستوى الدولي

تمت المصادقة على مجموعة من الاتفاقيات والمواثيق الدولية لحماية التراث، حيث باتت الحاجة ماسة إلى وضع الأسس والمبادئ والأساليب والتشريعات المشتركة التي تتفق عليها الدول والأنظمة، والتي تعد مطلباً ضرورياً للحفاظ على التراث الثقافي.

اهتمت هذه الاتفاقيات بالمباني والمنحوتات والرسومات. حيث أصبح الإنشغال بحماية التراث المبني يأخذ أهمية قصوى، وصفة عالية في القرنين السابقين، خصوصاً بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. إذ صدرت دعوات عديدة، تهدف إلى وضع مواثيق وتوصيات دولية للمحافظة على التراث العالمي، وخاصة في ظل عمليات النمو العمراني السريعة، وغيرها من العوامل التي ساهمت في تدهور الآثار والمعالم المعمارية بشكل كبير.

1- 1 - 1 - الميثاق الإيطالي للترميم

بدأت أولى المواثيق بالصدور في أوروبا، خلال نهاية القرن التاسع عشر. كان أهمها سنة 1883 م وهو الميثاق الإيطالي للترميم¹، وفيما يلي موجز لأهم توصيات هذا الميثاق:

- حماية وتقوية المعالم التاريخية بإصلاحها عند الحاجة وليس ترميمه. بمعنى تجنب إضافة عناصر جديدة أو تجديد المبنى؛
- في حالة وجود حاجة ماسة لوضع إضافات، أو تجديدات من أجل الحفاظ على تماسك المبنى أو لأسباب أخرى ضرورية، وفي حالة عدم معرفة شكل الحالة الأصلية لجزء من المبنى الذي يراد إعادة بنائه، فإن الإضافات والتجديدات يجب أن تعمل بشكل يختلف عن طابع المبنى الأصلي، مع الحرص في الوقت نفسه على أن لا تتعارض هذه الإضافات والتجديدات مع الشكل الجمالي للمبنى²؛
- يجب أن تكون الإضافات التي توضع في جميع الأحوال متميزة عن الشكل الأصلي، أو يوثق على هذه الإضافات تاريخ إضافتها حتى لا تخدع عين الناظر، ويجب أن تكون الإضافات ضرورية فقط لأسباب إنشائية بسيطة وخالية من التفاصيل المعمارية والهندسية³؛

¹- ROSELLI, P. (1991) Restoration of the City this Day (trans), Alliena, Firenze, p:18.

²- أحمد حسين أبو الهيجاء، (2002): البحث في توجيه عمليات الحفاظ والترميم المعماري في فلسطين لحماية البيئة العمرانية والتراث المعماري، قطاع غزة، فلسطين، ص15.

³- ROSELLI, P. Ibid, p: 20.

- تشير الأعمال الفنية المتميزة سواء كانت منحوتات أو لوحات فنية، والتي توجد في بيئة خاصة أو تحتوي على ألوان إلى قدمها وطبيعتها الأثرية، ولذا يجب أن تكون عملية التدخل محصورة فقط في الحفاظ على هذه المعالم.

1 - 1 - 2 - اتفاقية لاهاي 1907

وقعت هذه الاتفاقية في 18 أكتوبر 1907 تعتبر متممة للاتفاقية السابقة (اتفاقية 1883)، والتي تحرم تدمير الممتلكات الثقافية، حيث نصت في المادة 27 أنه "في حالات الحصار أو القصف، يجب اتخاذ كافة التدابير اللازمة، لتفادي الهجوم قدر المستطاع على المباني المخصصة للعبادة والفنون والعلوم والأعمال الخيرية والآثار التاريخية والمستشفيات والمواقع التي يتم فيها جمع المرضى والجرحى، شريطة ألا تستخدم في الظروف السائدة آنذاك لأغراض عسكرية. ويجب على المحاصرين أن يضعوا على هذه المباني أو أماكن التجمع علامات ظاهرة محددة يتم إشعار العدو بها مسبقاً¹."

كما نصت المادة 56 من هذه الاتفاقية أنه: "يجب معاملة ممتلكات البلديات وممتلكات المؤسسات المخصصة للعبادة والأعمال الخيرية والتربوية، والمؤسسات الفنية والعلمية، كممتلكات خاصة، حتى عندما تكون ملكاً للدولة. كما يحظر كل حجز أو تدمير أو إتلاف عمدي لمثل هذه المؤسسات، والآثار التاريخية والفنية والعلمية، وتتخذ الإجراءات القضائية ضد مرتكبي هذه الأعمال²."

1 - 1 - 3 - ميثاق أثينا 1931

يعد أول ميثاق تعلن فيه الأسس العلمية للحماية والصيانة للأبنية التاريخية على المستوى العالمي، على ضوء المؤتمر الدولي لاتحاد المماريين ومرمي المباني التاريخية، والذي ركز فيه على تخصيص رعاية خاصة للمواقع التاريخية، وأوصى بضرورة الحفاظ على المباني التاريخية المستقلة واحترام الخصائص المعمارية والجمالية للمبنى عند استغلالها بشكل يؤكد استمرارها، وتبادل الخبرات والمهارات بين الدول في مجال الحماية والصيانة، وقد نص على³:

- التركيز على الصيانة المستمرة والدورية للمباني التاريخية، لتجنب تفاقم المشاكل التي تتعرض لها هذه المعالم؛

- وضع القوانين والتشريعات، التي من شأنها أن تحمي معالمها التاريخية. وإعطاء الأولوية للمصالح العامة على حساب الخاصة؛

¹ - <https://www.icrc.org/ara/resources/documents/misc/62tc8a.htm>

² - Le même.

³ - ميثاق أثينا، حماية المعالم التاريخية والطبيعية في العالم، اليونان، 1931 م، ص ص 1-4.

- يمكن استخدام المواد الحديثة في حالات الضرورة لمعالجة التقوية والدعم والترميم. ويشترط أن لا يؤثر سلباً على طبيعة المبنى الجمالية؛
- عند إنشاء مباني بالقرب من المعالم التاريخية، عليها أن تحترم هذه المعالم، خصوصاً إذا كانت قريبة منها. ويجب العناية بالفراغات المحيطة بهذه المعالم. وذلك من خلال مزروعات زخرفية الأشكال وذات طابع يتلاءم مع المعالم التاريخية. ويوصي الميثاق بعدم وضع أية لوحة دعائية، أو أسلاك كهربائية أو أسلاك تلغراف، أو السماح بإنشاء مصانع ملوثة صوتياً أو مناخياً بالقرب من هذه المعالم التاريخية. كما طلب الميثاق من الدولة والمؤسسات المعنية فيها ما يلي:
- توثيق المعالم التاريخية في استمارات خاصة وترفق عليها الصور والسرديات التاريخية؛
- إنشاء أرشيف يحفظ الوثائق المتعلقة بالمعالم التاريخية فيها؛
- إعلان المكتب العالمي للمتاحف في منشوراته عن أساليب الحفاظ التي تستعمل في بعض التدخلات النموذجية لحماية المعالم التاريخية.

1 - 1 - 4 - اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في حال النزاع المسلح 1954

جاءت هذه الاتفاقية مطورة ومتممة لمبادئ اتفاقيتي لاهاي لعامي 1899 و1907، بعد أن اتضح أن الممتلكات الثقافية منيت بأضرار جسيمة خلال النزاعات المسلحة. وأن الأخطار التي تتعرض لها تلك الممتلكات في ازدياد مستمر، نتيجة لتقدم تكنولوجيا الحرب. ولاعتقادها أن الأضرار التي تلحق بممتلكات ثقافية يملكها أي شعب هي جزء من التراث الثقافي العالمي. فكل شعب يساهم بنصيبه في الثقافة العالمية¹.

وقد دعت منظمة اليونسكو في 14 ماي 1954، المجتمع الدولي إلى مؤتمر لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في فترة الحروب والتي وافقت عليها 66 دولة. وأوصت في بروتوكولها الأول والثاني على اتخاذ كافة التدابير الدولية والوطنية لحماية المواقع الأثرية والممتلكات الثقافية للدول، باعتبارها تراثاً ثقافياً إنسانياً. كما تعهدت هذه الدول باحترام الممتلكات الثقافية الموجودة في أراضيها أو أراضي الغير.

وتلزم المادة 25 الدول الأطراف إدراج مضمون الاتفاقية في برامج التعليم العسكري والمدني، حتى يكون جميع سكان الأطراف المتعاقدة على علم بمبادئها، ولاسيما أفراد القوات المسلحة والموظفين المكلفين بحمايتها².

¹ - الثقافة والتراث القومي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في خطة الشاملة للثقافة العربية. الجزء الرابع. تونس 1992، ص 40.

² - نفسه، ص 41.

كما يتبين من خلال مواد الاتفاقية والبروتوكولات الملحقة بها، أن احترام الممتلكات الثقافية المشمولة بالحماية أمر ملزم في أوقات النزاع المسلح للدولة التي توجد في أراضيها ولأعدائها على السواء. ويقتضي احترام الممتلكات الثقافية أن تمتنع الدولتان المعنيتان بالصراع المسلح عن استخدام أي وسيلة للتدمير. كما تتعهد الدولتان بحظر السرقة، أو النهب أو الاختلاس أو التخريب ضد الممتلكات الثقافية¹. وقد كان لمنظمة اليونسكو الفضل في توقيع أول اتفاقية خاصة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح وذلك عام 1954، ببروتوكولها الأول في نفس السنة، ليتم تبني البروتوكول الثاني عام 1999².

1 - 1 - 5 - ميثاق البندقية 1964

طُرحت مسألة صون التراث إبان الحروب (منذ الحرب العالمية الثانية)، حيث أقيم المؤتمر الثاني للمهندسين المعماريين والفنيين في الآثار التاريخية بالبندقية سنة 1964 تحت إشراف اليونسكو. الذي اعتمد من طرف المجلس الدولي للآثار والمواقع التاريخية، الذي تم أسس في السنة الموالية لهذا الميثاق أي سنة 1965. تم توسع مفهوم الأبنية التاريخية لتشمل المحيطات الحضرية والريفية. وأكد على التأثير على أهمية "أعمال الحفاظ والصيانة لحماية المباني التاريخية" باعتبارها أعمالاً فنية، ولأنها تعتبر شاهداً تاريخياً.

وضع ميثاق البندقية المبادئ الأساسية للتعاطي مع التراث بشكل عام، والمعالم التاريخية بشكل خاص. حيث تضمن عدة مواد، منها على سبيل المثال³:

- ترميم المباني التاريخية يستعين بالعلوم والأساليب التقنية؛
- الغرض من ترميم المباني التاريخية هو حمايتها؛
- مواقع المباني الأثرية يجب أن تحظى برعاية خاصة؛
- جميع أعمال الصيانة والترميم لا بد من وجود وثائق دقيقة؛
- إعادة توظيف المباني الأثرية كوسيلة لضمان الحفاظ عليه.

جاء الميثاق بمنهجية تبرز أساليب جوهرية للحفاظ على الممتلكات الثقافية. وبذلك يعد مكملاً للتوصيات التي غلب عليها الجانب الإداري في ميثاق أثينا. ويمكن تلخيص أهمها فيما يلي:

¹ - اليونسكو 1985م ص: 19-42.

² - بونبون فرنسوا، نشأة الحماية القانونية في حالة النزاع المسلح ضمن إطار القانون الدولي الإنساني التعاقدية والعرفية، محاضرة قدمت في اجتماع الذكرى الخمسين لاتفاقية لاهاي 1954. ص 5، 14/11/2004.

<http://www.icrc.org/ara/resources/documents/misc/5xff7b.htm>

³ - ROSELLI, P. (1991), Restoration of the City this Day (trans), Alliena, Firenze, p: 28.

- تحظى المعالم التاريخية بحماية لا تقل أهمية عن حماية البيئة الطبيعية. ولا تطبق هذه الحماية فقط على المعالم المهمة، ولكن على الموروث الثقافي المتواضع، والذي يحتفظ في الوقت نفسه بمعاني ثقافية متميزة؛
- الحفاظ على المعالم التاريخية وترميمها، يشكلان مجموعة مختلفة من العلوم والتقنيات، التي يمكن أن تساهم في دراسة الموروث التاريخي وحمايته¹؛
- الحفاظ على المعالم التاريخية يجب أن يساندته توظيف ذو فائدة تعود على المجتمع. وعملية تأهيل المبنى حسب وظيفة معينة يجب أن لا تغير من توزيع المبنى وشكله؛
- لا يمكن فصل المعالم التاريخية عن التاريخ الشاهد عليها أو عن البيئة التي تقع فيها. لذا فإن نقل جزء من المعالم أو المعالم بأكملها لا يمكن أن يكون مقبولا، باستثناء الضرورة التي من شأنها أن تحمي هاته المعالم، أو أن يكون هناك أسباب مبررة وطنيا ودوليا لذلك².
- عند الترميم وجب الحفاظ على جميع العناصر التي تشكل المعالم طبقا لأي عصر بنيت فيه دون استثناء، لذا فإن وحدة الطابع لا تشكل هدف الترميم، ولا يعني إزالة إحدى الطبقات التي أضيفت في الحقب التاريخية المختلفة على المعالم أنها أقل أهمية من الطبقات التي يراد إبرازها³؛
- الإضافات غير مسموح بها إلا في حال تناسقها مع جميع عناصر المبنى⁴؛
- يجب أن تخضع المعالم التاريخية لمعالجات خاصة، بهدف حماية جميع مكوناته ومواصلة استخدامها؛
- يجب أن يرافق أعمال الحفاظ والترميم والحفر، توثيق غني ودراسات تحليلية مبينة من خلال رسومات وصور، وجميع خطوات الدعم والأعمال الفنية المختلفة التي تتم خلال التنفيذ⁵.

1-1-6- الاتفاقية الدولية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي باريس 1972

أبرمت هذه الاتفاقية بتاريخ 23 نوفمبر 1972 بباريس. وتناولت الاتفاقية ضمن 38 مادة أهم القوانين المتعلقة بحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي. وتعد من أهم الاتفاقيات الدولية في مجال التراث. وقد أقرها المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في دورته السابعة عشر المنعقدة في باريس 1972 م. وفيما يلي أهم ما ورد فيها⁶:

¹ - ROSELLI, P. (1991), Restoration of the City this Day(trans), Alliena, Firenze, p: 38.

² - Le même, p: 38.

³ - Le même, p: 39.

⁴ - Le même, p: 39

⁵ - Le même, p: 40.

⁶ - اليونسكو، اللجنة الدولية الحكومية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، النصوص الأساسية...، المرجع السابق، ص 11.

- اتخاذ سياسة عامة تهدف إلى جعل التراث الثقافي يؤدي وظيفة في حياة الجماعة، وإدماج حماية هذا التراث في مناهج التخطيط العام؛
- تأسيس دائرة أو عدة دوائر لحماية التراث الثقافي والطبيعي والمحافظة عليه وعرضه. وتزويد هذه الدائرة بالموظفين الأكفاء، وتمكينها من الوسائل التي تسمح بأداء الواجبات المترتبة عليه؛
- تنمية الدراسات والأبحاث العلمية والتقنية، ووضع وسائل العمل التي تسمح للدولة بأن تجابه الأخطار المهددة للتراث الثقافي والطبيعي؛
- اتخاذ التدابير القانونية والعلمية والتقنية والإدارية والمالية المناسبة لتعيين هذا التراث، وحمايته والمحافظة عليه وعرضه وإحياءه؛
- دعم إنشاء أو تنمية مراكز التدريب الوطنية والإقليمية، في مضمار حماية التراث الثقافي والطبيعي والمحافظة عليه وعرضه. وتشجيع البحث العلمي في هذا المضمار.
- وكان الهدف من هذه الاتفاقية هو تفعيل التعاون الدولي في مجال المحافظة على التراث. كما تنص على ضرورة قيام كل الدول الموقعة على الاتفاقية، بجرد وتصنيف أنواع ومكونات التراث أشكاله المتواجدة على ترابها بمختلف أشكاله.

1- 1 - 7 - مؤتمر أنقرة سنة 1980

- نظم من طرف المركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافية (ICCROM) وقد وضعت فيه عدة توصيات للحفاظ على المباني الأثرية، منها على سبيل المثال:
- دراسة التربة والمباني المحيطة بالأثر؛
- دراسة أسباب التلف؛
- دراسة أهمية الموقع ونوع الحماية المطلوبة؛
- عدم استخدام الأثر لأي وظيفة طوال فترة الترميم؛
- أن تكون الدراسة عملية ومبنية على موازنة مادية واضحة.

1- 1 - 8 - ميثاق واشنطن للحفاظ على المدن والمناطق التاريخية سنة 1987

- صدر هذا الميثاق عن المجلس الدولي للآثار والمواقع (ICMOS). يعتبر مكملاً لميثاق البندقية 1964. ويتفق مع جميع مفاهيم الحفاظ في المواثيق السابقة. فهو يشمل حماية المناطق والمراكز التاريخية الكبيرة والصغيرة. كما ركز على التدابير الضرورية للحماية والحفاظ والترميم بالمدن التاريخية

والمناطق العمرانية، والحماية من الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين والفيضانات.... وأكد على ضرورة التسجيل الدقيق قبل إجراء الحفاظ.

حدد البند 3 من هذا الميثاق أهدافه في أن "المشاركة وإشراك السكان أمر مهم في إنجاح برنامج الحفاظ، ويجب عليهم أن يكونوا حاضرين في كل أطوار البرنامج، وكذلك حضور جميع الفئات العمرية". بالإضافة إلى البند رقم 15 الذي ينص أن: "ضمن هدف تأمين مشاركة وإشراك السكان، يجب أن تنظم عملية تعريف عامة تبدأ من المراحل المدرسية. كما يجب تسهيل الإجراءات لتكوين جمعيات بغرض الحفاظ. كما يجب اتخاذ احتياطات لتأمين تمويل الحفاظ والترميم للمبنى".

1 - 1 - 9 - ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية

صدر هذا الميثاق في 2003 من خلال الأمانة العامة للهيئة العليا للسياحة بالمملكة العربية السعودية، وتم التأكيد خلاله على أهمية المشاركة المجتمعية، عن طريق مؤسسات المجتمع المدني وعلى أهمية التوعية. وفيما يلي عرض لبعض نصوص مواده:

تنص المادة رقم 15 أن تعمل الدول الأعضاء على توفير الدعم اللازم للجهود غير الحكومية في المحافظة على التراث العمراني، من خلال وضع اللوائح والأنظمة والقوانين التي تضمن مشاركة القطاعات الحكومية والجماعات المحلية والقطاعات غير الحكومية والجمعيات والأفراد، في تخطيط وتنفيذ برامج حماية وتطوير التراث العمراني.

في حين تحت المادة رقم 16 الدول الأعضاء على القيام بتوعية المجتمع بأهمية التراث العمراني كأحدى مكونات الإرث الثقافي العربي، مع وضع سياسات للتوعية بأهمية التراث العمراني، تستهدف كل المعنيين بالتراث ومختلف مستويات التعليم ومختلف متخذي القرار على المستويين الوطني والمحلي.

1 - 2 - المنظمات الدولية الخاصة بحماية التراث

تعالت العديد من الأصوات بعد الحرب العالمية الأولى، للاهتمام بالتراث وحمايته والحفاظ عليه. وهو ما أدى إلى إنشاء مجموعة من المؤسسات التي تتولى حمايته والمحافظة عليه بصفة خاصة. وقد أسهمت هذه المنظمات الدولية بشكل رئيسي في تحديد الإطار القانوني لحماية التراث سواء في السلم أو الحرب، كما ساهمت في تمويل مشاريع الصيانة والترميم، وتقديم المساعدة التقنية، وفي تأمين التمويل اللازم لضمان نجاح مشاريع الحفاظ وحماية التراث.

ونذكر من هذه المنظمات على سبيل المثال:

1 - 2 - 1 - منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)

تعد أهم الهيئات الدولية المعنية بحماية التراث الثقافي في العالم. فقد قامت بوضع الاستراتيجيات، والسياسات، والبرامج الهادفة. وسعت إلى إيجاد وبلورة المواثيق والمعاهدات المتعلقة بصون وحماية التراث الثقافي والطبيعي¹.

تأسست سنة 1945، وتضم 191 دولة. هدفها حماية التراث الثقافي والطبيعي، أحدثت هيئات تساعد على حماية المباني التاريخية والمواقع الأثرية، وأصدرت مجموعة من التوصيات لحماية التراث، رغم أن هذه الأخيرة لا تكتسي طابع الإلزام بالنسبة للدول الموقعة على اتفاقية التراث العالمي، لأنها لا تخضع لمسطرة المصادقة التي تمر منها الاتفاقيات الدولية².

فقد وفرت اليونسكو الغطاء الفكري والتنفيذي لحماية تراث الأمم والشعوب، والدعوة للبحث فيه، ونشره والاستفادة منه. كما أوضحت القيم الإنسانية التي يعكسها التراث الثقافي. وصار ذلك الغطاء تقليدا تلجأ إليه الدول الأعضاء للاستفادة منه. ومهما كانت درجة الاستفادة، والاعتبارات التي تحكمها فإن إصدارات اليونسكو، وتوجيهاتها، والمواثيق التي تطرحها، قد أغنت الإدارات المحلية بأساليب حماية التراث والأسس الموضوعية لتنميتها، وتطويره والحفاظ عليه³.

إن اهتمام منظمة اليونسكو بالتراث الثقافي للشعوب قديم قدم المنظمة ذاتها، ويمكن الاستدلال على ذلك بميثاق المنظمة واتفاقياتها المرتبطة بهذا المجال، والتي يعود تاريخ بعضها إلى السنوات الأولى لتأسيسها بعد الحرب العالمية الثانية من القرن المنصرم⁴.

كما اهتمت اليونسكو بتحديد خطوط عامة، من خلالها تم تنظيم وتوجيه عمليات الحفاظ على الموروث الثقافي والطبيعي للبشرية. وتأتي على سبيل المثال التوصيات التي أقرت من خلال الدراسات والمؤتمرات الدولية بدلالات عملية، تساهم في تحديد المهام والمسؤوليات والتقنيات، وذلك بتبني تدابير عملية وتقنية وإدارية وتشريعية ومالية مختلفة. ويمكن للدول أن تعدل تشريعاتها المحلية المتعلقة بحماية ممتلكاتها الثقافية والطبيعية، باعتمادها على كثير من الخطوط العامة المحددة في هذه التوصيات

¹ - www.unesco.org

² - عبد الواحد مهداوي (2008): حماية ورد الاعتبار للمدن العتيقة بالمغرب خلال القرن العشرين مع دراسة حالة مشروع إنقاذ فاس، دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس، فاس، ص105.

³ - ياسر هاشم عماد الهياجي، (2013): " إدارة مواقع الجذب السياحي التراثية، مدينة صنعاء القديمة أنموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود الرياض، ص: 35-36

⁴ - سعيد الكيتاني بن سليم (2010): " التراث الثقافي والإنسان والتنمية"، مجلة تواصل عدد 13، عمان، ص 72.

والتدابير على الصعيد الوطني، والتي أقرها المؤتمر العام أثناء دورته السابعة عشرة في باريس عام 1972م، والتي نورد بعضاً منها فيما يلي لأهميتها¹:

تؤكد المواد 19 و 20 و 21، على ضرورة أن تتخذ الدول الأعضاء الترتيبات اللازمة لصيانة تراثها الثقافي والطبيعي بعناية وبشكل دائم، حتى تتفادى القيام بعمليات باهظة التكاليف لترميم هذا التراث؛ ولهذه الغاية أوصت اليونسكو باتخاذ التدابير لإجراء رقابة منتظمة على عناصر هذا التراث الثقافي والطبيعي، وفقاً للإمكانيات العملية والتقنية والمالية المتوفرة لدى هذه الدول. وفي هذا الصدد توصي أيضاً بإجراء دراسات معمقة يقوم بها مختصون قبل الشروع بأي عمل. وبأن تقوم الدول بدراسة الأساليب الفعالة لدعم حماية عناصر التراث الثقافي والطبيعي. وتبحث في ترابط المشكلات العملية والتقنية والفنية المطروحة. وتحديد الوسائل التي تستخدم لمعالجتها².

وتتعمق المواد 22 و 23 بضرورة الحفاظ على الوظيفة الأصلية والمظهر التقليدي للممتلك الثقافي والطبيعي حيثما كان ذلك مناسباً، أو تستند إليها وظيفة أخرى أكثر ملائمة، بشرط ألا يقلل ذلك من قيمتها الثقافية، وأن لا ينشأ بناء جديد أو إعادة تشكيل لوحدها الأصلية التي قد تدخل به بسبب علاقات الأحجام والألوان القائمة بين الأثر المعني والبيئة المحيطة به³.

في حين تركز المادة رقم 25 على التنبيه على الآثار الضارة التي قد تنجم عن ما تفضي إليه حضارتنا الحديثة من تقدم تكنولوجي. وتدعو إلى وضع تدابير فنية مناسبة لمقاومة آثار التلوث والصدمات والاهتزازات التي تحدثها وسائل النقل والآلات، أو تلك التي تنجم عن المسببات الطبيعية ومنها الزلازل والفيضانات.

تعتبر المادة 26 أن عمليات إصلاح المباني متصلة بطبيعة المجتمعات واحتياجاتها الثقافية والاجتماعية. لذا فإن إصلاح كل منطقة يعتمد على خصوصياتها، حتى تكون هذه العمليات مبنية لتمكين الإنسان من أن يعمل وينمو ويحقق ذاته بالموقع الذي يتم ترميمه⁴.

وقد أقرت اليونسكو مجموعة من الاتفاقيات والتوصيات لحماية التراث نذكر منها:

- اتفاقية بشأن حماية التراث الثقافي غير المادي 2003؛
- اتفاقية بشأن حماية التراث الثقافي المغمور بالمياه 2001؛

¹ - اليونسكو، الاتفاقيات والتوصيات...، المرجع السابق، ص 129.

² - أحمد حسين أبو الهيجاء، مرجع سابق، ص 1.

³ - [http:// www.International.icomos.org/Fvenis.htm](http://www.International.icomos.org/Fvenis.htm).

⁴ - اليونسكو، الاتفاقيات والتوصيات...، مرجع سابق، ص 129-138.

- اتفاقية صيانة التراث العالمي والثقافي لعام 1972؛
 - اتفاقية حظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة بباريس سنة 1970؛
 - اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي 2003؛
 - اتفاقية لاهاي لحماية التراث الثقافي في حال نزاع مسلح 1954 وبروتوكولاها 1999؛
 - توصية بشأن حماية الممتلكات الثقافية المنقولة 1978؛
 - توصية بشأن مشاركة المجتمع المدني في الحياة الثقافية وإسهامها فيها؛
 - توصية بشأن التبادل الدولي للممتلكات الثقافية لعام 1986؛
 - توصية بشأن صون المناطق التاريخية ودورها في الحياة المعاصرة عام 1976؛
 - توصية بشأن حماية التراث الثقافي والطبيعي على الصعيد الوطني لعام 1972؛
 - إعلان اليونسكو بشأن التدمير المتعمد للتراث الثقافي 2003؛
 - إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي 2001¹.
 - توصية صون الممتلكات الثقافية التي تهددها الأشغال العامة والخاصة لعام 1968.
- يتضح من خلال هذه الاتفاقيات والتوصيات، أن اليونسكو تبذل جهودا متواصلة لضمان حماية الممتلكات الثقافية. فهي تعمل على دراسة المستجدات ونقاط الضعف في هذه الاتفاقيات. فتعمل على تعديلها، كما جاء في البروتوكول الثاني لاتفاقية " لاهاي لعام 1954 م والذي جاء كمحاولة لمعالجة عجز نظام الحماية الخاصة في الاتفاقية.

1 - 2 - 2 - المجلس الدولي للآثار والمتاحف (الايكوموس ICOMOS)

تأسس سنة 1965. هو منظمة دولية حكومية، يقع مقره بباريس. يتمثل دوره في تعزيز تطبيق نظرية صون التراث المعماري والتراث ومنهجيته وتقنياته العلمية². ويقوم نشاطها على مبادئ الميثاق الدولي لصون المواقع والآثار وترميمها لعام 1964 (ميثاق البندقية)³.

يتمثل دور المجلس الدولي للآثار والمتاحف في ما يلي: تقييم الممتلكات المرشحة لإدراجها في قائمة التراث العالمي؛ دراسة طلبات المساعدة الدولية التي تقدمها الدول الأطراف؛ تقديم المساهمة والدعم في مجال أنشطة بناء القدرات¹.

¹ - www.unesco.org

² - www.International.icomos.org/Fvenis.htm.

³ - ميثاق البندقية، المرجع السابق، ص: 1-2.

ومن بين مهامه أيضا:

- جمع خبراء الحفاظ على التراث المعماري من جميع أنحاء العالم، وإنشاء إطار للتبادل والحوار العلمي والمهني؛
- التعاون على الصعيدين الوطني والدولي في إنشاء مراكز التوثيق، المتخصصة في الحفاظ على التراث المعماري؛
- التشجيع على اعتماد وتطبيق الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالحفاظ على التراث المعماري وتعزيزه؛
- المشاركة في وضع برامج لتكوين متخصصين في الحفاظ على التراث على مستوى العالم؛
- خلق لجن وطنية للمجلس الدولي للآثار والمتاحف ICOMOS.

1 - 2 - 3 - المركز الدولي لدراسة وصون الممتلكات الثقافية وترميمها (ICCROM)

انبثق هذا المركز عن منظمة اليونسكو في العام 1959 خلال مؤتمرها العام المنعقد بنيودلهي، وهو منظمة دولية حكومية يوجد مركزه بروما بإيطاليا. يضم أكثر من 125 دولة. وتتمثل مهامه النظامية في الاطلاع على برامج في مجال البحوث والتوثيق، والمساعدة التقنية والتدريب وتوعية السكان، بهدف صون التراث الأثري المنقول وغير المنقول².

ويعد المركز الدولي لدراسة وصون الممتلكات الثقافية وترميمها، واحدا من ثلاث هيئات استشارية في لجنة التراث العالمي التي تعمل على تنفيذ اتفاقية التراث العالمي لعام 1972. له إسهامات فاعلة في زيادة الاهتمام باحتياجات مواقع التراث وإدارتها، وتطوير المعايير التي تؤدي إلى حفظها بصورة متكاملة³.

يتجلى الهدف من إنشاء هذه المنظمة، في الحفاظ على التراث الثقافي والوعي بأهميته، من خلال خمسة مجالات رئيسية من النشاط وهي: التدريب، التوثيق، البحوث، المساعدة التقنية وتوعية الجمهور في مجال المحافظة والحماية.

1 - 2 - 4 - لجنة التراث العالمي (WHC)

تعتبر واحدة من اللجان المرتبطة بإدارة التراث الثقافي العالمي، والتي انبثقت عن اتفاقية اليونسكو لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي في العام 1972. وتعمل منذ العام 1976. والغرض من هذه

¹ - اليونسكو، اللجنة الدولية الحكومية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، المبادئ التوجيهية...، المرجع السابق، ص: 20.

² - اليونسكو، المرجع السابق ص 19.

³ - فانتة كردي وسلمان مازن، (2008): " المنظمات الدولية والعربية ودورها في الحفاظ وإعادة تأهيل المدن القديمة وتنميتها سياحيا"، مجلة بحوث جامعة حلب، العلوم الهندسية، سوريا، ص: 67.

اللجنة هو تعيين التراث الثقافي والطبيعي ذي القيمة العالمية الاستثنائية، وحمايته، والمحافظة عليه، وإصلاحه، ونقله للأجيال المتعاقبة¹.

وتتولى اللجنة المختصة دراسة الترشيحات وفقا لمعايير وضعتها للاستعانة بها في اختيار الممتلكات التي تدرج في قائمة التراث العالمي، بالتشاور مع المجلس الدولي للنصب التذكارية والمواقع الأثرية (إيكوموس)، والاتحاد الدولي لصون الطبيعة والموارد الطبيعية، والمركز الدولي لدراسة ترميم الممتلكات الثقافية وصونها (ايكروم)².

1 - 2 - 5 - اللجنة الدولية لإدارة التراث الأثري (ICAHM)

تأسست سنة 1990 م. وتعد بمثابة لجنة استشارية عالمية، متخصصة في مجال التراث الأثري تابعة للإيكوموس. تهدف إلى تشجيع تبادل المعلومات والبحوث بين علماء الآثار، وغيرهم من المتخصصين، وأصحاب القرار في مجال التراث الثقافي. كما تهدف إلى الحفاظ على التراث الثقافي المادي عبر برامج توعية الجمهور. ومن أهم إنجازاتها: الميثاق الدولي لإدارة التراث الأثري³.

1 - 2 - 6 - التراث الثقافي بلا حدود (CHWB)

تمثل منظمة إغاثة دولية تأسست سنة 1995 م. تهتم بالحفاظ على التراث الثقافي المهدد بالخطر. وتؤمن بأن تدمير التراث الثقافي الذي ينتمي لأي مجموعة من الناس، هو تدمير للتراث الثقافي للناس جميعا. إذ يتوجب على الجميع أن يكون لهم إسهاماتهم في التراث الثقافي العالمي⁴.

1 - 2 - 7 - صندوق التراث العالمي (WHF)

أنشئ هذا الصندوق بموجب اتفاقية حماية التراث العالمي سنة 1972 م. يمول بالمساهمات الإلزامية والطوعية التي تقدمها الدول الأعضاء، لتأمين حماية التراث الثقافي الموجود على أراضيها، أو تلبي الاحتياجات العاجلة لصيانة الممتلكات المدرجة في قائمة التراث العالمي المعرض للخطر، أو تقديم الدعم الفني في صيانة الآثار والمباني التراثية⁵.

¹ - أيمن عزمي جبران سعادة، (2009): مرجع سابق، ص: 69.

² - خيرية عبد الله إبراهيم الأصفه، (2010): " إدارة التراث الثقافي في المملكة العربية السعودية - حالة الحرف والمصوغات التقليدية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، ص: 93.

³ - www.icrom.org

⁴ - أيمن عزمي جبران سعادة، (2009): مرجع سابق، ص 69.

⁵ - www.unesco.org/en/about

1 - 2 - 8 - منظمة المدن الأثرية العالمية

هي منظمة عالمية غير حكومية تضم 215 مدينة ذات مواقع أثرية مصنّف لدى اليونسكو ضمن قائمة التراث العالمي. تأسست في 8 سبتمبر سنة 1993 بمدينة فاس بالمغرب. تساهم في تطبيق اتفاقية حماية التراث الثقافي والطبيعي والميثاق الدولي لحماية المدن التاريخية والمواقع الأثرية، وإعطاء الأولوية على المستوى الجهوي والدولي للتعاون وتبادل المعلومات بين كل المدن التاريخية للعالم، وذلك بالتعاون مع المنظمات المختصة.

1 - 2 - 9 - البنك الدولي

عمل البنك الدولي بشكل متزايد في برنامج تنشيط التراث العالمي وخدمته، ولاسيما في الدول النامية. فمنذ العام 2001 قام البنك الدولي بعقد عدة اجتماعات مع مركز التراث العالمي لمناقشة التعاون في مجال الثقافة والتنمية، وتعزيز الحفاظ على مواقع التراث العالمي كجزء من برامجه ومشاريعه. وبشراكة مع مؤسسة BRETON NOODS تم تأسيس مجموعة البنك الدولي للتراث الثقافي، حيث شكلت المتاحف والمباني التراثية محور اهتمامه¹. كما عقد لقاءات متعددة مع مركز التراث العالمي للتعاون من أجل الحفاظ على مواقع التراث العالمي.

للإشارة فإن البنك الدولي يتدخل ماديا في رد الاعتبار للمدن القديمة، وذلك من خلال تقديم قروض ومنح أو هبات، عكس المنظمات غير الحكومية السابق ذكرها. فمثلا على مستوى المجالات المدروسة، تتدخل اليونسكو وغيرها من المنظمات غير الحكومية عن طريق التحسيس وإنجاز الدراسات.

1 - 3 - المنظمة الخاصة بحماية التراث بالعالم العربي والإسلامي

1 - 3 - 1 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ALESCO)

تأسست هذه المنظمة سنة 1945 مع نشأة الدول العربية، ومقرها بتونس. وتهدف إلى تنسيق الجهود العربية للحفاظ على التراث العربي وحمايته، ونشره سواء أكان مخطوطا، أم تحفا فنية، أم أثرية. وقد قدمت هذه المنظمة بعض الدعم لعدد من المدن العربية التاريخية، من أجل الحفاظ على تراثها الحضاري، كما أسهمت في تسجيل العديد من المدن العربية التاريخية في لائحة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو².

¹ - www.albanaldawli.org

² - فاتنة كردي ومازن سمان، (2008): مرجع سابق، ص: 70.

1-3-2 - منظمة المدن العربية (ATO)

تأسست في عام 1967م. هي منظمة غير حكومية، مقرها الدائم بمدينة الكويت. تهدف إلى رعاية التعاون، وتبادل الخبرات بين المدن العربية، إضافة إلى الحفاظ على هوية المدينة العربية، وتراثها، ومساعدتها في تحقيق مشروعاتها الإنمائية. وقد انبثق عن المنظمة عدة مؤسسات، هي:

- المعهد العربي لإنماء المدن، ومقره الرياض؛
- صندوق تنمية المدن العربية، ومقره الكويت؛
- جائزة منظمة المدن العربية، ومقرها قطر التي أعلنت عام 1984م، ومن ضمن محاورها جائزة التراث المعماري¹.

1-3-3 - مؤسسة الأغا خان للثقافة

أنشئت رسمياً في عام 1988م في جنيف كمؤسسة خيرية. هي الوكالة الثقافية لشبكة الأغا خان للتنمية. تسعى إلى تحسين الحياة الثقافية في المجتمعات الإسلامية. ولهذه المؤسسة عدد من البرامج، أبرزها: برنامج دعم المدن التاريخية (HCP) الذي أصدر في العام 1991م، لتنفيذ مشاريع الترميم، وإعادة التنشيط الحضري في المواقع الثقافية بالعالم الإسلامي²، بالإضافة إلى تعزيز مبدأ الحفاظ على المدن التاريخية، وإعادة توظيف مبانيها بوظائف جديدة وعصرية.

كما يركز البرنامج أيضاً على استراتيجية إعادة تأهيل المواقع التاريخية، من خلال العمل على التطوير الاجتماعي، والثقافي، وتنميتها اقتصادياً³. ومن أنشطة هذه المؤسسة كذلك جائزة الأغا خان للعمارة الإسلامية⁴.

1-3-4 - مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (IRCICA)

انبثق هذا المركز عن منظمة المؤتمر الإسلامي في العام 1976م. وبدأ نشاطه عام 1982م. يهدف هذا المركز إلى الاهتمام بالحرف اليدوية التقليدية وتنشيطها في بلدان العالم الإسلامي، بالتعاون مع الهيئات والمنظمات الإقليمية والدولية. كما يهدف إلى تعزيز مفهوم التراث الثقافي الإسلامي، وتوثيقه، والحفاظ عليه، وإبراز إنجازات هذا التراث فيما يخص الآثار، والتراث العمراني، والتراث الثابت والمنقول⁵.

¹ - سيد أشرف صالح محمد، (2010): " التراث الحضاري في الوطن العربي - أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ"، بحث مقدم إلى ندوة الحفاظ على التراث الحضاري في الوطن العربي، البتراء، الأردن، مطبوعات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ص 142.

² - أيمن عزمي جبران سعادة، (2009): مرجع سابق، ص 69.

³ - فائقة كردي ومازن سمان، (2008): مرجع سابق، ص: 67.

⁴ - www.akdn.org

⁵ - خيرية عبد الله إبراهيم الأصقة، (2010): مرجع سابق، ص: 98.

1 - 3 - 5 - منظمة العواصم والمدن الإسلامية (OICC)

أنشئت سنة 1980م هي منظمة دولية غير حكومية، وغير ربحية. مقرها مكة المكرمة. هدفها الرئيسي هو الحفاظ على هوية وتراث العواصم والمدن الأعضاء التي تزخر بالتراث المعماري والعمراني الإسلامي. كما تهدف إلى عقد المؤتمرات، وتمويل مشاريع الخدمات البلدية والبيئية، والبحوث والتدريب وحماية التراث من خلال صندوق التعاون التابع للمنظمة¹.

1 - 3 - 6 - المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية (ISESCO)

تأسست في فاس عام 1982م، ومقرها الرباط. تتمحور أهدافها في الحفاظ على الهوية الإسلامية، والاهتمام بالتراث الثقافي الحضاري في العالم الإسلامي².

1 - 3 - 7 - مؤسسة التراث

مؤسسة خاصة أسسها الأمير سلطان بن سلمان ابن عبد العزيز آل سعود في العام 1996م. ثم تحولت إلى مؤسسة خيرية سنة 2008 م. تهتم بالتراث فكريا وعلميا، بوصفه عنصرا متجددا يستمد عراقته من الماضي، ليسهم في انطلاقة حضارية واثقة إلى المستقبل³.

¹ - www.oicc.org

² - www.isesco.org

³ - www.al-turath.com

خلاصة

أسهمت المنظمات العالمية والإقليمية بشكل فاعل في تناول موضوع التراث، فتعددت أدوارها على مستوى العالم، حيث عملت على وضع قوانين واستراتيجيات، تتعلق بعمليات الحفاظ عليه وإعادة تأهيله. شكلت إطار نظري متكامل، يمكن للدول أن تستمد منه الأفكار المناسبة، لوضع قوانينها وتشريعاتها الخاصة بحماية التراث والحفاظ عليه.

وتقوم المنظمات الدولية بعقد المؤتمرات والملتقيات، وتنظيم الدورات التدريبية والتعليمية، التي تمثل فرصاً للدول النامية، لتدريب وتكوين أطرها في كيفية حماية وصيانة تراثهم الوطني. بالإضافة إلى ذلك تساهم هذه المنظمات، خاصة اليونسكو على نشر الوعي والتحسيس بأهمية التراث والحفاظ عليه، عن طريق إصدار مجلات ومنشورات، وإطلاق الحملات الدولية التي تهدف إلى رفع الوعي العام لدى سكان هذه الدول وخاصة في صفوف الشباب.

كما أبدت المنظمات الإقليمية أهمية كبيرة للتراث - وخصوصاً المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ALECSO والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ISESCO - ، إذ عملت على وضع القوانين والتشريعات على المستوى العربي في مجال حماية التراث الثقافي، وتم إصدار القانون الموحد للآثار. كما عملت على جمع قوانين الآثار في الدول العربية، ونشرتها في وثائق توزع على المسؤولين عن الآثار في الدول العربية.

بالإضافة إلى عقد الدورات التدريبية في مجالات الآثار، من أجل بناء القدرات العربية في الحفاظ على التراث الثقافي بشقيه المادي واللامادي، وقيامهم بنشر الدراسات والأبحاث في موضوعات التراث، بهدف زيادة الوعي بأهمية التراث.

2 - تشريعات حماية التراث العمراني على المستوى الوطني

أولى المغرب اهتماما قويا بالتراث العمراني منذ عهد الحماية، بإصدار ظهير 29 نونبر 1912؛ ومنذ هذا التاريخ تطور التشريع المغربي، بإصدار مجموعة من النصوص التشريعية والقانونية، الهدف منها حماية المعالم التاريخية؛ كما تنوعت وتعددت مع هذه الترسانة القانونية، المؤسسات المسؤولة عن تنفيذها وعن حماية هذا التراث.

إذن ماهي هاته القوانين والتشريعات؟ ومن هي المؤسسات المنوطة بها تنفيذ هذه القوانين وحماية التراث العمراني بالمغرب؟

2 - 1 - القوانين التشريعية لحماية التراث بالمغرب

2 - 1 - 1 - ظهير 26 نونبر 1912¹ كإجراء احترازي لحماية المعالم التاريخية

بادر المارشال ليوطي منذ توقيع عهد الحماية على المغرب، إلى وضع ظواهر وقوانين لحماية التراث المغربي. فمنذ تعيينه مقيما عاما للحماية الفرنسية، وأمام رغبته في إبراز قوة الحماية، أراد إنقاذ التراث المغربي بدون إيقاف عجلة التنمية الصناعية والعمرانية والفلاحية². فتم إصدار أول قانون يهتم التراث، هو ظهير 26 نونبر 1912³، المتعلق بالمحافظة على المعالم التاريخية والكتابات المنقوشة، وبحماية البقايا الأثرية المرتبطة بتاريخ الدولة المغربية، وكذا القطع الفنية التي تساهم في جمالياتها. كما أكد الظهير على ضرورة وضع المآثر التاريخية وما يليها تحت المراقبة الخاصة للإدارة المركزية، وأيضا بتقييدها وترتيبها بمراسيم وضوابط محدودة.

ركز هذا الظهير على جعل المعالم المرتبة بالمدن القديمة، من أسوار، ومساجد، وسقايات، ومدارس، والتابعة لأحباس العمومية، غير قابلة للتقويت إلى الغير. أما المعالم الموجودة في ملكية الأشخاص الذاتيين كالحمامات والأفرنة، والفنادق، فإنه اعتبر أمر ترتيبها لا يعني نزع ملكيتها، لكن في إطار المصلحة العامة، أخضعها لمجموعة من الارتفاقات القانونية⁴. وقد احتوى هذا الظهير على خمسة عشرة مادة، تهدف بالأساس إلى المعالجة والمحافظة على التراث الوطني.

¹ - المملكة المغربية الشريفة، ظهير 16 ذي الحجة 1330 - 26 نونبر 1912، الجريدة الرسمية عدد 5 بتاريخ 29 نونبر 1912.

² - BOUAZZA- EL ASSOULI. B, (1993) , La protection du patrimoine culturel au Maroc, p.37.

³ - المملكة المغربية الشريفة، ظهير 16 ذي الحجة 1330 / 26 نونبر 1912، الجريدة الرسمية عدد 5 بتاريخ 29 نونبر 1912.

⁴ - نفسه.

2- 1- 2 - ظهير 13 فبراير 1914: المتعلق بصيانة الأبنية والكتابات التاريخية والمحافظة

على الأماكن التي تحيط بها

عمل المارشال ليوطي على سد الفراغ الذي كان في ظهير 1912م لحماية التراث، فتم إصدار ظهير 13 فبراير 1914 الموافق 17 ربيع الأول 1332 هـ المتعلق بحماية المعالم التاريخية والكتابات المنقوشة والعاديات والمناطق المحيطة بالمعالم والمواقع الطبيعية¹.

صدر هذا الظهير، لسد الفراغ الذي كان موجود بالظهير السابق، والذي كان يتسم بالعمومية والغموض وعدم التدقيق. وشمل تعديلات تهدف أساسا إلى حماية المناطق المحيطة بالمعالم التاريخية والمواقع التي تمثل قيمة فنية². وقد ركز هذا القانون أولا على المناطق المحيطة بالمعالم التاريخية والمواقع، ثم المواقع والمعالم الطبيعية ثانيا.

استهدف قانون 13 فبراير 1914 بالأساس حماية المناطق المحيطة بالمعالم التاريخية، وبالمواقع التي تمثل قيمة تراثية، ومن ضمنها بالطبع بعض التجهيزات العمومية كالمساجد والأضرحة. فقد مكن هذا الظهير من توسيع نطاق المعلمة المرتبة، التي لم تعد مجرد بناية معزولة. كما عمل على إدماجها داخل محيطها، وتوفير شروط الحماية والاستمرار إليها. وبهذا فهو يعتبر الأساس القانوني لحماية التراث العمراني القديم، والذي بفضلته تمت وقاية العديد من البنايات التاريخية ضد التحولات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الجارفة، التي شهدتها الأنسجة القديمة منذ فترة الحماية.

أحدث ظهير 13 فبراير 1914 ما سمي بـ "مناطق الحماية" الخاصة بالمعالم التاريخية والمواقع التي تمثل قيمة فنية أو تاريخية، ويمكن أن تستفيد من مسطرة الترتيب وفق الإجراءات المسطرية المعتمدة³.

ويبقى الهدف من إصدار ظهير 13 فبراير 1914، هو ضمان حماية الأماكن المحيطة بالمعلمة والمواقع التي تمثل قيمة فنية، والتسريع في إجراءات التسجيل للمباني والأشياء التي تم إدخالها في سجل المخزون العام للتراث الثقافي المفتوح والمحتفظ به في وزارة الشؤون الثقافية، هذا بالإضافة إلى إجراء التصنيف.

1- المملكة المغربية الشريفة، ظهير 17 ربيع الأول 1332هـ/13 فبراير 1914.

2- نفسه.

3- عبد الواحد مهداوي، (2008): مرجع سابق، ص 107.

2-1-1 - التقييد وآثاره على المعالم التاريخية

التقييد هو شكل الحماية الذي وضع نصه عام 1914، ويتعلق بما يلي: المعالم التاريخية والطبيعية، والمواقع، والمناطق المحيطة بالمعالم التاريخية والنقوش. وهذا التصنيف يجعل من هذا الأخير لا يمكن هدمه حتى جزئياً، وإصلاحه أو ترميمه، إلا بعد إذن وتحت سلطة إدارة المعالم التاريخية والفنون الجميلة.

وتعد الأبنية والعقارات مواقع تاريخية وتقييد في كناش خصوصي، إذا تبين من موقعها أو مما خصت به أن لها علاقة خاصة بتاريخ ممتلكتنا السعيدة¹.
يقرر هذا التقييد بظهير شريف بعد ما يطلبه الصدر الأعظم وبعد استشارة رئيس إدارة الأبنية التاريخية².

2-1-2 - طلب التقييد وإجراءات البحث

إذا كانت المعلمة غير تابعة للدولة، يطلب التقييد إما من طرف رئيس مصلحة الفنون الجميلة والمعالم التاريخية، أو من طرف المالك، أو من طرف المدير العام للأوقاف إذا كانت المعلمة في ملكيتها، أو من طرف المصلحة العمومية المعنية التي تنتمي لها المعلمة³. من جهة أخرى أكد المشرع على ضرورة إجراء بحث قبل الإقدام على قرار تقييد المعالم والمواقع. وهو أمر يلزم الإدارة بالتحري بشأن الأسس التي بني عليها هذا الطلب، ومدى توفر شرطي "الفنية" و"التاريخية" المنصوص عليها بموجب المادة الأولى من هذا الظهير. ويجري البحث بموجب قرار وزيري ينشر بالجريدة الرسمية⁴، وذلك وفق المسطرة التالية:

- الإخبار: يخبر صاحب العقار المراد تقييده، وكذا مختلف السلطات المخزنية والفرنسية للسهر على احترام الآجال المحددة في شهرين تبدأ من تاريخ الإخبار، ويبدأ بعدها سريان مفعول التقييد⁵.

- الإشهار: وهي إخبار كافة المعنيين بتاريخ انطلاق البحث، مع ضرورة نشر وتعليق القرار الوزاري القاضي بإجراء البحث بمحكمة القاضي، بمكاتب القائد وبمحلات السلطات الإدارية الفرنسية. كما يتم نشر ذلك بالأسواق من طرف القائد⁶.

¹- ظهير 13 فبراير 1914، الفصل الأول.

²- نفسه، الفصل الثاني.

³- نفسه، الفصل الثالث.

⁴- نفسه، الفصل الرابع.

⁵- نفسه، الفصل الخامس.

⁶- نفسه، الفصل الخامس.

- **الأخذ برأي اللجنة البلدية:** هي لجنة تتكون من ممثلي مختلف المصالح العمومية المعنية بحماية التراث. وخلال فترة البحث يمكن لكل من يهمله الأمر أن يقدم ملاحظاته للسلطات المعنية التي ترسلها بدورها إلى رئيس مصلحة الفنون الجميلة والمعالم التاريخية قصد دراستها. كما أن الإعلان عن البحث يترتب عنه اعتبار المعلمة المعنية كأنها معلمة مقيدة خلال فترة إجراء البحث¹.

- **مسطرة التقييد:** تبنى مسطرة التقييد على شرطين أساسيين هما:

- **الأجل:** يجب أن ينشر النص القاضي بتقييد معلمة ما قبل انصرام سنة واحدة على نشر القرار الوزاري المتعلق بفتح البحث، وفي حالة عدم صدور هذا النص، يعتبر البحث لاغيا ويجب إعادة نفس المساطر المتبعة لفتحه من جديد، إلا أن المعلمة لا يمكن اعتبارها كمعلمة مرتبة خلال فترة البحث الجديدة²، ويجب أن يصدر التقييد بعد سنة واحدة على الأقل من الإدراج في النشرة الرسمية لأمر فتح التحقيق.

- **التبليغ:** يختلف عن البحث، إذ يبلغ مالك المبنى وكذا الجهات المعنية بذلك بقرار التقييد، ويرفق القرار بورقة تقديمية حول المعلمة، وكذا كل التصاميم والرسوم البيانية المتوفرة حولها، وفي حالة تعرض أحد المعنيين على دقة المعطيات الواردة في الوثائق المرفقة يتم اللجوء إلى الخبرة، حيث يعين خبيران لهذه الغاية؛ فيعين الأول من طرف رئيس مصلحة الفنون الجميلة والمعالم التاريخية، ويعين الثاني من طرف المعني بالأمر³.

2- 1- 2 - الآثار المترتبة عن التقييد

منع الفصل الثامن من ظهير 1914 أي تدخل بالهدم الكلي أو بعضه للبناء المقيد، إلا بظهير شريف بناء على ما يقرره الصدر الأعظم بعد استشارة رئيس إدارة الفنون الجميلة والبناءات القديمة. ولا يسمح أيضا في تغيير شيء منه إلا بعد إعلام رئيس إدارة الفنون. وتكون حينئذ هذه الأشغال تحت مراقبة الإدارة المشار لها. ولها أن تمنع مباشرة الأشغال ما لم يرفع الأمر إلى المحكمة التي لها النظر في الأمور الإدارية، ويجري العمل بمنع الإدارة فورا من غير التفات إلى استئناف صاحب الملك⁴.

كما نص الفصل الثامن على منع أي ترميم أو تغيير كيفما كان نوعه للمعلمة، إلا بترخيص مسبق من لدن رئيس مصلحة الفنون الجميلة⁵. إلا أنه إذا كان المشرع قد قيد حرية المالك في التصرف في المعلمة، فإنه أعطى الحرية للإدارة في رفض إجراء أشغال الترميم، ومراقبتها وتتبعها في حالة

¹- ظهير 13 فبراير 1914، الفصل السادس.

²- نفسه، الفصل السادس.

³- نفسه، الفصل السابع.

⁴- نفسه، الفصل الثامن.

⁵- نفسه، الفصل الثامن.

الترخيص بها. كما أنه ترك الاختيار للإدارة في إنجاز أشغال الترميم على حساب الدولة بعد أخذ رأي المعني بالأمر¹. كما أمر هذا الظهير بفرض عقوبات على المالك في حالة معارضته لأشغال الترميم أو عرقلته لها بغرامة مالية تتراوح ما بين مائتين فرنك وخمسمائة فرنك².

هذا النص لم يقتصر اهتمامه بالمباني التاريخية، بل اهتم بالمواضع الطبيعية وبالمناطق المحيطة بهما. لكنه ترك أمر تحديد عمق ومساحة المناطق المحيطة إلى حين صدور ظهائر خاصة بها. وهو ما تمت ترجمته على أرض الواقع، بعد صدور هذا النص، من خلال إصدار العديد من النصوص القانونية المحدثه لهذه المناطق بالعديد من المدن القديمة.

2 - 1 - 2 - 4 - نظام زجر المخالفات

من خلال ظهير 1914 ومن أجل حماية الممتلكات العامة، سن المشرع عقوبات على كل من خالف مقتضياته. فقد حدد النص غرامة مالية تتراوح ما بين مائة وخمسمائة فرنك لكل من عارض إنجاز أشغال تهدف من خلالها الإدارة إلى المحافظة على معلمة³. أما بالنسبة للغرامة المتعلقة بإنجاز الأشغال بدون ترخيص مسبق من لدن مصلحة الفنون الجميلة، فقد حددت ما بين مائتي فرنك وخمسمائة فرنك⁴. وقد ألزم الفصل السابع من هذا القانون السلطات المحلية ليس فقط بالكشف عن المخالفات، ولكن بالتدخل المباشر لإيقافها. بل إنه اعتبر القواد، والعمال وممثلي السلطة العمومية والبلديات وإدارة الأوقاف، مسؤولين مدنيا عن المخالفات في حالة إهمالهم للخطر المحدق بالبنائيات والتحف الفنية الواقعة تحت نفوذهم⁵. إذ يتبين لنا مدى الاهتمام الكبير الذي أولته سلطات الحماية لحماية التراث، من خلال تجنيد الإدارة من موظفين وأعاون في المراقبة والتسيير وتطبيق قوانين هذا الظهير.

2 - 1 - 2 - 5 - مناطق الحماية

إن أهم ما جاء به ظهير 1914 هو إحداث "مناطق الحماية" الخاصة بالمعالم التاريخية والمواقع، التي ميزت بين ثلاث أنواع من الارتفاقات هي:

أ - ارتفاق محرمة للبناء

يقصد به الحظر التام لبناء مبان جديدة داخل الموقع. ويتعلق الأمر بالمجالات التي تحيط بالمعلمة التاريخية من 6 إلى 250 مترا. أما في حالة الأسوار، تكون المنطقة الداخلية في الغالب صغيرة جدا إن

¹- ظهير 13 فبراير 1914، الفصل التاسع.

²- نفسه، الفصل الثالث عشر.

³- نفسه، الفصل التاسع.

⁴- نفسه، الفصل الثالث عشر.

⁵- نفسه، الفصل الثامن والثلاثون.

لم تكن غير موجودة، ومع ذلك تحظر دعم أي عمل على السور. وتشير إلى أنه في حالة انهيار البناء الحالي، لا يمكن بناء أي بناء جديد وبالتالي مسح الموقع. وبمقتضى هذا القانون تم تخصيص 30 مترًا للمقابر و50 مترًا للمآثر و250 مترًا لحماية المدن.

ب - ارتفاع منع التعلية

وذلك بمنع تعلية فوقها إذ يحدد فيما بين 4 و12 مترًا بهدف عدم حجب رؤية المعالم التاريخية المراد حمايتها. ويتعلق بالفضاءات التي تمتد مباشرة بعد مناطق المحرمة للبناء؛ وفي حالة الأسوار هناك تمييز بين منطقة داخل الأسوار، في الأول يجب ألا تتجاوز هذه البنايات ارتفاع الأسوار؛ بينما الثانية تختلف حسب كل حالة بالمنطقة الثانية.

ج - ارتفاع المظهر

إنها مسألة الحفاظ على محيط المواقع والمعالم المصنفة، إذ يجب على الإدارة ضمان احترام مظهر الأماكن المحيطة بالمعالم التاريخية، سواء كان مناطق محرمة للبناء أو مناطق منع التعلية.

2-1-2 - القياسات الخاصة بالمدن القديمة

إن ظهير 16 فبراير 1914 لا يتحدث مباشرة عن حماية المدينة. لكنه يتحدث عن حماية المواقع التي قد تكون داخل المواقع الحضرية، حيث تتخذ جميع التدابير اللازمة لحماية جمال المدن القديمة، لمنع وصول البناء العصري إليها والتأثير على جمالياتها وخصوصياتها.

هكذا، منذ بداية فترة الحماية في المغرب، صمم Henri PROST تخطيط المدن الجديدة، مع الفصل التام بين المدن الأوروبية والمحلية. وتحقيقا لما أراده المقيم العام في الحفاظ على مظهر المدن المحلية، والآثار التاريخية أو الدينية. وقد اعتمدت العديد من النصوص في تطبيق هذه المبادئ التوجيهية.

2-1-2-7 - إلغاء التقييد

أدخل هذا النص مفهوما جديدا يلغي بموجبه مقتضيات التقييد. وهو إجراء قد يكون جزئيا أو كليا يصادق عليه بظهير شريف بناء "Déclassement" على طلب من الصدر الأعظم وأخذا برأي مصلحة الفنون الجميلة والمعالم التاريخية. ويتم إخراج المباني من حيز التقييد وفق المساطر المعتمدة في

التقييد¹. كما يجب الإشارة إلى أن النص لم يحدد موجبات هذا الإجراء والأسباب الواجب توافرها قبل الإقدام عليه.

خلاصة حول قانون 1914

كان لقانون عام 1914 ميزة كبيرة، تتمثل في وضع حماية الدولة لمعظم المعالم والمواقع التاريخية، التي لا تزال تشكل التراث الوطني المعماري والتراث الثقافي الحضري. ولم يكن من الضروري سوى إدخال تشريع جديد، أكثر اكتمالا وأكثر دقة وأكثر ملائمة بشكل خاص للتحديث المذهل الذي عرفه البلد في غضون ثلاثين سنة. وبالتالي فإن المشرع وضع قانونا جديدا تمثل في الواقع أعمال قانون حماية التراث العقاري، الذي ظل ساريا حتى عام 1980.

1-1 - 3 - 21 يوليوز 1945

توقف العمل بظهير 1914 بحلول سنة 1945، واستبدل بظهير 21 يوليوز 1945 الذي أضاف جملة من المقتضيات، خاصة فيما يتعلق بالحفاظ على المآثر التاريخية، والمواقع والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات، والمدن القديمة والنماذج المعمارية الجهوية².

أضاف هذا الظهير مجموعة من المقتضيات القانونية لسابقه، حيث حافظ على مجموع إجراءات الحماية الواردة في الظهيرين السابقين، بالإضافة إلى توسيع مفهوم الحماية، ليشمل المدينة القديمة بكل مكوناتها، بما فيها التجهيزات التقليدية.

إن أهم ما نص عليه ظهير 1945، هو أن رخصة البناء بالنسيج القديم لا تمنح من طرف مصالح البلدية، إلا بعد الحصول على موافقة مدير التعليم العمومي والفنون الجميلة والمآثر التاريخية، وهي المصلحة التي أوكلت لها مهمة حماية التراث العمراني آنذاك، وعوضت بوزارة الثقافة مع الاستقلال³.

مع إصدار هذا القانون امتدت الحماية القانونية، لتشمل المناظر الطبيعية مع إشارة خاصة إلى المدن القديمة من ناحية، ومن ناحية أخرى، سيتم تخفيف إجراءات التصنيف وتحديدتها. واعتبر المشرع أنه يجب حماية المناظر الطبيعية، باعتبارها تراثا ثقافيا بنفس الطريقة التي تحظى بها المواقع التاريخية، فضلا عن المدن القديمة والحديثة.

¹ - ظهير 13 فبراير 1914، الفصل الرابع عشر.

² - المملكة المغربية الشريفة، ظهير 11 شعبان 1364 هـ / 21 يوليوز 1945، الجريدة الرسمية 1715 بتاريخ 7 شتنبر 1945.

³ - نفسه.

ومن خلاله أيضا تم توسيع مجال الاهتمام بالتراث، من التعامل مع المعلمة التاريخية والموقع الأثري فقط كهدف لعمليات المحافظة إلى المدينة القديمة كوحدة متكاملة. بل إن النص الجديد أولى عناية خاصة للنماذج المعمارية المتواجدة بضواحي المدن، التي تمثل تراثا معماريا هاما¹. كما اتفق هذا الظهير مع الظهيرين السابقين، وأضاف إليهم مفهوما جديدا، هو حماية المدن القديمة والنماذج المعمارية الجهوية التي لم تكن مدرجة في ظهيري 1912 و1914.

2- 1 - 3 - 1 - مسطرة التقييد

نص ظهير 1945 على أن رخصة البناء لا يمكن أن تمنح من قبل المصالح البلدية أو السلطة المكلفة بالمراقبة إلا بعد الحصول على الرأي الموافق لمدير التعليم العمومي (Le Directeur de l'Instruction Publique) بعد إلغاء مصلحة الفنون الجميلة والمآثر التاريخية والمواقع². وخضعت مسطرة التقييد في ظهير 1945 لبعض التعديلات مقارنة بالتشريعات السابقة، وذلك بهدف تسهيل إجراءات التقييد، نذكر منها:

- يعود تقييد بناية أو معلمة ما في عداد الآثار إلى مدير العلوم والمعارف³ Directeur de l'Instruction Publique، وذلك بعد إلغاء مصلحة الفنون الجميلة والمعالم التاريخية والمواقع بموجب ظهير 31 ماي 1935م/ 28 صفر 1354هـ، والتي تم تعويضها بمفتشية المعالم التاريخية التابعة مباشرة لمديرية التكوين العمومي.
- توكيل الصدر الأعظم بقرار التقييد مباشرة، بعدما كان يتخذ من طرف السلطات بعد اقتراح من المصالح المختصة سابقا. فهذا الإجراء، وإن كان قد جاء في إطار تبسيط المساطر التي اتسمت بالتعقيد، فإنه ينم عن رغبة الإدارة الاستعمارية في وضع يدها على القيم التاريخية للمغرب⁴. وتختلف مسطرة التقييد حسب وضعية المعلمة العقارية:

أ - البنايات المخزنية والحبسية والعرشية

تم تقييدها بناء على اقتراح من مدير العلوم والمعارف بعد موافقة مدير الأشغال العمومية، بالنسبة للأماكن العمومية ومدير المالية أو رئيس قسم المياه والغابات، حسب الحالات، بالنسبة لملك الدولة الخاص، ومدير الشؤون السياسية بالنسبة للأماكن الجماعية أو العقارات المشتركة، ورئيس مصلحة

¹ - عبد الواحد مهداوي، (2008): مرجع سابق، ص 61.

² - ظهير 31 ماي 1945 الموافق لـ 28 صفر 1345 هـ.

³ - الفصل الثاني من ظهير 1945.

⁴ - BOUAZZA -El ASSOULI , B. (1993), p. 63.

المراقبة بالنسبة للأماكن الحساسة؛ ويرجع إلى رأي اللجنة البلدية بالنسبة للمدن والمراكز التي توجد بها هذه اللجنة¹. وفي هذه المسطرة تم إلغاء البحث الأولي الذي يجرى عادة قبل مسطرة الترتيب.

ب - البنايات الخاصة

- خصص لهذه البنايات حيزا هاما في مسطرة الترتيب (من المادة السادسة إلى المادة الحادي عشر)، ومن جملة التطورات التي جاء هذا الظهير بها، نذكر:
- ارتفاع مدة البحث بموجب النص الجديد حول التقييد من شهرين إلى ثلاثة أشهر بقرار من مدير العلوم والمعارف؛
- تنشر السلطة المحلية إعلان ملف التقييد، والذي يضم تاريخ افتتاح البحث؛
- يتم نشر الإعلان في جريدتين مسموح لهما بنشر الإعلانات الإدارية؛
- تقدم لجنة خاصة بالمصالح المحلية رأيها حول مشروع التقييد؛
- تقدم السلطة المحلية ملف التقييد إلى مدير العلوم والمعارف؛
- يتم تسجيل القرار الوزاري المتعلق بالتقييد بالرسم العقاري.

ج - المعالم التاريخية والمواقع

حدد الظهير بشكل دقيق طبيعة المعالم والمواقع التي تتطلب التقييد؛ حيث حصر الفصل الثالث والعشرون لائحة المواصفات المطلوب تحقيقها في هذه المعالم لكي تخضع لمسطرة التقييد؛ إذ أشار إلى أن "المواقع والمناظر البهيجة طبيعية كانت، أو موجودة بالمدن، والتي لها صبغة فنية أو تاريخية أو العجائب أو راجعة للقصص، وكذلك المناطق المحيطة ببعض الأبنية التاريخية، يمكن تقييدها في عدد الأبنية التاريخية".

كما احتفظ الظهير بنفس الإجراءات المتبعة على مستوى تقييد المعالم التاريخية من الفصل الثالث إلى الفصل العاشر.

2- 1 - 3 - 2 - الآثار المترتبة عن التقييد

بعد استقراءنا لأبرز ما جاء به ظهير 1945، بخصوص تقييد المعالم التاريخية، والمواقع الطبيعية، والمناطق المحيطة بالمعالم التاريخية، والمدن القديمة، والهندسة المعمارية الجهوية، يمكن استخلاص الآثار التالية:

¹ - ظهير 31 ماي 1945، الفصل الرابع.

أ- الآثار المترتبة على المعالم التاريخية

في السابق كان كافيا للمالك أن يعلم الإدارة بإرادته للتدخل في المعلمة المصنفة، إلا أن ظهور 1945 منع الهدم الجزئي أو الكلي للمعلمة إلا برخصة مصادق عليها بقرار وزاري، يتخذ بناء على اقتراح مدير العلوم والمعارف¹. كما فرض التفويض وسيطرة الإدارة على كل العمل في مبنى تاريخي محمي.

نص الفصل الثاني عشر من الظهير، على ضرورة الحصول على ترخيص من طرف مدير العلوم والمعارف، تحت مراقبة مفتشية المعالم التاريخية في حالة إنجاز أعمال الترميم أو إحداث تغيير بالمعلمة. ومنع كذلك أي بناء بمحيط المعلمة. لكنه أجاز بيعها أو استبدالها. وأوجب في حالة بيع معلمة مقيدة تكون في ملكية ذاتية إخبار المالك الجديد بقرار التقييد.

وفي سياق حماية المعالم التاريخية المقيدة من الآثار الناجمة عن الارتفاقات المتعلقة بالتعمير، فبالإضافة إلى رفض تطبيق ارتفاق التصنيف² على المعالم التاريخية، أدخل النص الجديد في نطاق هذا المنع جميع الارتفاقات.

إلا أن ما ينبغي الإشارة إليه في هذا الصدد، هو أن التشريع المتعلق بالتعمير³ الذي صدر بعد هذا الظهير، فرض الحصول على تأشيرة مدير العلوم والمعارف، على أي قرار للتصنيف يهم المدن القديمة التي تتوفر على ضوابط الحماية، وكذا المواقع المقيدة. وهو ما يتعارض مع الرفض الواضح لخضوع المعالم المقيدة للارتفاقات المتعلقة بالتصنيف الذي أقره ظهير 1945م.

ب - الآثار المترتبة على المعالم الطبيعية والمواقع والمناطق المحيطة بها

أشار الظهير في فصله الخامس والعشرين، فيما يتعلق بالآثار المترتبة على تقييد المعالم الطبيعية والمواقع والمناطق المحيطة بالمعالم التاريخية، إلى أن المقننات المتضمنة في الفصول من الحادي عشر إلى التاسع عشر بخصوص المعالم التاريخية تعتبر سارية على المعالم الطبيعية والمواقع والمناطق المحيطة بها. بالإضافة إلى بعض المقننات الجديدة، التي أوردها كما يلي:

- يمنع أي بناء جديد في المناطق المحيطة بالمعالم التاريخية. أما بالنسبة للبنى القائمة قبل صدور قرار التقييد، فلا يسمح فيها إلا بأعمال الصيانة بعد ترخيص مسبق من مدير العلوم والمعارف؛

¹ - عبد الواحد مهداوي، (2008): مرجع سابق، ص 66.

² - ارتفاق التصنيف هو عملية إحداث أو توسيع أو حذف الطرق العامة، والذي قد يشمل تهديم بنايات قائمة.

³ - ظهير 30 يوليوز 1952 م المتعلق بالتعمير الصادر بالجريدة الرسمية عدد 2083 بتاريخ 26 شتنبر 1952م.

يخضع تثبيت الخطوط الكهربائية والتلغرافية والتليفونية للترخيص من طرف مدير العلوم والمعارف، هذا إذا لم يكن القرار الوزاري القاضي بتقييد المعلمة أو الموقع أو المنطقة المحيطة بالمعلمة التاريخية قد منع ذلك أصلاً؛

- يمنع بناء المنشآت الفنية ولو كانت ذات منفعة عامة، إذا كانت تهم الموقع، أو جزء منه أو المعلمة أو المنطقة المحيطة بها، إلا بعد موافقة مدير العلوم والمعارف.

ج - الآثار المترتبة على المدن القديمة والهندسة المعمارية الجهوية

يستوجب بموجب هذا الظهير الحصول على رخصة في حالة البناء بهذه المناطق، من طرف السلطات البلدية أو المحلية بعد موافقة مدير العلوم والمعارف.

2 - 1 - 3 - إلغاء التقييد

يتم حجز ثلاثة بنود إلغاء التقييد، حيث يتم توفير الأحكام التالية:

- يحق للأشخاص طلب إلغاء التقييد، هم نفس الأشخاص المؤهلين للتقييد؛
- يتم إلغاء تقييد كل من مباني الدولة أو الأوقاف أو الجماعية بنفس أشكال تقييدها؛
- وبالنسبة للمباني الخاصة، يتم تحديد أن يتم إلغاء التقييد بموجب مرسوم وزاري.

2- 1 - 3 - 4 - زجر المخالفات

ارتفعت قيمة الغرامات في هذا الظهير، حيث تتراوح ما بين فرنك واحد وثلاثمائة ألف فرنك في حالة مخالفة مقتضياته. كما أقر عقوبة حبسية من يوم واحد إلى شهر.

خلاصة حول ظهير 1945

يبدو أن الإجراءات الوقائية عملت بشكل جيد منذ أن تم تغيير التشريع فقط في عام 1980، أي أنه حتى بعد الحماية، بدأ هذا التشريع مناسباً للسياق المغربي. وقد جاء قانون 1980 الجديد أساساً لاعتماد التشريعات المطبقة للحقائق الإدارية الجديدة التي أدخلت بعد الاستقلال.

2- 1 - 4 - قانون 80-22: المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات

المنقوشة والتحف الفنية

تأخر التشريع المتعلق بحماية الآثار والمواقع بعد الاستقلال، بسبب مهام أخرى أكثر أهمية تتمثل في إعادة بناء الدولة التي خضعت لأكثر من 40 سنة تحت الاستعمار. وفي سنة 1980 تم إصدار قانون جديد رقم 80.22 الصادر بتنفيذه الظهير رقم 1-80-341 المؤرخ 25 دجنبر 1980. يتعلق

بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعادات الذي لازال ساريا إلى يومنا هذا.

وقد أدخل هذا الظهير مقتضيات قانونية جديدة تهم "التسجيل والتقييد" والترتيب وحق الشفعة وأعمال الحفر والاستكشاف والمخالفات والعقوبات. إلا أننا نلاحظ اختفاء شروط حماية المدن القديمة والمعمارية، على الرغم من أن بعض المواد تشير إلى أنه يجب حماية التراث المعماري.

ولكي تكتسب العقارات هذه الحماية يجب أن ترتب في عداد الآثار، فمسطرة الترتيب إذن هي التي تضفي على العقار صبغة المنفعة العامة. غير أنه قد يتضح نتيجة أبحاث علمية أو دراسات تاريخية أن العقار لا تتوفر فيه الخصائص التي بررت ترتيبه، فتتزع عنه صفة المنفعة العامة بسلوك مسطرة الإخراج من عداد الآثار.

والهدف من التقييد هو تمكين الدولة من إجراء جرد شامل لمختلف مكونات التراث الثقافي، مع تبسيط المساطر المتعلقة بالتدخل لإنقاذه من التدهور، واتخاذ كل الإجراءات للحفاظ على حق الملكية الذي يضمنه القانون¹.

2 - 1-4-1 - مسطرة التقييد

إجراء يصدر عن وزير الثقافة يسمح بالحفاظ وحماية الموقع أو المآثر التاريخية المهددة بالتدهور؛ "إنه إجراء أخف وزنا وأسرع يسمح بتسجيل المباني أو الأشياء المسجلة في سجل الجرد العام للتراث الثقافي المفتوح والمحتفظ به في وزارة الشؤون الثقافية"³. حيث نص الفصل الأول من هذا القانون أنه يمكن أن تقيّد أو ترتب في عداد الآثار العقارات بالأصل أو التخصيص وكذا المنقولات التي في المحافظة عليها فائدة بالنسبة لفنون المغرب أو تاريخه أو حضارته².

تطبق أحكام الفصل الأول على المباني التاريخية أو المعالم الطبيعية، على المناظر التي لها طابع فني أو تاريخي أو أسطوري، أو تهم العلوم التي تعنى بالماضي والعلوم الإنسانية بوجه عام. كما تدخل في حكم المباني التاريخية من حيث التقييد أو الترتيب، الصور المنقوشة والرسوم الصخرية والأحجار المكتوبة والكتابات على المباني التاريخية أو على القبور أو غيرها، أيا كان العهد الذي ترجع إليه، واللغة

¹ - لحسن تاوشخت، (2017): العمارة المغربية المبنية بالتراب وتحديات المحافظة والتأهيل، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، الرباط،

هسبريس - تمودة 3، ص 10.

² - ظهير 22-80، الفصل الأول.

التي كتبت بها أو الخطوط أو الأشكال التي تصورها إذا كانت لها قيمة فنية أو تاريخية أو أسطورية، أو كانت تهم العلوم التي تعنى بالماضي والعلوم الإنسانية بوجه عام¹:

كما تجري نصوص أحكام هذا الفصل على المنقولات، بما في ذلك الوثائق والمحفوظات والمخطوطات التي تكون لها بطابعها الأثري أو التاريخي أو العلمي أو الفني أو الجمالي أو التقليدي قيمة وطنية أو عالمية. ويمكن أن تتكون المنقولات المذكورة من عناصر منفردة أو من مجموعات عناصر².

2-4-1-2 - تقييد المنقولات والعقارات

بالنسبة لتقييد المنقولات والعقارات واستندا إلى نصوص الفصول 5 و6 و7 من هذا القانون، فإنه يباشر تقييد المنقولات والعقارات وفقا للنصوص التنظيمية المعمول بها، ويتعين على ملاك العقارات والمنقولات المقيدة أن ييسروا الإطلاع عليها ودراساتها للباحثين المأذون لهم في ذلك. ولا يجوز تغيير طبيعة العقار أو المنقول المقيد ولا إتلافه ولا ترميمه ولا إدخال تغيير عليه، ما لم يعلم المالك أو الملاك الإدارة بذلك قبل التاريخ المقرر للشروع في الأعمال بستة أشهر على الأقل.

وهكذا يتم توجيه طلب تقييد المباني التاريخية والمعالم الطبيعية والمناظر التي لها طابع فني أو تاريخي أو أسطوري، أو تهم العلوم التي تعنى بالماضي والعلوم الإنسانية بوجه عام إلى السلطة الحكومية المكلفة بالشؤون الثقافية. وتعرض طلبات التقييد في عداد الآثار على لجنة يرأسها ممثل السلطة الحكومية المكلفة بالشؤون الثقافية، وتضم ممثلا للسلطة الحكومية المكلفة بإعداد التراب الوطني وممثلا لوزير الداخلية.

فمسطرة التقييد تعتبر ضرورية، وتجسد عملية ممهدة تسبق إجراءات ترتيب العقارات الخاصة في خانة الآثار.

2-4-1-3 - ترتيب العقارات والمنقولات

ينص الفصل 12 أنه يجب أن يبدي المجلس الجماعي التابع له موقع العقار رأيه في مشروع الترتيب خلال مدة البحث. ويعتبر المجلس موافقا على هذا المشروع إذا لم يبد رأيه خلال الأجل المذكور³.

¹ - ظهير 22-80، الفصل الثاني.

² - تم تغيير البند الثاني من الفصل الثاني بمقتضى المادة الأولى من القانون رقم 19.05 الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.06.102 بتاريخ 18 من جمادى الأولى 1427 (15 يونيو 2006)؛ الجريدة الرسمية عدد 5435 بتاريخ 7 جمادى الآخرة 1427 (3 يوليو 2006). 1646.

³ - ظهير 25 دجنبر 1980، الفصل الثاني عشر.

كما يحدد الفصل 13 من هذا القانون، أن المواقع الطبيعية أو المناظر الطبيعية أو الحضرية التي لها طابع فني أو تاريخي أو أسطوري، أو تهتم العلوم التي تعنى بالماضي والعلوم الإنسانية بوجه عام؛ وكذا المناطق المحيطة بالمباني التاريخية، ينتج عند الحاجة عن ترتيبها فرض ارتقاقات، تحدد في المقرر الإداري الصادر بالترتيب، وعند الاقتضاء منع إقامة المنشآت المشار إليها في المقطع الأخير من الفصل 23، وذلك لأجل حماية نمط البناء الخاص بجهة، أو محل معين أو طبيعة النباتات أو التربة.

2-1-4 - 4 - 4 - الالتزامات المقررة على مالك العقار

تتجلى هذه الالتزامات في منع المالك من التصرف في ملكه، من خلال إحداث تغييرات من شأنها أن تؤثر بشكل سلبي على العقار المشمول بالحماية، وهو ما يؤكد عليه القانون عندما أفاد أنه: لا يجوز تغيير طبيعة العقار أو المنقول المقيّد أو إتلافه ولا ترميمه ولا إدخال تغيير عليه، ما لم يعلم المالك أو المالك الإدارة بذلك قبل التاريخ المحدد للشروع في الأعمال بستة أشهر على الأقل¹.

أما في حالة ما إذا كان المالك يريد ترميمها، فستمكن هذه المدة الإدارة من دراسة إمكانية تقديم دعم مالي للمالك، لتمكينه من القيام بالأشغال اللازمة لصيانة المعلمة المسجلة، أو دراسة إمكانية تدخل الدولة بوسائلها الخاصة، بعد موافقة المالك لإنجاز الأشغال المطلوبة².

2-1-4 - 5 - 4 - مسطرة الترتيب

تدرج المنقولات والعقارات التي صدر القرار بتقييدها في سجل الجرد العام للتراث الثقافي أو الفهرس الوطني للنقوش، والرسوم الصخرية، والأحجار المكتوبة، والكتابات المنقوشة على الآثار. وتتميز مسطرة الترتيب بالبحث العلني الذي يجري بخصوصها، من خلال الفصل 11 من القانون رقم 22.80 الذي يعد شرطاً أساسياً في هذه المسطرة، وينص على:

- يدخل في حكم العقارات أو المنقولات المرتبة العقار أو المنقول الذي أجري بحث بشأنه قصد ترتيبه، وذلك خلال مدة سنة تبتدئ من التاريخ الذي ينشر فيه بالجريدة الرسمية المقرر الإداري الصادر بإجراء البحث المذكور.

وفي ختام هذه المسطرة، يتم إدراج العقار في عداد الآثار بمقتضى مرسوم يتخذ باقتراح من السلطة الحكومية المكلفة بالشؤون الثقافية، بعد استشارة الوزير المكلف بإعداد التراب الوطني، وتقييد العقارات المدرجة في عداد الآثار في قائمة خاصة تضعها وتتعهدها وزارة الشؤون الثقافية.

¹- ظهير 25 دجنبر 1980، الفصل السادس.

²- نفسه، الفصل السابع.

أ- أثر الترتيب في عداد الآثار

لا يجوز ترميم العقار المرتب أو تغييره إلا بعد الحصول على رخصة إدارية¹. ولا يمكن إنجاز أي بناء جديد في عقار مرتب دون رخصة تمنح وفقا للنصوص التنظيمية المعمول بها². كما لا يمكن إدخال أي تغيير كيفما كان، ولا سيما عن طريق التجزئة أو التقسيم على مظهر الأماكن الواقعة داخل دائرة العقارات المرتبة، إلا بعد الحصول على رخصة إدارية.

ويتوقف تسليم رخصة البناء أو التجزئة أو التقسيم من لدن السلطة الجماعية المختصة على الرخصة المشار إليها في المقطع السابق. وفيما يخص المناظر والمناطق المفروضة عليها ارتفاقات منع البناء، فإن البناءات الموجودة بها قبل صدور قرار الترتيب، لا يمكن القيام فيها إلا بأعمال الصيانة بعد الحصول على رخصة. ولا يجوز تشييد بنايات جديدة مكان البناءات التي تم هدمها. أما فيما يخص إقامة خطوط الكهرباء والمواصلات السلكية واللاسلكية الخارجية أو الظاهرة، فتتوقف بالإضافة إلى ما ذكر على رخصة ما لم ينص على منعها في المقرر الإداري الصادر بالترتيب³.

ب- العقوبات

نستخلص من خلال النصوص القانونية لهذا الظهير الفصل 52 و 53 و 54 أنها نصت فقط على الغرامات، دون العقوبات الحبسية أو السجنية، وهو ما يفسر التهاون وضعف التشديد في السياسة العقابية في مجال البناء.

فقد نص الفصل 52 من القانون على أن يعاقب بغرامة مالية من ألفين إلى عشرين ألف درهم (2.000 إلى 20.000) كل من يخالف أحكام هذا القانون⁴، أما في حالة تكرارها فيعاقب بغرامة لا يمكن أن تقل عن ضعف الغرامة المحكوم بها سابقا من غير أن تتجاوز أربعين ألف درهم (40.000).

وينص المشرع المغربي في الفصل 53 من هذا قانون أن المخالفات للفصول 22 و 23 و 28 وعدم احترام الارتفاقات المفروضة وفقا للفصل 13 يعاقب عليها طبق الشروط المقررة في الفصل 19 وما يليه

¹- ظهير 25 دجنبر 1980، الفصل 21.

²- نفسه، الفصل 22.

³- نفسه، الفصل 23.

⁴- نفسه، الفصل 52.

إلى الفصل 33 من الظهير الشريف الصادر في 7 ذي القعدة 1371 (30 يوليو 1951) بشأن التعمير¹ مع مراعاة تطبيق أحكام الفصل السابق.

كما يعاقب بغرامة من 5.000 إلى 20.000 درهم²:

- كل شخص لم يخبر المفوت له بوجود تقييد أو ترتيب لمنقول؛
- كل مالك لمتحف خاص أو حائز لمنقولات مقيدة أو مرتبة لم يقيم بإعداد الجرد خرقا لأحكام الفصل 32-5.

ويعاقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين وبغرامة من 20.000 إلى 200.000 درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط كل من:

- فوت منقولا مقيدا أو مرتبا دون أن يخبر الإدارة المختصة خلافا لأحكام الفصل 32 أعلاه؛
 - صدر بوجه غير قانوني المنقولات المشار إليها في الفصول 32-3 و44 و58 من هذا القانون؛
 - بتر منقولا أو أتلفه أو غيره أو حرف طبيعته أو زيفه خلافا لأحكام الفصل 32 - 1 أعلاه.
- بالإضافة إلى الفصل 54-3³ الذي ينص زيادة على العقوبات المنصوص عليها في الفصول 52 و53 و54، الحكم: بغرامة تساوي عشر مرات قيمة المنقول الذي ارتكبت المخالفة في شأنه. وتكتسي هذه الغرامة صبغة تعويض مدني؛ وبمصادرة المنقول المذكور.
- تكون المصادرة إجبارية في حالة تصدير منقولات خلافا لأحكام الفصول 32 - 3 و44 و58 وفي حالة استكشافات غير مصرح بها وعمليات حفر غير مرخص في إنجازها.

خلاصة حول قانون 22-80

يعتبر القانون الحالي لحماية الآثار والمواقع التاريخية، ثمرة ما يقرب من سبعين سنة من التفكير في الوسائل القانونية لحفظ وحماية هذا التراث الغني والمتنوع.

فقد تطورت النصوص التي تضمن الحفاظ على الآثار والمواقع التاريخية بطريقة تمثل الصيغة التقليدية للحماية، من خلال التقييد وحماية المناطق المحيطة والمقيدة. ولم يعد من الممكن النظر إلى

¹ - تم نسخ ظهير الشؤون العقارية الصادر في 7 ذي القعدة 1371 (30 يوليو 1952) بمقتضى المادة 87 من القانون رقم 012.90 المتعلق بالتعمير الصادر بتنفيذ الظهير الشريف رقم 1.92.31 في 15 من ذي الحجة 1412 (17 يونيو 1992)؛ الجريدة الرسمية عدد 4159 بتاريخ 14 محرم 1413 (15 يوليو 1992) ص 887.

أنظر كذلك المادة 88 من هذا القانون، السالف الذكر.

المادة 88: "الإحالات الواردة في النصوص التشريعية والتنظيمية إلى أحكام الظهير الشريف الصادر في 7 ذي القعدة 1371 (30 يوليو 1952) في شأن التعمير تنصرف بقوة القانون إلى الأحكام المطابقة لها المقررة في هذا القانون".

² - تم نسخ وتعويض الفصول 54 أعلاه، بمقتضى المادة الثالثة من القانون رقم 19.05، السالف الذكر.

³ - تم نسخ وتعويض الفصول 54 أعلاه، بمقتضى المادة الثالثة من القانون رقم 19.05، السالف الذكر.

الآثار والمواقع كوحدات معزولة عن بيئتها، فهي جزء لا يتجزأ من النسيج الحضري، مما يؤدي إلى ترابط تشريعات حماية التراث مع التخطيط الحضري.

2- 1 - 5 - مشروع قانون 43-2000 المتعلق بحماية وصيانة التراث

أمام عدم ملائمة القانون 22-80 مع الحالة الراهنة للتراث المغربي ومع المستجدات المحلية والدولية، تم إعداد هذا المشروع الذي ضم 122 مادة من قبل وزارة الشؤون الثقافية. ولتحقيق أهدافه تم إحداث "لجنة وطنية للتراث" للإدلاء بمقترحاتها حول السياسات والبرامج والمشاريع المتعلقة بالمحافظة والصيانة وإعادة توظيف التراث بمختلف مكوناته¹.

وقد سعى المشروع إلى تبسيط مساطر عملية الترتيب (التي احتفظ عليها) وتقنين عمليات التنقيب الأثري والاكتشافات الأركيولوجية ووضع ضوابط قانونية لها (الفصل 6)، بالإضافة إلى امتيازات ضريبية لكل من يقوم بترميم وصيانة ورد الاعتبار للمعالم التاريخية والثقافية بنسبة 40% (الفصل 7)...، ورغم أهمية هذا المشروع، فإنه لم "يقدر له أن يخرج لحيز الوجود، حيث ظل حبيس مكاتب وزارة الثقافة..."².

2- 1 - 6 - قانون التعمير 12-90

صودق عليه بموجب ظهير رقم 31-92-1 في 15 ذي الحجة 1412هـ الموافق لـ 17 يونيو 1992، حيث أولى عناية فائقة لحماية التراث التاريخي والثقافي من خلال احترام ارتفاقات السير والصحة والأمن والجمالية والمواءمة (المادة 4). كما تم الاهتمام بالمدينة القديمة من خلال "مشروع قانون تأهيل العمران"³ الذي نصت مادته 17-18 على إعداد "التصميم المحلي للتعمير" بغرض تحديد المناطق التراثية التي تستلزم المحافظة عليها إجراءات خاصة، كما تشير المادة 30 منه إلى المناطق المحمية لأغراض بيئية أو تاريخية أو جمالية، لذلك نصت المادة 144 منه على وجوب الاستعانة بالمهندسين في جميع الأشغال المتعلقة بترميم الآثار. وقد حدد هذا القانون في مادته الرابعة من فرعه الثاني على تحديد الأغراض العامة المخصصة لها الأراضي وتعيين مواقع من بينها:

- الأماكن الطبيعية والتاريخية والأثرية التي يجب القيام بحمايتها أو إبراز قيمتها بهما معا؛

- المناطق التي تشكل تهيئتها محل نظام قانوني خاص؛

¹ - وزارة الشؤون الثقافية، مشروع قانون 43-2000 المتعلق بحماية وصيانة التراث الثقافي والطبيعي للمملكة المغربية، الفصلان 3-4.

² - مصطفى كنكورة، (2010): استراتيجية المحافظة ورد الاعتبار للمدن العتيقة بالمغرب حالة مكناس من 1912 إلى بداية القرن 21، أطروحة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، ص 255.

³ - وزارة التراث الوطني والتعمير والإسكان والبيئة. مشروع قانون تأهيل العمران عدد 42-00 يوليوز 2000.

- تحديد المناطق الواجب إعادة تنظيمها وتجديدها.

كما تضمنت المادة الخامسة من هذا القانون محتوى هذا المخطط الذي تتكون وثائقه من رسوم بيانية، وتشمل بوجه خاص على خرائط تتضمن بيان استعمال الأراضي وتحدد المناطق الزراعية والغابوية. كما تتضمن إن اقتضى الحال تصميمًا لصيانة التراث التاريخي وإبراز قيمته. بالإضافة إلى تقرير يبرر ويشرح اختيارات التهيئة المبينة في هاته الخرائط.

أما فيما يتعلق بتصاميم التهيئة PA، فقد نص القانون من خلال المادة التاسعة عشر التي يهدف من خلاله تصميم التهيئة، إلى تحديد جميع أو بعض العناصر التالية، ومن بينها الأحياء والآثار والمواقع التاريخية أو الأثرية والمواقع الطبيعية، كالمناطق الخضراء العامة أو الخاصة الواجب حمايتها، أو إبراز قيمتها لأغراض جمالية أو تاريخية أو ثقافية، وكذلك القواعد المطبقة عليها إن اقتضى الأمر ذلك. يتضح إذن من خلال هذا القانون، الاهتمام الخاص والعناية التي أولاها لمسألة حماية التراث التاريخي والثقافي.

وقد تم إجراء مجموعة من الدراسات المعمارية من قبل مكاتب الدراسات في الثمانينيات، لكل من مدن مكناس وتارودانت وشفشاون. وخلال فترة التسعينيات تم إنجاز دراسات تسمى "الدراسات المعمارية وتصاميم المحافظة " همت مدن أبي الجعد، ازموور وبعد ذلك مدن صفرو، آسفي، الصويرة ومراكش. تصاميم المحافظة هاته ستتغير فيما بعد إلى تصاميم تهيئة خاصة بالأنسجة القديمة. إلا أنه هناك مجموعة من المدن لم تنجز بها مثل هاته التصاميم مثل مدينة تازة.

2 - 1 - 7 - قانون 12 - 94 المتعلق بالمباني الآيلة للسقوط وتنظيم عمليات التجديد

الحضري

يندرج إصدار وتطبيق قانون 12-94 ضمن مقاربة استباقية ووقائية، تعتمد التخطيط والبرمجة القبلية للتدخل في مجال المباني الآيلة للسقوط، والتي تتواجد بأرقام ضخمة ضمن الأنسجة القديمة بكل الحواضر المغربية، ومن بينها مدينتي فاس ومكناس. حيث يأتي تطبيق هذا القانون لمعالجة المباني الآيلة للسقوط من أجل إنقاذ أرواح وممتلكات المواطنين والمواطنات في هذا النوع من السكن. ويتضمن هذا القانون ستة أبواب موزعة على ستة وعشرين مادة توضح تجسيد العمل المشترك والتآزر بين مختلف المتدخلين، وتقوية النقائية السياسات العمومية وتبسيط المساطر والإجراءات للتدخل

في المباني الآيلة للسقوط. وقد أقر هذا القانون مجموعة من المستجدات والضمانات، يمكن إبراز أهمها فيما يلي¹:

- إحداث وكالة وطنية للتجديد الحضري وتأهيل المباني الآيلة للسقوط، وتخويلها امتيازات السلطة العامة للاضطلاع بمهام إعداد الدراسات والاستراتيجيات والبرامج العمرانية والمشاريع المتعلقة بالتجديد الحضري، وتأهيل الأنسجة والمباني الآيلة للسقوط، وإعداد المخططات والتصاميم اللازمة لذلك، والإشراف على تنفيذها؛

- تحديد مفهومي المباني الآيلة للسقوط وتنظيم عمليات التجديد الحضري؛

- تحديد أدوار جميع المتدخلين ومسؤولياتهم، بما فيها مسؤولية مالكي المباني الآيلة للسقوط أو مستغليها خواصا كانوا أو عموميين؛

- إحداث لجنة إقليمية تتولى تحديد المناطق المعنية بهذه المباني والعمليات، وتأطير عملية التدخل في المباني الآيلة للسقوط والتجديد الحضري؛

- تعزيز الضمانات في مجال التدخل في البناء الآيل للسقوط وذلك من خلال إلزامية تعليل القرارات، والاستناد إلى الخبرة التقنية القبلية، وإمكانية اللجوء إلى فحص جديد يتضمن تشخيصا مغايرا لوضعية المبنى، فضلا عن تقوية الضمانات القضائية المنصوص عليها في هذا الإطار²؛

ضمان إيواء وإعادة إسكان شاغلي المباني الآيلة للسقوط عند الاقتضاء، مع مراعاة الشروط الصحية والبيئية الضرورية.

2- 1 - 8 - الدراسة المعمارية وتصميم الإنقاذ

تقتضي أي دراسة معمارية لمدينة قديمة، تحليل مفصل يتعلق بالحالة التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والبنية الحضرية، بالإضافة إلى خريطة لإطاره المبنى. كل هذه المحاور تدرج بعد تقديم المدينة وموقعها الجغرافي وإطارها الطبيعية والبشري وأنشطتها الاقتصادية، وأيضا المعطيات الحضرية والمعمارية.

يتم تحليل نسيج المدينة القديمة باعتبارها تراث معماري وحضري، مع تقييم مكوناتها الحضرية والمعمارية والاقتصادية، بالإضافة إلى طرح مختلف المشاكل التي تعاني منها. كل ذلك يتم من أجل

¹ - محمد الرفيق، (2018): المباني الآيلة للسقوط بمدينة فاس: الأسباب، الأشكال، وطرق التدبير، ص: 171.

² - نفسه، ص: 170.

توضيح الأهداف، من أجل التوصل إلى التوصيات والمقترحات والإجراءات الرامية إلى إعادة تنظيم وتأهيل هذا النسيج الحضري لصالح الساكنة الحالية والأجيال القادمة.

هذه التوصيات هي بمثابة توصيات اجتماعية واقتصادية للساكنة، بالإضافة إلى اقتراحات تتعلق بالبنيات التحتية والنظام المعماري، وخرائط التنطيق (النطاقات المخصصة للبناء، نطاقات المحافظة والهدم، شروط استعمال الأراضي، تحديد مستويات الارتفاع...، بالإضافة إلى التوصيات المتعلقة بالبنيات خصوصا على مستوى تفاصيل البناء (الأعمدة، الحوامل، الأبواب...).

2-2 - الفاعلون المتدخلون في التراث العمراني على المستوى الوطني

يعاني التراث المعماري بالمغرب من التدهور بشكل مثير للقلق، فهو يعرف وتيرة تدهور جد متسارعة تمس كل هياكله.

يتم تدبير التراث بطريقة قطاعية، وبالتالي فإن الجهات الفاعلة لحمايتها وإعادة تأهيلها متنوعة ومتعددة، ويتعلق الأمر ب:

2-2-1 - وزارة الثقافة

بدأ الاهتمام بالتراث بعد الاستقلال، من خلال توليه من طرف مجموعة من الوزارات، بدءا بوزارة التربية الوطنية، ثم مديرية الفنون الجميلة وهو ما يوضح أن الثقافة كانت من بين الأولويات السياسية في تلك اللحظة للدولة.

تعد وزارة الثقافة الجهاز الحكومي الوصي على التراث الثقافي بشكل عام، وعلى التراث العمراني بشكل خاص، من خلال وضع الاستراتيجيات والسهر على تطبيق قوانين المحافظة على التراث وتثمينه وإنقاذه. وذلك عن طريق مصالحها المركزية والجهوية¹.

أحدثت وزارة الثقافة بموجب ظهير في 25 أبريل 1974 كوزارة مستقلة، ورسميا بموجب مرسوم 26 غشت 1975.

يحدد هذا المرسوم في مادته الأولى إسناد مهام الوزارة، التي هي على النحو التالي: "الوزارة المسؤولة عن الشؤون الثقافية مسؤولة عن: الحفاظ على التراث الثقافي الوطني، لضمان سلامته، وتنفيذ جميع الوسائل التي من المرجح أن تضمن توسيعها وتوسيع نطاقها، ووضع وتنفيذ القوانين والتشريعات

¹ - مصطفى كنكورة، (2010): مرجع سابق، ص 323.

التي تحكم حماية المواقع الأثرية والآثار التاريخية ". لهذا الغرض، تم إنشاء مصالح المتاحف والمواقع وعلم الآثار والآثار التاريخية.

2-2-1-1- مديرية التراث

خلال سنة 1985، تم تجميع قسم المتحف والمواقع التاريخية والآثار والمآثر التاريخية في مديرية واحدة، تم تقسيمها فيما بعد إلى قسمين، هما قسم المتاحف وعلم الآثار من جهة، وقسم المآثر والمواقع التاريخية من جهة أخرى. ليتم إلحاقهما فيما بعد وتشكيل مديرية التراث الثقافي.

تتألف من ثلاث أقسام، لكل قسم مهمته وخصوصياته الخاصة، وهي:

- قسم المتاحف والأركيولوجيا؛

- قسم جرد التراث الثقافي؛

- قسم المآثر التاريخية.

تتجلى مهمة هذه المديرية في حماية وتأهيل وتعزيز معرفة التراث المعماري، والأثري والإثنوغرافي، وكل الثروة الوطنية ذات الأهمية التاريخية أو الفنية.

ويرتكز دور مديرية التراث في القيام بأعمال الحماية، سواء على المستوى الوطني أو على المستوى الجهوي.

ويتمثل دورها على الصعيد الوطني في:

- القيام بالدراسات التقنية وضمان إنجاز الأشغال المتعلقة بالبرامج الكبرى المدرجة في البرنامج السنوي للإنقاذ؛

- ترميم المآثر التاريخية وإعادة تأهيلها بطريقة تسمح بإعادة استخدام وظيفتها؛

- التصنيف من خلال إعداد وتعليمات الملفات التقنية للنقش أو التصنيف، يليها احترام نصوص الحماية؛

- حماية وتعزيز المآثر والمواقع التاريخية من خلال تهيئتها؛

- توعية الرأي العام بأهمية التراث الثقافي الوطني، وإدراجه ضمن المجتمع المغربي المعاصر بكل الوسائل التي تسمح بتعميم المعلومات؛

- نشر المونوغرافيات، الدلائل، الدراسات، التشخيصات، الببليوغرافيا، ... المتعلقة بالتراث الثقافي؛

- تطوير علاقات التبادل مع المنظمات الوطنية والدولية ذات الاهتمام المتبادل.

وعلى المستوى الجهوي تعتمد على البنيات التقنية المتخصصة مثل:

- مراكز الدراسات والأبحاث: وهي البنيات المتخصصة الموجهة نحو مكون خاص في التراث. ويتعلق الأمر ب:

أ - مركز حماية وتأهيل التراث المعماري للمناطق الأطلسية والشبه الأطلسية بورزازات.

ب - مركز الدراسات والأبحاث العلوية بالريصاني.

ج - المحمية الوطنية للتراث الصخري بتحنوت (PNRP).

2-2-1-2 - مفتشيات المآثر التاريخية

أحدثت هذه المفتشية بتاريخ 3 أكتوبر 1935، فهي إدارة موروثية عن الفترة الاستعمارية. وتحدد

مهام المفتش فيما يلي:

- القيام بالجرد العام للمباني التاريخية والمواقع بالمغرب؛

- اقتراح تقييد المعالم التاريخية والمواقع وإبداء رأيه في ذلك؛

- اقتراح إجراء أعمال الصيانة والترميم للمعالم التاريخية والمواقع المقيدة وأجزاء من المدن القديمة والتأشير

على المشاريع ودفاتر التحملات والمستحقات النهائية المرتبطة بهذه الأشغال وكذا مراقبة تنفيذها؛

- تقديم رأيه وملاحظاته حول كل المشاريع التي تهم المدن القديمة أو المعالم ذات القيمة التاريخية والفنية

ولو لم تكن مفيدة. وتغطي هذه المفتشيات حاليا حوالي نصف التراب الوطني وتتركز أساسا بأهم المدن

المغربية.

2-2-2 - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

يعتبر التراث المحبس تراثا معقدا من الناحية القانونية نظرا للرقابة المتمثلة في وزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية. ويعرف المشرع المغربي الأحباس حسب ظهير 2 يونيو 1918 بأنها أملاك يوقف

كل مالك مسلم حق التمتع بها لفائدة مستفيدين يُعينهم بمحض إرادته، ويكون الوقف إما لصالح الدولة،

فتكون وقفا عموميا، أو لصالح زاوية أو عائلة معينة أو خواص فيكون بذلك وقفا خاصا؛ وبمقتضى ظهير

2003 يعهد إلى وزارة الأوقاف المحافظة على ممتلكاتها وتنميتها، لخدمة مصالح الدين وتحقيق منفعة

المسلمين، وهي بذلك تقوم باتخاذ كل الإجراءات لتدبير شؤون الأوقاف، وإحصاء الممتلكات وصيانتها

وضمن بقائها وتنميتها وإعادة تقييمها وإيجاد الوسائل الضرورية للرفع من مردوديتها، وإنجاز مشاريع مدرة

للدخل لتستفيد منها الدولة اقتصاديا واجتماعيا.

كما أن نظارة الأوقاف لها صلاحية ضمنية للتدخل في العقارات التي توجد في ملكيتها، وذلك باستدعائها لحضور اللجن المكلفة بالتدبير الحضري المتعلقة بها وقفا للمادة 23 من قانون 22-80، وظهير 1945¹.

ويمكن التمييز في مسطرة مشاريع ترميم الأملاك الحبسية بين:

- إصلاح وترميم الأملاك المكراة للغير، وذلك عن طريق منح الإذن للمكترين من أجل إصلاح أملاكها دون التدخل في هذه العملية؛

- إصلاح وترميم الأملاك المعدة لإقامة الشعائر الدينية: وفي هذا الباب ينص المشرع المغربي من خلال ظهير 2 أكتوبر 1984 المعتبر بمثابة قانون رقم 150.84.1 أن رخصة البناء الخاصة بالأبنية الدينية (مساجد، زوايا...)، تسلم استثناء من طرف عامل العمالة أو الإقليم، بعد استطلاع رأي المصالح المختصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ووزارة السكنى وإعداد التراب الوطني، ومن هنا يتبين مدى التعقيد الذي تخضع له الأملاك الحبسية سواء تعلق الأمر بالبناء أو الترميم².

2-2-3 - وزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان وسياسة المدينة

تشرف هذه الوزارة بشكل مباشر على قطاع الإسكان والتعمير وسياسة المدينة وإعداد التراب الوطني، وتعد من أهم الوزارات المتدخلة في المدن القديمة، لكونها تسهر على عمليات التعمير وإعادة الهيكلة وإنجاز المشاريع على مستوى المجال المغربي.

تحتوي هذه الوزارة على مديريتين تهتمان بالتراث هما:

أ - المديرية العامة للتعمير والهندسة المعمارية وإعداد التراب الوطني

تهدف هذه المديرية إلى:

- الموافقة على تصاميم ومخططات المناطق الخاصة، بما في ذلك:
- المواقع التاريخية (المدن القديمة، القصبات، ...)
- الأنسجة غير اللائقة المهيكلية؛
- المناطق المتجددة؛
- المناطق ذات المنفعة الاقتصادية (المناطق الصناعية، المناطق السياحية، ...)
- جميع المناطق المخصصة للمنفعة الخاصة.

¹ - مصطفى كنكورة، (2010): مرجع سابق، ص 336.

² - نفسه، ص 338.

ب - مديرية المعمار La direction de l'architecture

تأخذ على عاتقها مهمة المتابعة والمراقبة في هذا المجال، وتشمل قسم الإنعاش المعماري التي

تجمع:

- مصلحة التراث المعماري؛

- مصلحة المواقع والمشاهد الحضرية؛

- مصلحة البحث المعماري؛

- مصلحة التوثيق، والتواصل والعلاقات الخارجية.

ج - مديرية السكن الاجتماعي والشؤون العقارية

تتجلى في قسم السكن غير اللائق، من خلال مصلحة التجديد وإعادة تأهيل الأنسجة القديمة.

2-2 - 4 - الجماعات الترابية

تضمنت القوانين التنظيمية للجماعات الترابية على مستوياتها الثلاث (الجهات، الأقاليم والعمالات، الجماعات)، مقتضيات ذات صلة بالشأن التراثي لكن بدرجات مختلفة سواء من حيث قيمتها القانونية والنوعية، أو من حيث حجم حضورها داخل القانون التنظيمي. إذ نجد حضوراً مهماً على مستوى القانون التنظيمي 111.14 المتعلق بالجهات، وبدرجة أقل أهمية بمقتضيات القانون التنظيمي 113.14 المتعلق بتنظيم الجماعات، وبمستوى ضعيف في متن القانون التنظيمي 112.14 الخاص بتنظيم العمالات والأقاليم.

2-2 - 4 - 1 - التراث العمراني في مقتضيات القانون التنظيمي المتعلق بالجماعات

تعتبر الجماعات الترابية من بين الفاعلين الرئيسيين المعنيين، بالتدخل في معالجة هذه الإشكالية. ويتخذ هذا التدخل أوجه متعددة، وذلك في إطار ما يخوله لها القانون التنظيمي 113.14، حيث تشغل قضايا الاهتمام بالتراث والمحافظة عليه حيزاً أكبر في هذا القانون، ولعل السبب في ذلك، يرجع إلى موقع الجماعات كوحدات ترابية قاعدية تتأسس عليها خطط وبرامج بقية المستويات الترابية.

يندرج تدخل المجالس الجماعية في إطار القانون التنظيمي المتعلق بالجماعات 113.14 في إطار الاختصاصات الذاتية، كتلك المخولة لها في مجال التعمير وإعداد التراب، من خلال المادة 85 التي تشير على كون الجماعات الترابية تسهر على احترام الاختيارات والضوابط المقررة في مخططات توجيه

التهيئة العمرانية وتصاميم التهيئة والتنمية، وكل الوثائق الأخرى المتعلقة بإعداد التراب والتعمير، وأيضا على تنفيذ مقتضيات تصميم التهيئة¹.

أما فيما يخص الاختصاصات المشتركة، فتتص المادة 87 على التأهيل والتثمين السياحي للمدن القديمة والمعالم السياحية والمواقع التاريخية².

في حين تنص المادة 90 التي تندرج في إطار الاختصاصات المنقولة، على كون الجماعات الترابية تسهر على حماية وترميم المآثر التاريخية والتراث الثقافي والحفاظ على المواقع الطبيعية³.

2-2-4 - التراث في مقتضيات القانون التنظيمي المتعلق بالجهات

تناول القانون التنظيمي 111.14 المتعلق بتنظيم شؤون الجهة موضوع التراث من خلال عدة مواد، سواء في باب الاختصاصات الذاتية للجهة، أو الاختصاصات المشتركة مع الدولة، أو تلك المنقولة من الدولة إلى الجهة، أو في باب صلاحيات المجلس الجهوي ورئيسه.

ففي الباب المتعلق بالاختصاصات الذاتية للجهة، تحضر قضايا التراث بقوة في برامج التنمية الجهوية المعدة من قبل المجالس الجهوية، بالإضافة إلى وضع إطار التنمية بالجهة التي تجسدها وثيقة التصميم الجهوي لإعداد التراب.

أما على مستوى الاختصاصات المشتركة بين الدولة والجهة، فقد تمت ترجمتها في المادة 91 التي تنص على دور الجهات في مجموعة من المجالات خاصة في الميدان الثقافي والسياحي، حيث تنص على المستوى الثقافي على⁴:

- الاعتناء بتراث الجهة والثقافة المحلية؛

- صيانة الآثار ودعم الخصوصيات الجهوية؛

وكذلك أيضا على المستوى السياحي حيث تركز على إنعاشها في المادة (91).

أما فيما يتعلق بالاختصاصات المنقولة إلى الجهات، فتتجلى في متن المادة 94.

2-2-5 - وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس ADER

أحدثت بمبادرة من وزارة الداخلية وكالة جديدة سميت "وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ فاس" في عام 1989، من أجل إنقاذ التراث العمراني لمدينة فاس، ومن أهم اختصاصاتها واهتماماتها تخفيض

¹ - القانون التنظيمي 113.14 المتعلق بالجماعات.

² - نفسه.

³ - نفسه.

⁴ - القانون التنظيمي 111.14 المتعلق بالجهات.

داخل نسيج المدينة القديمة، فضلا عن اعتماد نظام معلوماتي جغرافي SIG من خلاله تمت دراسة هذا النسيج إلى جانب دراسات قطاعية في إطار رد الاعتبار، ثم البحث المستمر عن مصادر التمويل للقيام بمشاريع الترميم ورد الاعتبار. ومن خلال التقسيم الجهوي الجديد وإحداث جهة فاس - مكناس، ثم إدراج النسيج القديم لمدينة مكناس ضمن اهتمامها.

وتوفر أيضا وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ فاس، الخبرة في إعادة التأهيل والترميم للعديد من الدول والمنظمات الوطنية والدولية، ومديرها العام عضو في اللجنة التنفيذية للمجلس الدولي للآثار والمواقع (ICOMOS).

ويتولى مهام التأطير لفائدة المركز الدولي لحفظ وترميم الممتلكات الثقافية (ICCROM). وتشارك وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ فاس في العديد من التظاهرات الدولية، والأيام الدراسية، والندوات...

2- 2 - 6 - الوكالات الحضرية

نتيجة الاختلالات التي عرفت المجالات الحضرية بالمغرب، بسبب ارتفاع نسبة التحضر وارتفاع وتيرة الهجرة القروية، وما اكبتها من انتشار لأحياء السكن العشوائي، وتدهور الإطار المبنى والمآثر التاريخية، تم إحداث الوكالات الحضرية.

تندرج الوكالات الحضرية تحت وصاية الوزارة الوصية على قطاع الإسكان والتعمير، وهي مؤسسة شبه عمومية، تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، تخضع للرقابة المالية للدولة. وقد حدد الظهير المؤسس للوكالات الحضرية مهام هذه الوكالات في إحدى عشرة مهمة يمكن إيجازها في أربعة محاور أساسية وهي: التخطيط والتدبير الحضريين ثم المراقبة والتأطير.

أما فيما يتعلق بدورها في رد الاعتبار للأنسجة القديمة، فإنها تسعى في إطار اضطلاعها بالتخطيط الحضري إلى إدراج إشكالية المدن القديمة أثناء إعداد وثائق التعمير. وكذلك أثناء إنجاز الدراسات ومشاريع التهيئة والتأهيل والتجديد الحضريين.

2 - 2 - 7 - مؤسسة قطب التهيئة "العمران"

تم إحداث هذه المؤسسة سنة 2003، وهي حسيطة اندماج عدة مؤسسات تابعة لوزارة الإسكان والتعمير. تتدخل هذه المؤسسة بالمدن القديمة في إطار إنعاش القطاع السكني، عن طريق محاربة السكن غير اللائق، ورد الاعتبار للسكن الموجود بها¹، خصوصا السكن الآيل للسقوط. بالإضافة إلى تواجد

¹ - زهرة النعيمي، (2013): دينامية أبواب مدينة مكناس القديمة نحو مشروع تنموي، بحث لنيل الماستر في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرار، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ص: 44.

خلية بها تهتم بإعادة تأهيل السكن القديم، وإنجاز الدراسات والمشاريع المتعلقة بإعادة التأهيل المراكز القديمة.

2 - 2 - 8- تدخل المجتمع المدني (الجمعيات والوداديات)

تعتبر الجمعيات والوداديات أهم فعاليات المجتمع المدني التي تنشط بمدينة فاس ومكناس، ويلعب المجتمع المدني اليوم دورا رياديا في تدبير الشأن العام المحلي من جهة، وفي المحافظة على التراث من جهة أخرى، ويتجلى ذلك من خلال تعاقد الهيئات الدولية والمنظمات غير الحكومية بشكل مباشر مع جمعيات المجتمع المدني في إنجاز المشاريع التنموية المتعلقة بالمدن القديمة، بالإضافة إلى دوره كوسيط بين الساكنة وبين المؤسسات المتدخلة في المدن القديمة¹.

وتأتي فعالية تدخل المجتمع المدني في مجال الحفاظ على التراث، في كونه يدرك المجال جيدا، ويعي المشاكل التي يعاني منها النسيج القديم. بل أكثر من ذلك، فهو يعايش تلك المشاكل بشكل مباشر، وبالتالي يصبح هذا الفاعل أدرى بها من أي فاعل آخر. ولذلك، فإن تدخله يساهم في زيادة فرص النجاح في أي عملية تخص رد الاعتبار.

¹- زهرة النعيمي، (2013): مرجع سابق، ص: 49.

خاتمة الفصل الأول

يتضح من خلال هذا الفصل تعدد المواثيق والاتفاقيات الدولية، وكذا المؤسسات والمنظمات المهمة بحماية هذا الكنز البشري، وهو ما يعكس الانشغال والاهتمام بهذا التراث العمراني. فبعد الحرب العالمية الأولى تعالت الأصوات ونادت العديد من الدول بحمايته، مطالبة بالتدخل السريع للحد من الدمار والخراب الذي يطاله خلال فترات الحرب، من خلال سن قوانين ومواثيق دولية للمحافظة عليه.

وبعد الحرب العالمية الثانية، وهي المرحلة الأولى لسياسات الحفاظ المعماري، شهدت مواقف وآراء مختلفة في أسلوب التعامل مع الأبنية التاريخية، إذ عقدت في عام 1964م معاهدة فينسيا للمباني التاريخية، والتي تعتبر الأولى بعد هذه الحرب.

بالإضافة إلى ذلك يلاحظ تعدد المؤسسات والمنظمات غير الحكومية المهمة بالتراث، سواء كانت تلك المانحة أو القارضة، التي تقدم القروض والمنح للتدخل في حماية ورد الاعتبار للتراث المعماري على الصعيد الدولي، أو تلك التي تقدم الدعم التقني، من خلال إنجاز وتقديم مختلف الدراسات والاستشارات.

أما على مستوى المغرب، ففي المجال التشريعي، فقد شهد ترسانة قانونية مهمة تهم التراث والمحافظة عليه (خلال الفترة الاستعمارية قوانين 1912 و 1914 و 1945)، إلا أن هذه القوانين كانت غير كافية ويكتنف الغموض بعض نصوصها غير الواضحة، ويغيب فيها الصرامة والجزر، فهي تتضمن فقط المخالفات والغرامات. فكان لا بد من إعادة النظر في واقع الترسنة القانونية لكي تلائم مستجدات اتفاقيات حماية التراث الدولية، فتم إصدار قانون جديد سنة 1980.

فيما يخص الشق المؤسسي، فيتميز بتعدد المتدخلين في مجال حماية وصيانة التراث. إلا أن هذا التعدد وما يرافقه من تضارب في الرؤى، يعتبر من بين أهم التحديات التي تعيق حمايته، حيث تختلف توجهات وتطلعات المتدخلين كل حسب رؤيته واختصاصه، مما يتطلب معه إعادة النظر في الإطار التشريعي والمؤسسي المنظم لحماية وصيانة التراث للأجيال القادمة.

والى جانب المؤسسات والمتدخلين على المستوى الوطني، تلعب المنظمات الدولية دورا هاما في المحافظة وحماية التراث العمراني المغربي بصفة عامة، وبمدينتي فاس ومكناس القديمتين بصفة خاصة، وخصوصا منظمة اليونسكو والبنك الدولي، اللذان يعملان على تقديم الدعم التقني والمادي من أجل حماية ورد الاعتبار للمدينتين.

الفصل الثاني:

الخصائص الطبيعية والبشرية للمدينتين القديمتين
بفاس ومكناس، وعوامل تدهورهما

مقدمة الفصل الثاني

تقع مدينتا فاس ومكناس في الوسط الشمالي من المغرب. تتحصران بين مقدمة الريف شمالا، وجبال الأطلس المتوسط جنوبا. هذا الموقع يجعلهما في ملتقى طرق رئيسية وطنية وجهوية، التي تربطهما بأهم العواصم المغربية الاقتصادية والإدارية وبباقي المدن المغربية الكبرى، مما يسهل على السائح الوصول إليهما حيثما كان في أرجاء أرض المغرب.

تتميز مدينتا فاس ومكناس بمؤهلات طبيعية وثروة بشرية مهمة نمت بسرعة، بفعل عوامل متعددة، جعلت من المدينتين نقطة استقطاب أعداد كبيرة من المهاجرين خلال العقود الأخيرة، ساهمت في إحداث تحولات سوسيو - مجالية على مستوى المدينتين.

فبالإضافة إلى المؤهلات الطبيعية والبشرية التي تتميزان بهما المدينتان، تتوفر المدينتان على مؤهلات تراثية ساهمت في إشعاعهما وطنيا ودوليا، إلا أن هذه الأخيرة تعرضت وعلى مدى قرون إلى التدهور واندثار بعض من أجزائها، نتيجة مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية.

1- الإطار الجغرافي للنسيج العمراني القديم بكل من فاس ومكناس

1 - 1 - الإطار الطبيعي للنسيج العمراني القديم بمدينتي فاس ومكناس

يتيح موقع مدينتا فاس ومكناس بين وحدات تضاريسية مختلفة ومتنوعة، اختلاف على مستوى الخصائص الطبوغرافية والجيولوجية والمناخية. وهو ما يفرز الغنى الذي تتوفر عليه المدينتين على مستوى المؤهلات الطبيعية، ويجعلهما قبلة للزوار من مختلف المناطق سواء على المستوى الوطني أو الدولي.

1-1-1 - الخصائص الطبيعية لمدينة فاس

1-1-1-1 - الخصائص الطبوغرافية والصخرية لمدينة فاس

تتنمي مدينة فاس إلى مجال جغرافي ينتمون من ثلاث وحدات تضاريسية مهمة.

- **في الجنوب:** تمتد هضاب الأطلس المتوسط. وهي عبارة عن وحدة تضاريسية تتراوح ارتفاعاتها ما بين 700 متر و 1525 متر. أما في أقصى الجنوب هناك جبل عباد. وهو عبارة عن قمة منعزلة يصل ارتفاعها إلى 1620 متر.

- **في الوسط:** نجد منطقة اتصال سهل سايس بهضاب الأطلس المتوسط الهضبي.

- في الشمال: تنخفض الارتفاعات بحيث لا تتجاوز 500 م بشمال المدينة.

هذا الموضع بين هذه الوحدات التضاريسية، يؤثر على المدينة على المستوى المناخي، وخصوصا على مستوى كمية التساقطات، ودرجات الحرارة، واللذان تؤثران بدورهما على النسيج العمراني القديم بالمدينتين.

أما على المستوى الصخاري، نجد مجموعة من التكوينات التي تنتمي لمختلف الأزمنة الجيولوجية، إذ تمتد التكوينات الصخرية الصلبة المتمثلة في الصخور الكلسية والرصاصية، بالإضافة إلى الصخور الهشة المتمثلة في الصخور الصلصالية. هاته الأخيرة تتأثر بالتساقطات المطرية، والمياه المستعملة، والماء الصالح للشرب؛ حيث تتسرب المياه إلى هاته الطبقات، وبالتالي تشبع حبيبات الصلصال وانتفاخها. وعند ارتفاع درجة الحرارة، تتبخر المياه وتتكشف هذه الحبيبات، مما يؤدي إلى حدوث تهدل أرضي، تنتج عنه تشققات خطيرة بالإطار المبني بالنسيج العمراني القديم بفاس.

1-1-1 - الخصائص الهيدرومناخية

تقع مدينة فاس فوق وحدة تضاريسية كبرى، تتمثل في هضبة سايس. وتتميز هذه الأخيرة بشبكة هيدروغرافية مهمة، حيث يشكل واد فاس الواد الرئيسي، الذي يغذيه كل من واد بوفكران، وواد المهرز وواد عين السمن، ثم واد الحيمر.

1-1-1-3 - الخصائص المناخية للمجال المدروس

يندرج مناخ المجال المدروس ضمن نطاق المناخ المتوسطي، الذي يتميز بعدم انتظام التساقطات وفجائيتها، حيث الاختلاف واضح بين فصول السنة، سواء من حيث التساقطات المطرية أو الحرارة. ومن مميزات هذا النظام المناخي السائد بالمنطقة، هو وجود فصل بارد وممطر قصير، وآخر حار وجاف يمتد من ماي إلى شتتبر، ويتخللهما فصلان انتقاليان هما الخريف والربيع.

أ - توزيع التساقطات بمدينة فاس

تتدرج التساقطات عكس الحرارة مع عامل الارتفاع، فإذا كانت الحرارة تنخفض مع الارتفاع فإن التساقطات تسير عكس ذلك، إذ هناك علاقة طردية بين عامل التضاريس أو الارتفاع وبين كمية التساقطات.

يتميز التوزيع السنوي للتساقطات بمدينة فاس بالتذبذب وعدم الانتظام من سنة لأخرى، حيث عرفت سنوات رطبة تميزت بتهطل كميات كبيرة من الأمطار. إذ تساقطت خلال موسم 1978-1979 وموسم

1980-1981 وموسم 1995-1996 وموسم 2008 -2009 وموسم 2009-2010 على التوالي حوالي 533.4 ملم و564.2 ملم و736.4 ملم و838 ملم. بينما تعتبر مواسم 1995-1996 و1992-1993 من أجف المواسم، حيث سجلت حوالي 185.6 ملم و189.2 ملم. كما سجلت خلال موسم 2015-2016 فقط 230 ملم.

وتلعب التساقطات المطرية دور هام في تدهور النسيج العمراني بالنسيج القديم لفاس، من خلال حدتها وتركزها خلال وقت وجيز، حيث تعمل على الرفع من رطوبة الجدران خلال فترة الفيضانات نتيجة تسرب المياه إلى مكونات هذا النسيج، أو من خلال إحداث شقوق بهياكله، أو من خلال تفتيت وتفكيك طلاء الواجهات الخارجية للبنىات والمآثر التاريخية.

ب - الإختلافات الحرارية بمدينة فاس

تتميز متوسطات درجات الحرارة بمدينة فاس بالتباين والاختلاف الكبير بين الأشهر وداخل السنة، حيث تتميز بوجود فصلين متباينين من حيث درجة الحرارة، فصل يعرف حرارة مرتفعة وتساقطات ضعيفة جدا إلى منعدمة، وفصل ذو حرارة منخفضة يوافق فترة التساقطات المطرية.

تتميز معدلات الحرارة الشهرية بالتذبذب. حيث يعتبر فصل الشتاء الأبرد، ويسجل خلاله شهر يناير أدنى القيم الحرارية، حيث تقدر الحرارة المتوسطة 9.19 درجة بمحطة فاس سايس خلال الفترة الممتدة من 1983-2017. أما أحر الشهور خلال السنة فيسجل خلالها شهر يوليوز متوسط 26.30 درجة مئوية وغشت 26.12 درجة مئوية خلال نفس الفترة.

وتعمل الحرارة على التأثير على النسيج العمراني القديم لمدينة فاس، من خلال تجمد ودوبان قطرات المياه المتواجدة بالفراغات والشقوق المتواجدة بالجدران، نتيجة ارتفاع وانخفاض درجة الحرارة مما يساهم في اتساعها. كذلك يساهم تبخر المياه المتواجدة بحبات الصلصال في انكماشه وتقلصه، وبالتالي تهدله وإحداث شقوق بهياكل البنىات وانهارها.

1 - 1 - 2 - الخصائص الطبيعية لمدينة مكناس

1 - 1 - 2 - 1 - طبوغرافية منبسطة وفرشة مائية مهمة

يغلب على المنطقة الطابع الهضبي. فهي تقع في الشمال الغربي لهضبة السايس. ويتميز السطح بالتقطع، وتتراوح الارتفاعات ما بين 530 و550 مترا فوق سطح البحر، وتخترقه العديد من الأودية كواد

بوفكران وويسلان، وبواسحاق. لذلك فموضعها يعاني من صعوبتين أساسيتين هما: كثافة التخذيد في الشمال، وحدة التقطع العمودي في السطح، الشيء الذي رافقه نوع من التفكك الطبوغرافي¹.

1-1-2-2- الإطار الجيولوجي والصخاري لمدينة مكناس

تنتصب المدينة فوق الهامش الشمالي الغربي لهضبة سايس. أي في الجهة التي تتعرض لنوع من التخذيد، والتي تمتاز بتقطعها الواضح بسبب وجود عدة أودية متعمقة. هذا الموضع تتواجد فيه مختلف الصخور الأساسية ذات المميزات التكاملية، إذ تشغل هضبة مكناس الجزء الغربي الأوسع من إقليم سايس، حيث تبلغ مساحته 1500 كلم². تشكلت على هذا الامتداد بنية جيولوجية، يمكن تبسيطها في كونها عبارة عن تراكب ثلاث طبقات صخرية متفاوتة السمك، التي تتمثل في غلاف عام من الأكلاس المتنوعة فوق فرشاة من الرمال الصافية والجيدة، تحتها جوف من الصلصال².

1-1-2-3- الخصائص المناخية لمدينة مكناس

تكتسي دراسة المناخ أهمية قصوى بالنظر إلى تأثيرها المباشر وغير المباشر على النسيج العمراني القديم، التي تساهم في تدهوره مع مرور الزمن. يتم دراسته من خلال عنصرين أساسيين هما: الحرارة والتساقطات.

تتميز مدينة مكناس بمناخ معتدل ورطب شتاء، ودافئ وجاف صيفا. يخضع للتأثيرات القارية خلال فصل الشتاء والصيف نتيجة التنوع الجغرافي للمجال. وتتباين المعطيات المناخية من منطقة لأخرى داخل الإقليم حسب تدخل مجموعة من العوامل، كالارتفاع، وعدم انتظام التساقطات³. يبلغ المتوسط السنوي لدرجة الحرارة القصوى 36 درجة مئوية، ودرجة الحرارة الدنيا 7 درجات مئوية.

أ - التوزيع السنوي والشهري للتساقطات المطرية

يتميز توزيع الأمطار خلال العام بالأمطار الغزيرة في فصل الخريف، في حين تعرف انخفاضاً طفيفاً في فصل الشتاء وبعد أقصى في أوائل الربيع. أما فصل الصيف فيتميز عموماً بالجفاف. يستمر موسم الأمطار عموماً من أكتوبر إلى مايو، بمعدل 9-10 أيام من الأمطار في الشهر، لمدة متوسطة السنوي 84 يوم ممطر.

¹ - الخريطة الطبوغرافية لمكناس 1/50000.

² - إدريس الفاسي، (1988): مكناس في بينتها الطبيعية، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، ص: 28.

³ - GENDRE, F. (1944), « Climatologie des villes du Maroc », in Revue de Géographie de Maroc, N° 4, p. 13-14-15

وقد بلغت كمية التساقطات السنوية القصوى 837.3 ملم خلال موسم 1996/1995، بينما سجلت خلال موسم 1995/1994 أدنى كمية تساقطات وصلت الى حوالي 234.9 ملم. على مستوى التوزيع الشهري، يعتبر شهر دجنبر أكثر الشهور هطولا للأمطار بمعدل 65.2 ملم. في حين يعتبر شهر يوليوز أكثر الشهور جفافا بمعدل حوالي 1.56 ملم.

ب - الحرارة

يعتبر شهر غشت أكثر الشهور حرارة، حيث وصل متوسط درجة الحرارة حوالي 26.63 درجة مئوية. بينما يعتبر شهر يناير أكثر الشهور برودة، حيث وصل متوسط درجة الحرارة حوالي 10.06 درجة مئوية.

1-2- الخواص البشرية لمدينتي فاس ومكناس

1-2-1- الإطار البشري لمدينة فاس

1-2-1-1- التوسع العمراني بمدينة فاس القديمة: مراحل التأسيس فاس عبر العصور

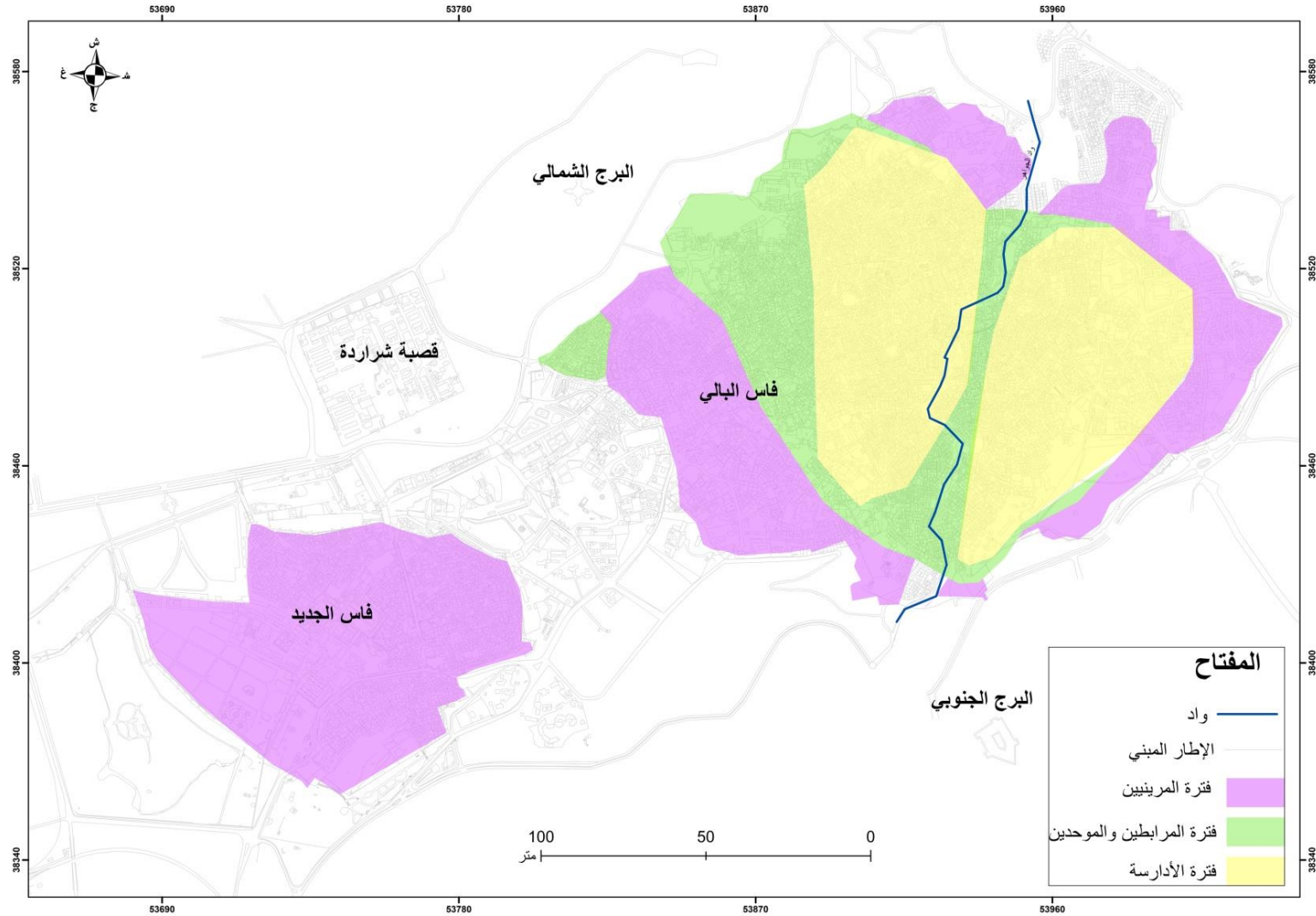
لم يكن العرب يقيمون المدن الإسلامية اعتباطيا، إنما يمارسون ذلك بعد ان يرسموا خططها التي على أساسها تنشأ وتبنى المدينة. ويمكن أن نعتبر مدينة فاس نموذجا فريدا من نوعه لتخطيط المدن الإسلامية، التي أنشأت في الأقطار المختلفة، التي أدت الوظائف العديدة للسكان، إلى جانب التحصينات العسكرية. وقد مر تشكيل وبناء المدينة عبر عدة مراحل، تمثل مختلف الدول المتعاقبة على حكمها بداية من الأدارسة وصولا إلى العلويين (الخريطة رقم 2).

أ- فاس في عهد الأدارسة

تضاربت آراء الباحثين وتعددت روايات المؤرخين، حول تاريخ بناء مدينة فاس. هناك روايتان متناقضتان مرتبطتان بالأحداث المتعلقة بتأسيس فاس. فالرواية الأكثر شيوعا هي التي دونها المؤلفون المحدثون نسبيا (في القرون 7 و 13 و 18م)، تقول بأن المدينة شيدت على العدو اليمنى لواد فاس سنة 193هـ/808م. وهي السنة التي عهد بها ادريس الأصغر إلى نفسه بتصرف الأمور. وتقول هذه الرواية نفسها، دون أن تقدم أي تفسير للأمر، بأن ادريس عاد فبنى مدينة على العدو اليسرى للنهر، واتخذها مقرا له¹.

¹ - روجيه لوتورنو، ترجمة نقولا رباد، 1967، كتاب فاس في عصر بني مرين، سلسلة مراكز الحضارة، بيروت، ص 19-20.

الخريطة رقم 2: مراحل تطور المدينة القديمة لفاس



المصدر: مزين محمد، عمل شخصي، 2019.

وقد استغرب الباحث الفرنسي إيلي ليفي بروفصال من هذه الرواية الغريبة، فقام بدراسة قضية تأسيس فاس دراسة دقيقة، وقد اهتدى إلى رواية أقل شيوعاً وإن كانت أقدم عهداً (القرن 14م). وبموجب هذه الرواية تكونت لديه قناعة تتجلى في كون المدينة الواقعة على العدو اليمنى هي من بناء ادريس الأكبر الذي قام ببنائها قبيل وفاته، لكنه لم يتممها. فجاء ابنه بعد ذلك بنحو عشرين سنة، فأسس مدينته على العدو اليسرى. وهذه الرواية، هي الأكبر احتمالاً خاصة أنه قد اكتشف فيها بعض النقود السابقة في زمن ادريس الأصغر.

والذي لا يقبل الشك، هو أن مدينة فاس من بناء الأدارسة، وأنها أسست في آخر القرن الثاني هـ/أوائل القرن التاسع م. وأنها منذ ذلك الحين، وهي قسمان، يقوم كل منهما على سفح شديد الانحدار من ضفتي الوادي الذي يجري فيه النهر الضيق¹.

ب- فاس خلال عهد المرابطين والموحدين

أمر السلطان يوسف بن تاشفين خلال فترة حكم المرابطين بهدم السور الفاصل بين المدينتين، وقام بتوسيع جامع القرويين. بينما بقي جامع الأندلس على حاله. وشيد يوسف بن تاشفين المساجد في باقي أحياء المدينة (التي لم تكن فيها المساجد). وبنى الفنادق والطاحونات والحمامات. كما عزز التحصينات العسكرية من خلال بناء الأسوار والأبراج (البرج الشمالي والبرج الجنوبي)، وبناء القصبات (كقصبه بوجلود) وبناء الموزع المائي².

أما خلال فترة الحكم الموحي، فتح عبد المومن الموحي مدينة فاس في سنة 540 هـ، بعد حصار شديد. فقد قطع النهر الداخل إليها بالألواح والخشب والبناء حتى انحصر الماء فوقها، تم خرقه فهبط الماء دفعة واحدة فهدم سورها ودورها ما يناهز 2000 دار³. كما أمر أيضاً بتخريب قصبه المرابطين وسور المدينة. كما قام الخليفة الموحي بإحاطة مدينة فاس بأسوار متينة، وجعل لها أبواب: باب الشريعة أو باب المحروق، وأمر بتوسيع جامع الأندلس، بالإضافة إلى ذلك قام بإنشاء المطاحن والمدابغ وورش النحاس والخزف.

¹ - روجيه لوتورنو، (1994)، مرجع سابق، ص 19-20.

² - نفسه، ص 26.

³ - نفسه، ص 26.

ج- فاس في عهد بني مرين

أسس أبو يوسف المريني سنة 676هـ-1276م مدينة جديدة وهي فاس الجديد، على مقربة من المدينة القديمة (على نحو 675 متر)، حيث كان بإمكانه أن يقيم بلاطه وينظم الخدمات الإدارية اللازمة ويحفظ جنده¹.

وقد بدت الصبغة العسكرية لفاس الجديد في التحصينات القوية التي زودت بها. فقد دارت الأسوار المزدوجة بمعظمها، وأقيمت الأبراج زيادة في الحرص على تقويتها. وبذلك أصبحت المدينة حصناً حصيناً².

كما بنى المرينيون معظم المدارس الموجودة بالمدينة، حيث شيدت أول مدرسة: هي مدرسة الصفارين³ الواقعة بين جامع القرويين والوادي وسط دكاكين الصفارين. من المعلوم أن مؤسسها هو أبو يوسف مؤسس فاس الجديد⁴.

ثاني مدرسة هي مدرسة فاس الجديد أو مدرسة دار المخزن سنة 720هـ-1320م⁵، والتي أمر ببنائها السلطان أبو السعيد عثمان. وقد ضمت فيما بعد إلى القصر. وفي نفس السنة، أمر السلطان أبو سعيد عثمان بتشيد مدرسة ثانية بجوار الجامع الكبير بفاس الجديد، أطلق عليها اسم مدرسة فاس الجديد أو مدرسة دار المخزن، إذ لم تلبث أن ضمت هي الأخرى إلى كتلة القصر⁶.

وتوالى عملية بناء المدارس، حيث تم تشيد مدرسة الصهريج 721هـ-1321م التي بناها أبو الحسن، بالقرب من جامع الأندلس. ثم مدرسة السباعيين والمدرسة المصباحية 1447-1446م/747هـ، ومدرسة العطارين 723هـ-1323م....

كما تم بناء مجموعة من الجوامع كجامع الحمراء (نسبة للمرأة الحمراء أو المنارة الحمراء)⁷، الذي لا يعرف تاريخ بناءه، إلا أنه يرجع تاريخه إلى السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر أو أوائل القرن الرابع عشر م⁸.

¹- روجيه لوتورنو، (1994)، مرجع سابق، ص 26.

²- نفسه، ص 27.

³- هذه الرواية الشائعة المستندة إلى كتاب المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق، لكن هناك نصوص تاريخية أخرى تؤكد قيام كل من المرابطين والموحدين بتأسيس مدارس، ومنها مدرسة الصابرين التي بناها يوسف بن تاشفين اللمتوني عندما دخل إلى فاس في منتصف القرن الخامس الهجري. انظر عبد الهادي التازي، جامع القرويين، 1:122. (مترجم).

⁴- روجيه لوتورنو، (1994)، مرجع سابق، ص 105.

⁵- نفسه، ص 105.

⁶- نفسه، ص 105.

⁷- نفسه، ص 98.

⁸- نفسه، ص 99.

كما تم بناء الجامع الزهر 759هـ-1457م، ومسجد للأغربية أسس 1408م¹، وجامع الشراييليين أو جامع أبي الحسن القريب من المدرسة البوعنانية. وتم بناء أيضا فندق التطاوينيين، الذي نقش في قبة مدخله المصنوعة كلها من خشب مزخرفة بنقوش دقيقة².

د- فاس في عهد السعدين والدولة العلوية

خلال هذه الفترة من تاريخ المغرب شيد أحمد المنصور الذهبي مجموعة من المنجزات خلال فترة حكمه، حيث أمر ببناء قصبة تامدرات بباب الفتوح³، وباستيون في شمال المدينة وآخر في الجنوب وثالث في فاس الجديد.

وقد بنى المنصور خزانة مستقلة لجامع القرويين بجميع مرافقها، وزودها بالكتب النفيسة التي أوقفها عليها. وما زالت خزانة المنصور هي الخزانة الرسمية للقرويين بالصفارين. وهناك خزانة مرينية، من تأسيس أبي عنان المريني، تقع في الركن الشرقي من جامع القرويين⁴.

خلال فترة حكم العلويين، بنى مولاي رشيد 1076هـ-1666م جسرا كبيرا على وادي سبو، وقصبة الشراردة بظهر الخميس شمال فاس الجديد لإيواء قبيلة شراكة، وترميم قنطرة الرصيف داخل المدينة⁵. كما بنى قصبة فيلاله قرب باب المحروق، ومدرسة بجوار جامع القرويين هي مدرسة الشراطين أو المدرسة الرشيدية.

خلال فترة حكم المولى إسماعيل، الذي استقر في مدينة مكناس، تم توسيع ضريح مولاي ادريس. في حين قام مولاي عبد الله بتشيد فندق النجارين، وجامع مولاي عبد الله الذي دفن فيه أهم أعضاء الأسرة العلوية.

وتتميز عهد المولى سليمان بتشيد عدة مساجد، كجامع الرصيف وتجديد جامع الشراييليين والمدرسة البوعنانية.

1-2-1- ساكنة مدينة فاس في تطور مستمر

تعد مدينة فاس من أكبر المدن المغربية التي تعرف توسعا عمرانيا وانفجارا حضريا مهمين أحدث اختلالا كبيرا في النسيج العمراني، حيث أضحت المدينة القديمة غير قادرة على استيعاب الكميات الهائلة المتدفقة من المهاجرين، مما أدى إلى تصريف الفائض خارج أسوارها في اتجاهات مختلفة.

¹- نفسه، ص 99.

²- نفسه، ص 109.

³- روجيه لوترونو، (1994)، مرجع سابق، ص 121.

⁴- نفسه، ص 122.

⁵- نفسه، ص 126.

وترجع عوامل وأسباب هذا التطور إلى نسبة الخصوبة المرتفعة، إضافة إلى استقطاب مهم للمهاجرين القرويين ابتداء من عقدي الستينيات والسبعينيات، مما انعكس على النسيج الحضري العام لهذه المدينة. الشيء الذي أدى إلى إفراز مجموعة من الاختلالات المجالية.

الجدول رقم 1: تطور عدد سكان فاس حسب المقاطعات بين إحصائي 1994 و 2014

مقاطعات عمالة فاس	إحصاء سنة 1994	إحصاء سنة 2004	إحصاء سنة 2014
مقاطعة أكادال	129614	144064	142407
بلدية فاس الجديد	34796	26078	20560
مقاطعة سايس	78047	156590	207345
مقاطعة فاس المدينة	109137	91473	70592
مقاطعة جنان الورد	154691	174226	201011
مقاطعة المرينيين	177400	191093	209494
مقاطعة زواغة	88199	163291	260663
مجموع مدينة فاس	772184	946815	1112072

المصدر: إحصاء العام للسكن والسكنى لسنوات 1994 و 2004 و 2014.

يلاحظ من خلال الجدول رقم 1 تضاعف عدد سكان مدينة فاس في العقود الأخيرة ثلاث مرات تقريبا خلال مدة 23 سنة فقط، حيث ارتفع من 330000 نسمة سنة 1971، إلى 955188 نسمة حسب إحصاء 2004. وحسب المعطيات الأخيرة للإحصاء العام للسكن والسكنى لسنة 2014 بلغ عدد الساكنة 1112072 نسمة.

كما يلاحظ أن هذا الارتفاع هم المقاطعات المتواجدة بهوامش المدينة (زواغة، المرينيين، جنان الورد، سايس)، في حين عرفت مقاطعة فاس المدينة وبلدية فاس الجديد تراجع للساكنة، وهو ما يؤثر على نجاح استراتيجية التخفيض من الكثافة التي نهجتها وكالة التنمية ورد الاعتبار لفاس، للحد من تدهور النسيج العمراني القديم.

1- 2 - 1 - 3 - كثافة سكانية مرتفعة بالمدينة القديمة لفاس

تمتد مدينة فاس القديمة على مساحة تقدر ب 350 هكتار. تنقسم مدينة فاس إلى نواتين فاس البالي وفاس الجديد. لهذا فإن الكثافة السكانية لا زالت مرتفعة مقارنة مع مناطق أخرى بمدينة فاس ككل. تتميز مدينة فاس القديمة بنمو سكاني تصاعدي، حيث انتقل عدد سكانها من 65000 نسمة في عام 1926، إلى 156960 نسمة سنة 1960. وارتفع هذا العدد في عام 1971، ليصل إلى 190099 نسمة.

ومنذ سنة 1971 بدأ هذا النمو في التراجع والانخفاض، حيث بلغ عدد السكان 91473 نسمة سنة 2004، ثم انخفضت لتصل إلى حوالي 70592 نسمة سنة 2014 نتيجة السياسة التخفيض من الكثافة التي نهجتها وكالة التنمية ورد الاعتبار لفاس (الجدول رقم 2).

الجدول رقم 2: تطور عدد سكان مدينة فاس القديمة

السنة	عدد سكان المدينة القديمة	عدد سكان مدينة فاس	سكان المدينة القديمة/ سكان فاس (%)
1960	156960	223850	70,12
1971	190099	333090	85,36
1981	181099	460167	39,36
1994	109137	871327	12,52
2004	91473	1002600	9,35
2014	70592	1112072	6,34

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنوات 1960، 1971، 1981، 1994، 2004، 2014.

يلاحظ من خلال الجدول رقم 2 أن هناك إنخفاض في عدد سكان المدينة القديمة. لكن بالرغم من ذلك فالكثافة السكانية ظلت مرتفعة بها، إذ تصل إلى 202 نسمة/هـ (أحياء كرنيز، القلقلين، باب الفتوح، الأندلس، الطالعة الكبيرة)، بل قد تتعدها في بعض الأحياء بسبب تزايد الأنشطة وتضخمها، مما يؤثر على توازن الإطار المبنى والاستعمالات التي يؤديها¹.

1-2-2-1- الإطار البشري لمدينة مكناس القديمة

تتتمي المدينة القديمة لمكناس من الناحية الإدارية، إلى كل من مقاطعة مشور السطينية ومقاطعة مكناس. تشتمل مدينة مكناس القديمة المحاطة بالأسوار والمناطق المحيطة التي تنتمي لمشوار السطينية ومقاطعات سباتة، جنان بن حليمة، الزيتون، ديور السلام، الرياض، قسبة هدرش، أكدا، الغرفة، والذي يحد واد بوفكران من جانبه المجاور لحمام السباحة البلدي ويحده حديقة لحبول.

1-2-2-1- التوسع العمراني بمدينة مكناس: مراحل التأسيس مكناس عبر العصور

تجمع أغلب المصادر، أن مدينة مكناس² أخذت اسمها من اسم قبيلة مكناسة الزناتية التي استقرت بجوار واد بوفكران وأسس مكناسة. واشتهرت بإضافة لقب الزيتون تميزا لها عن مكناسة تازة¹.

¹ - أحمد المولودي، محمد البوشيخي، (2016): "المدن التراثية: الدينامية ورهان الإنقاذ: حالة مدينة فاس العتيقة"، أعمال الندوة الوطنية "التراث العمراني بالمغرب: التحولات ورهانات التنمية الترابية"، 29 شتنبر 2016، مختبر: الدينامية، المجال، التراث، التنمية المستدامة، الكلية متعددة التخصصات تازة، ص3.

² - تتفق أغلب المصادر عموما "على الأصل اللغوي والمعنى الاليتيمولوجي للفظ مكناسة. فقد ورد اسم مكناسة بنعوت وصفات مختلفة، فذكرت بصفة مدائن (عند كل من الإدريسي، بن أبي زرع، لسان الدين ابن الخطيب، الناصري) وحوائر (عند ابن غازي وابن زيدان) وقرى (ابن غازي، الحوي الثعالبي) مكناسة، وكانت تطلق على مجموعة من المداشر المتفرقة والمتفاوتة في حجمها وغير المحصنة تقع عند الشمال الغربي لمكناس الحالية

أ - مكناس في عهد الأدارسة

أسست مدينة مكناس خلال القرن الثامن الميلادي (الخريطة رقم 3). شكلت مدائن مكناسة خلال هذه المرحلة منطقة نفوذ للأدارسة القريبين منها جغرافيا بجبل زرهون². وامتدت على مساحة 3380 هكتار³ على شكل دوواير متفرقة، استقرت في الشمال الغربي والشمال الشرقي لمكناس الحالية، فوصل عددها إلى أربعة عشر مركزا، أشهرها خلال القرن 6هـ - 12م، حارات "ورزيغة" و"عوسجة" و"بنوزياد" و"بنومروان" و"تاورا" و"بنوعيسى"⁴. واستمرت صامدة إلى غاية القرن 7هـ - 12م، حيث اندثرت ولم يبق منها شاخصا سوى بعض الصوامع والجدارات⁵.

ب - مكناس في العهد المرابطي

عرفت مكناس أوجها وازدهارها مع قدوم المرابطين، إذ أصبحت مكناسة الزيتون تحت سيطرة المرابطين عندما دخلها جنود يوسف بن تاشفين بقيادة القائد المهدي بن يوسف الكزنائي سنة 466هـ - 1073م. وقد جاء ذلك بعد إخضاعه لزعماء الحوائر وسيطرته على ما جاورها من مدائن⁶. قامت سياسة المرابطين العسكرية، على إنشاء القلاع والحصون. وضمن هذه الحصون بنيت النواة الأولى لمدينة مكناس، التي أطلق عليها اسم "تاكرايت"، والتي تعني بالأمازيغية الحصن أو المحلة⁷. كما يعد حي النجارين المجاور لمسجد النجارين أقدم الأحياء بالمدينة المشيدة من طرف المرابطين. وخلال هذه المرحلة تم بناء العديد من المباني، إذ أصبحت مكناس تضم الأسواق والمساجد والأحياء التي ما زالت قائمة إلى حد الآن، كحومة الصباغين وجامعها، وحي الكدية والتوتة وظهر السجن ورحبة الزرع.

كما لا تزال أسواق عدة منها سوق "السلاح" المعروف اليوم بسوق "السرايرة" و"سوق النجارين" و"السمارين" و"سوق الحبوب"⁸، وغيرها من المنشآت المعمارية كالأبواب والأسوار والمسالك الطرقية⁹.

¹ - كما جاء عند ابن غازي.

² - محمد المنوني، (1988): مدائن مكناسة القديمة من العصر الإدريسي إلى أواخر عصر الموحدين، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب مكناس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 179.

³ - Fassi (D), 1977, Géographie physique de le région de Meknès, Revue de Géographie du Maroc, Faculté des lettres et sciences humaines Rabat , n°1, p25.

⁴ - محمد المنوني (1988)، مرجع سابق، ص 179.

⁵ - نفسه، ص 32

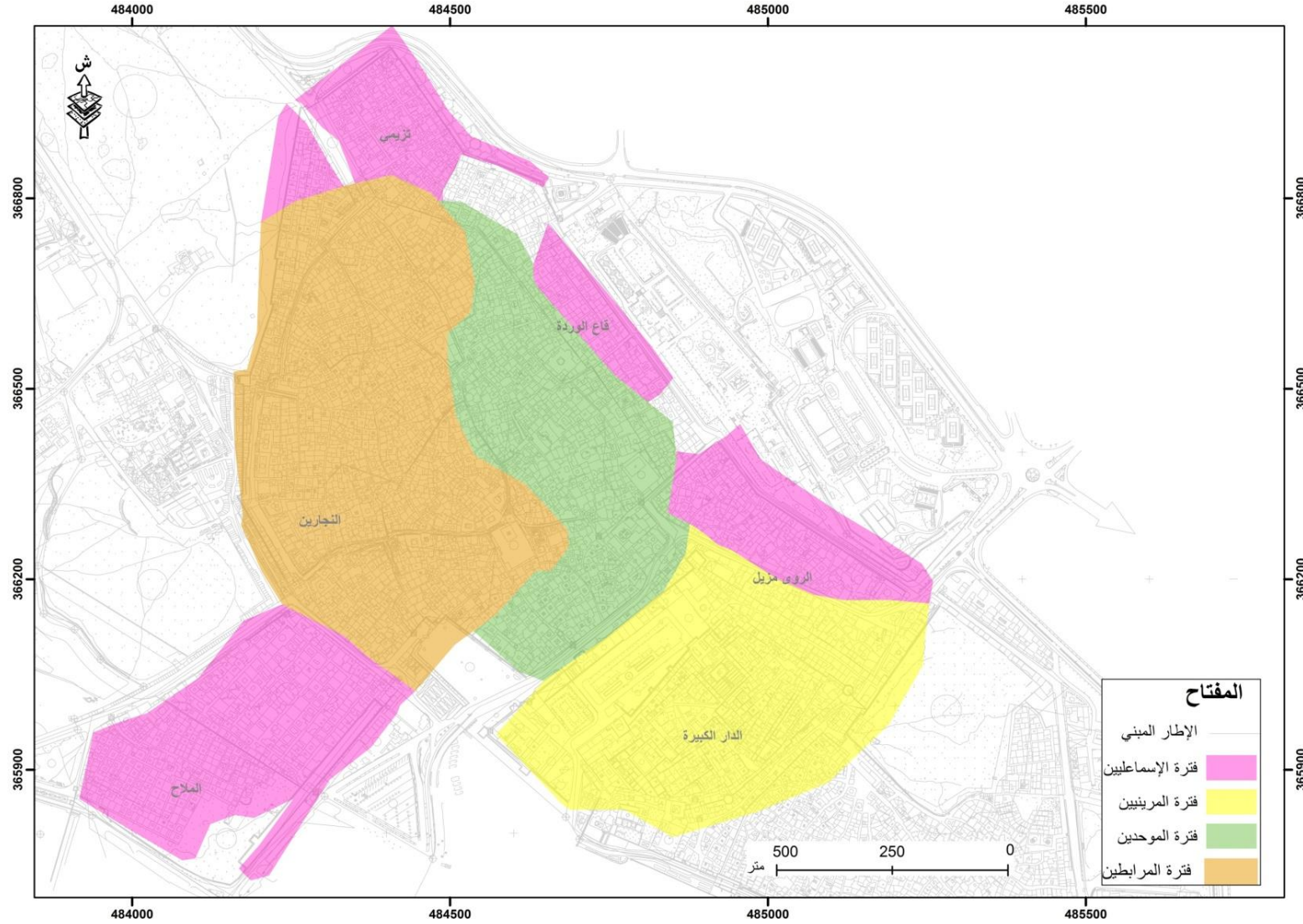
⁶ - ابراهيم القادري بوتشيش، (1993): المغرب والأندلس في عصر المرابطين: المجتمع- الذهنيات -الأولياء ، دار الطليعة، بيروت، ص 12.

⁷ - ابن غازي، (1988): الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط 2، الرباط، ص 18.

⁸ - مدينة مكناس تاريخ ومعالم، منشورات رؤساء المصالح الإدارية، 1408/1988م، ص 12.

⁹ - محمد اللحية، (2007): مدينة مكناس الوسطية النشأة والتمدين 452-645هـ / 1060-1247 م، دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص 150.

الخريطة رقم 3: مراحل تطور المدينة القديمة لمكناس



المصدر: الوكالة الحضرية لمكناس، مفتشية المباني التاريخية لمكناس، عمل شخصي: 2019.

ويشير ابن غازي¹ إلى أن هذه المرحلة عرفت بناء ستة أبواب، وهي باب البرادعيين وباب المشاوريين وباب عيسي وباب القلعة وباب أقورج وباب دردورة. وتجدر الإشارة إلى أن بعض هذه الأبواب تهدمت وتغيرت مواقعها. كما اشتهرت الفترة المرابطية بباب زواغة التي تنفذ إلى باب زنقة الصباغين، تيبربارين ودرب الفتان، وكذا باب كناوة والذي يجهل موقعها بالضبط²، والذي يعتقد أنها قريبة من مسجد كناوة بحي الصباغين.

ج - مكناس خلال فترة الحكم الموحيدي

خلال حكم الموحدين، استكملت مدينة مكناس بناء هياكلها، وعرفت تطورا عمرانيا، حيث ساد الأمن والاستقرار، بالرغم من أنهم لم يسيطروا عليها إلا بعد سبع سنوات من الحصار، وكان ذلك سنة 540 هـ - 1145 م³. ورغم ما خلفه الحصار من دمار وخراب، فإن المنطقة استطاعت مع الوقت، استرجاع انتعاشها من جديد، حيث ازدهرت بها الحركة التجارية، وقصدها الناس من مختلف الجهات للاستقرار، فشكلت بذلك الفترة الموحدية مرحلة بداية التمدن والتحضّر⁴.

اهتم الموحدون بتشييد المرافق الإدارية والاقتصادية والأحياء السكنية وتنظيم الأسواق. وكانوا وراء إحداث "دار الإشراف" لتكون مقرا للمشرف على الجبايات، إضافة إلى مقر الحكم الإداري⁵.

وقد عرفت المدينة خلال هذه الفترة توسعا عمرانيا في اتجاهين، انطلاقا من جامع النجارين نحو الشمال، وصوب الشمال الشرقي. حيث أنشأ الموحدون قصبتهم على أنقاض القلعة المرابطية، من طرف الناصر الموحيدي عام 600 هـ - 1203 م⁶.

كما عرف المسجد الكبير عملية توسيع وترميم في عهد محمد الناصر (1199-1213 م). كما زودت المدينة بالماء الذي جلب من عين تاكما⁷، وتم تشييد عدد من المباني التاريخية، أبرزها الحمامات، مثل حمام "الكدية" والحمام الجديد" والحمام الصغير" و"حمام الفونش"⁸.

¹ - ابن أبي زرع علي الفاسي، (1972): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ص 263.

² - عبد المالك الناصري (2003): الخريطة المعمارية لمدينة مكناس: دراسة تاريخية ومعمارية لنيل الدكتوراه في التاريخ جامعة مولاي إسماعيل، ص 60.

³ - ابن يمان، (1990): إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس أو عبير الأس من روض تاريخ مكناس، أو حسن الاقتباس من مفاخر الدولة العلوية بمكناس. خمسة أجزاء، الطبعة الثانية، مطابع إديال، الدار البيضاء، ج 1، ص 20.

⁴ - ابن غازي، مرجع سابق، ص 35.

⁵ - محمد اللحية، مرجع سابق، ص 336.

⁶ - محمد المنوني، مرجع سابق، ص 35.

⁷ - محمد اللحية، مرجع سابق، ص 386.

⁸ - ابن غازي، مرجع سابق، ص 29.

وتم بناء أحياء جديدة، كحي "حمام الجديد" بالشمال الشرقي، والذي اعتبر منذ تلك الفترة القلب النابض للمدينة باحتوائه للمسجد الأعظم¹، وحي "سيدي أحمد بن خضراء" الذي أقيم في الجهة الشمالية من مسجد النجارين، و"حي القرسطون"، ثم حي "سدراتة" الذي ينسب إلى قبيلة ورزيغية زناتية. ويبقى أشهر دروبها في تلك الفترة درب "تربعين" الذي خصص لسكن فرقة من الجيش الموحد²، حيث بنوا العديد من السقايات بأحيائها، في مقدمتها سقاية المسجد الأعظم، وسقاية سيدي أحمد بن خضراء، وسقاية سوق السرايرية³. كما أحاطوا المدينة بالأسوار، التي طوقت ما يقارب ربع مساحة المدينة القديمة الحالية⁴.

د - مكناس في العهد المريني

عرفت هذه الفترة قدوم عدد كبير من الأندلسيين إلى مدينة مكناس بعد سقوط الأندلس. ولم تسلم مدائن وحواري مدينة مكناس من التخريب من طرف المرينيين بسبب الحروب للوصول إلى السلطة. ويرجع استقرار المرينيين في مكناس إلى سنة 1276م، حيث أمر السلطان "أبو يوسف يعقوب (1258م-1286م)" بتشييد قصبة جنوب المدينة، والتي لم يتبقى منها إلا مسجدُها المعروف باسمها "مسجد لالة عودة".

وفي عهد أبو الحسن المريني (1331م-1351م)، عرفت المدينة بناء العديد من المرافق، منها:

- **الدينية والعلمية والثقافية:** كمسجد جامع القصبة (لالة عودة)، مسجد الجامع الأعظم، مسجد الصابة، مسجد سيدي المراكشي، جامع التوتة، مسجد حماموش، بالإضافة إلى عدة مدارس كالمدرسة الجديدة، مدرسة الشهود أو القاضي، مدرسة العدول (الخضارين).
- **الاقتصادية والاجتماعية:** فندق كركوش بحي القرسطون، وفندق المولوعين، والمارستان العناني ودار الشيوخ، والحمام المريني وسقاية المارستان وسقاية سبع أنابيب...

للإشارة فقد أصبحت مكناس في القرن الرابع عشر واحدة من أكبر مدن المغرب وأكثرها ازدهارا، حيث كانت مسكنا للوزراء. بينما كانت فاس هي مقر السلاطين.

وبالرغم من أفول نجم مكناس مع الضعف الذي دب في أوصال الحكم المريني، تمكنت المدينة في نهاية المطاف من استعادة بريقها... وفي هذا الصدد يقول الحسن الوزان (جون ليون الأفريقي) "إنه في

¹ - نفسه، ص 28 .

² - محمد المنوني، مرجع سابق، ص 32 .

³ - ابن يادان عبد الرحمان، 1993، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل، تقدي وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، ط 1 الدار البيضاء، ص 343.

⁴ - عبد الملك الناصري، مرجع سابق، ص 77 .

بداية القرن 16 كان في المدينة 6000 كانون (منزلاً)، وهندسة معمارية نمطية لمدينة اسلامية نموذجية بمساجدها ومدارسها وحماماتها.

هـ - مكناس خلال العهد السعودي والحكم العلوي

لم تتميز مرحلة السعديين ببناء معالم جديدة، حيث أجبرت على محاربة الاضطرابات الداخلية للحفاظ على السلطة. وفقدت مكناس خلال هذه الفترة أهميتها السياسية وازدهارها العمراني لصالح العاصمة مراكش. وبذلك انحصر دور السعديين في ترميم المسجد الكبير الموجود (مسجد للاعودة) في القلعة المرينية، بأمر من والده السلطان أحمد المنصور الذهبي (1578 - 1603) مسعودة الورزغيتية. أما خلال فترة الحكم العلوي، فقد عرفت مدينة مكناس أوج ازدهارها وأزهى فترات تاريخها ولمدة تتأخر نصف قرن، حيث استعادت مكانتها كعاصمة للدولة خلال حكم السلطان المولى إسماعيل، الذي اتخذها عاصمة له (1672م - 1727م). وعمل على تشييد العديد من المعالم والقصور، التي ما زالت شاهدة على ذلك، كمسجد الزيتونة، ومسجد باب البردعيين، ومسجد سيدي سعيد.

كما بنى الإسطبلات للخيول ومخازن للحبوب والحدائق وصهرج لتزويد الأحياء بالماء. كما أحاط المدينة بسور تتخلله عدة أبراج عمرانية ضخمة، وأبواب تاريخية كباب منصور وباب البردعيين. كما تم بناء القصبة الإسماعيلية. ثم قام كباقي الملوك بإنشاء العديد من المباني التي لازالت قائمة إلى يومنا هذا "كجامع الروى والدار البيضاء". بالإضافة إلى ترميم المباني والمنشآت الدينية والاجتماعية.

1-2-2-2- ساكنة تنمو بوتيرة سريعة

عرفت ساكنة مدينة مكناس تطورا مستمرا، إذ انتقل عدد سكانها من 175943 نسمة سنة 1960 إلى 686345 نسمة سنة 2014. وارتبط النمو الحضري لمدينة مكناس بالدينامية السكانية وما صاحبها من عوامل، تتعلق بالأساس بالنمو الطبيعي للسكان الحضريين بعد الاستقلال، بالإضافة إلى عامل الهجرة القروية، والتي ساهمت بشكل كبير في نمو المدينة وتوسع مجالها الحضري.

الجدول رقم 3: تطور عدد سكان المدينة القديمة لمكناس مقارنة بمدينة مكناس ككل

الإحصاء	عدد سكان مدينة مكناس ككل	عدد سكان المدينة القديمة	نسبة ساكنة المدينة القديمة/مكناس
1960	175943	85785	% 48.75
1971	248369	88745	% 35.73
1982	319783	79711	% 24.92
1994	401852	68526	% 17.05
2004	574552	47063	% 8.19
2014	686345	41732	% 6.08

المصدر: الإحصاءات العامة للسكن والسكنى لسنوات 1960 و1971 و1982 و1994 و2004 و2014.

بخصوص المدينة القديمة لمكناس فيلاحظ تراجع وزنها الديموغرافي من 48.75 % سنة 1960 إلى 6.08 % سنة 2014 (الجدول رقم 3). ويعود هذا التراجع إلى الهشاشة الاجتماعية التي تعرفها المدينة القديمة، بالإضافة إلى التحولات المجالية المتمثلة في تعدد مشاكل البناءات الآيلة للسقوط، مما يهدد سلامة المواطنين. الأمر الذي جعل العديد من الأسر تغادر هذا المجال، خصوصا بعد استفادتها من برنامج الإيواء وإعادة الإسكان في عدة أحياء بضواحي المدينة.

استمرت مدينة مكناس في لعب دورها الحضاري، إلى جانب مدن فاس ومراكش والرباط. لهذا كانت من بين أهم المدن التي حظيت باهتمام الفرنسيين في عهد الحماية.

وقد عرفت مدينة مكناس، كباقي المدن المغربية، توسعا مجاليا ضعيفا ونمو ديموغرافي بطيئا قبل الاستعمار، لكن بعد الاستقلال انعكس الوضع، وارتفعت نسبة التمدين بالمغرب.

شهدت مدينة مكناس مع الاستقلال نموا سكانيا ملحوظا، نتيجة عاملين رئيسيين: الهجرة القروية ونسبة الخصوبة المرتفعة، وهو ما انعكس على المدينة إجمالا وعلى الساكنة والمشهد الحضري (ارتفاع عدد الساكنة، البناء العشوائي، الفيلات، ...).

2 - عوامل تدهور النسيج القديم بمدينة فاس ومكناس

يتعرض التراث العمراني للتدهور نتيجة مجموعة من العوامل، التي تساهم في تلفه، وبالتالي في فقدان وضياح هذا الموروث الهام. وتختلف وتتعدد هذه العوامل، فمنها ما هو طبيعي ومنها ما هو بشري. ويظهر تأثيرهما بشكل مباشر وغير مباشر على هذا التراث.

إن ما هي أهم العوامل التي تساهم في هذا التدهور، الذي يعاني منه التراث العمراني بالمدينتين؟

2 - 1 - العوامل الطبيعية

تعتبر العوامل الطبيعية بكل أشكالها، من العوامل التي تساهم أكثر من غيرها في تدهور المجال المبني في المدن العتيقة، مما يؤثر على النسيج العمراني. ومن أهم هذه العوامل:

2-1-1 - العوامل المناخية

يؤدي التعرض الدائم للعوامل المناخية، إلى تدهور البنيات السكنية، حيث تعتبر الرياح والمياه الجارية والمتدفقة، أهم العوامل التي تزيد من حدة تدهور المباني. تعمل هذه المياه على اقتلاع ونقل الجزيئات الصغيرة المكونة للأسوار، كما تعمل التيارات المائية القوية على جرف بعض الأجزاء الكبيرة من الأسوار وسقوط أخرى. بالإضافة إلى استمرار تدهورها بفعل الرطوبة التي يسببها الماء في الجدران والأسقف والأرضية¹.

أ- تأثير الحرارة

يؤثر تغير درجة الحرارة حسب الفصول والشهور، وكذلك اختلافها بين الليل والنهار على مكونات التراث العمراني بالأنسجة القديمة. وتتأثر المباني بالمدن القديمة من ارتفاع درجة الحرارة وطول مدة التشميس صيفا، حيث أن تباين الحرارة أثناء الليل والنهار والصيف والشتاء، يعمل على تكرار عمليتي التمدد والتقلص، ويساهم في ظهور تشققات في أجزاء البناية؛ كما تؤدي إلى تنشيط عمل ميكانيكي بطيء، لكنه مؤثر بشكل كبير خصوصا مع مرور الزمن. هذه العملية الميكانيكية المتمثلة في تشقق المباني بفعل تبخر الماء، وتفكيك اللحام الخارجي المشكل أساسا من التربة والجير، تخلف شبكة من الشقوق التي تستغلها التساقطات المطرية، وخصوصا المركزة منها وتقوم بتوزيعها وجرف المواد المشكلة لها؛ كما تقوم التعرية الميكانيكية، بجرف وتكسير ونقل قطع متفاوتة الحجم من الحجارة والأتربة.

¹- أحمد الطلحي، (1998): تدهور السكن بمدينة فاس الأصلية ومحاولات إصلاحه، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ص 169.

إضافة إلى ذلك فاختلاف توجيه المباني، تختلف معه مستويات امتصاص واكتساب درجة الحرارة والرطوبة. فالمباني الموجهة نحو الشمال تكون رطبة، في حين الموجهة نحو الجنوب تكتسب حرارة أكثر. هذا الاختلاف ينعكس أيضا على مدى تواجد النباتات والفطريات والطحالب، والتي تفضل البيئة الرطبة للتكاثر والنمو.

ب- تأثير التساقطات

تلعب مياه الأمطار دورا أساسيا في التأثير على المباني وتغيير مواد البناء، سواء من خلال التلامس المباشر أو غير المباشر مع هاته المواد، فهي تعمل كيميائيا وميكانيكيا وبيولوجيا. فالماء لديه قدرة كبيرة على الإذابة عن طريق التسرب أو حتى عن طريق الجريان السطحي. بالإضافة إلى ذلك يؤدي تواجد قطرات المياه بين الشقوق والشغرات المتواجدة على مستوى مكونات النسيج القديم، وتحت تأثير التغير في درجة الحرارة بين الليل والنهار، إلى اتساعها وتآكلها وبالتالي انهيارها. تساهم أيضا مياه الأمطار في تدهور المباني، من خلال تسربها داخل الجدران وهياكل البنايات، عبر الشقوق وقنوات المسامية. كما تعمل التعرية الكيماوية على إذابة مادة الجير وغيرها من المواد التي تدخل في البناء والقابلة للإذابة والتفسخ.

ج - تأثير الرياح

تعمل الرياح على تعرية القشرة العلوية للأسوار خاصة الهشة منها، فهي تؤدي إلى تشويه المباني وزعزعة استقرار الهياكل، وتخلق ضغطا كبيرا على واجهات المباني وأسطحها، من خلال قوتها وكذلك من خلال العمل الميكانيكي، الذي يعمل على نحت مكوناتها. فتآكل الهياكل تحت تأثير الرياح، يظهر بوضوح في الأماكن التي تعاني من الرطوبة والتشققات والتصدعات الهامة. وهي الحالة التي تعاني منها مختلف المآثر التاريخية والمباني الأثرية، خصوصا الأسوار والأبراج...

2 - 1 - 2 - العوامل البيولوجية

تتميز المباني بخصائص فيزيائية وكيميائية، تشكل وسطا بيئيا لبعض الكائنات القادرة على النمو والتكاثر. حيث نجد البكتيريا والطحالب والفطريات والنباتات... يؤثر الغطاء النباتي على المباني بطريقة غير مباشرة، حيث أن هناك مجموعة مختلفة من النباتات القصيرة والطويلة التي تنمو وتتسلق الجدران، أو تنمو بالقرب من أساسات المباني. هذه النباتات تتوفر

على الجذور القوية والعميقة، قادرة على اختراق الأساسات والجدران الهشة وتوسيع مسامها، وبالتالي نشر مجموعة من الشقوق والانكسارات وتآكل هذه المباني، مما يؤدي إلى انهيار أجزاء كبيرة منها (الصورتان رقم 1 و2).

الصورتان رقم 1 و2: نمو الغطاء النباتي بالمباني بالنسيج العمراني القديم بفاس، يساهم في تدهورها وهشاشتها



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

أيضا فتواجد النباتات في كثير من الأحيان، له تأثير ضار على المآثر والمباني التاريخية التي تتواجد بها، إذ أن تواجدها على واجهة هذه المآثر، يمكن من إخفاء العلل المدمرة التي تصيبها (الشقوق، الرطوبة).

2-1-3- تأثير الزلازل والحركات الأرضية

يقع المغرب في منطقة عدم الاستقرار الزلزالي، فهو يتواجد في منطقة التقاء صفحتين قاريتين (الصفحة الإفريقية والصفحة الأرواسيوية)، وقد تعرضت مجموعة من المدن المغربية إلى زلازل عنيفة ومدمرة، كتلك التي شهدتها مدينة العرائش سنة 1276 م. كما دمرت مدينتا مراكش وطنجة على التوالي سنتي 1719 م و1773 م.

أما فيما يخص مدينتا فاس ومكناس فقد تعرضتا لزلازل مدمرة، حيث تم تدميرهما جزئيا عدة مرات، كما ورد في الكتابات التاريخية، سنوات 1522 م و1624 م و1755م الذي سمي بزلزال لشبونة، إذ تم

تدمير جميع المباني تقريبا، وخصوصا المسجد الكبير. كما دمرت صوامع المولى إسماعيل بمكناس ولقي 3000 شخص حتفهم تحت الأنقاض¹.

إن من بين عوامل التدهور العمراني، نجد الزلازل والحركات الأرضية التي تتعرض لها المباني فجأة، فتؤدي إلى ظهور تشققات في المباني، وتعمل على تفكيك هياكلها أحيانا فتنهار جزئيا أو كليا.

2-2-2- انعكاسات ضعف البنيات التحتية بالأنسجة القديمة سبب مباشر في تدهورها

2-2-2-1- شبكة التطهير

تعتبر من أهم الأخطار التي تهدد حاضر ومستقبل المباني. تعاني هذه الشبكة من مجموعة من المشاكل تتمثل في:

- صغر قطر القنوات الذي يتراوح ما بين 20 سنتمترا و 40 سنتمترا. مما يشكل عائقا أمام تصريف مياه الأمطار وكذلك بالنسبة للصرف الصحي، ويرفع نسبة التسرب والرطوبة، التي تهدد عددا كبيرا من المباني بالمجال المدروس²؛

- تعرض القنوات للانكسار والتآكل المستمر، خصوصا بالنسبة للقنوات المجمععة. فنسبة مهمة من هذه القنوات غير صالحة بالمدينة القديمة³؛

- الاختناق بسبب الأتربة والنفايات مع قلة وتراجع الأغشية بسبب الردم والتقدم؛

- غياب عمليات الإصلاح الذاتي للقنوات من طرف السكان.

2-2-2- تقادم شبكة الماء الشروب

تعاني شبكة الماء الشروب بالمدينة القديمة من تدهور مستمر نتيجة تقادمها، وغياب عمليات إصلاحها وتجديدها، وتعرف تسرب كميات كبيرة من المياه بالأزقة وأسفل أساسات وجدران المباني، الشيء الذي يرفع من شدة الرطوبة بها. كما أن بطء عمليات الإصلاح المستعجلة تزيد من تفاقم المشكل، مما ساهم في الإسراع بعملية تدهور بعض المباني وهشاشتها، نتيجة ارتفاع رطوبة جدرانها، وهو ما يتضح جليا في بعض الطوابق الأرضية للمباني بالمدينتين.

¹ CHERKAOU (T.-E.) – (1987) : Les tremblements de terre. pp : 56-74, In «La grande encyclopédie du Maroc», Vol. Géographie physique et Géologie. 237 p, Edit.

² RADEEF – (1996) : Achèvement du Plan Directeur d'assainissement liquide du Grand Fès. Tome 2, mission 1-1, Rapport final p 89.

³ - محمد الرفيق، (2012): إشكالية المباني المهددة بالانهيار الناجمة عن الأخطار الطبيعية والممارسات الحضرية بمدينة فاس أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس - فاس، ص: 53.

وتتجلى خطورة قنوات الماء الصالح للشرب المتقدمة، في التسربات الباطنية التي تعرفها نتيجة الشقوق التي تحدث بها القنوات. وهو ما يؤدي إلى رجوع الماء إلى المباني عن طريق الخاصية الشعرية (Capillarité)، الشيء الذي يرفع من شدة الرطوبة ويساهم في تسريع وتيرة تدهور المباني وهشاشتها¹. عموماً، تساهم الوضعية المتردية لشبكات التطهير والماء الشروب في الرفع من نسبة المياه المتسربة ونشر الرطوبة المفرطة، التي تهدد أساسات وجدران المباني، وتؤدي إلى تآكلها وانحراف هياكلها.

2-3- دور العوامل البشرية في تدهور النسيج القديم بمدينة فاس ومكناس

تعتبر العوامل البشرية من أهم العوامل المسببة للتدهور التراث العمراني بالمجال المدروس. فهي لا تقل شأنًا عن العوامل الطبيعية في إتلاف المآثر التراثية وتدهور بناياتها. وذلك بسبب سوء التدبير والتخطيط وكذلك الجهل بقيمة هذه الكنوز. ويمكن إجمال هذه العوامل فيما يلي:

2 - 3 - 1- الإستغلال المكثف وارتفاع الكثافة السكانية بفعل الهجرة والتزايد الطبيعي

تؤدي الهجرة خاصة القروية منها، والتزايد الطبيعي المهيول إلى زيادة الكثافة السكانية بشكل عام، وبالمدن القديمة بشكل خاص. هاته الكثافة المرتفعة تتجلى في استغلال المسكن الواحد من طرف أكثر من أسرة واحدة، فأصبحت المنازل التي كانت تأوي أسرة أو أسرتين على الأكثر عرضة للتجزئ والتقسيم (الصورتان رقم 3 و4).

الصورتان رقم 3 و4: توضحان ظاهرة التساكن وتقسيم البناية إلى مجموعة من الغرف تقطنها أكثر من أسرة واحدة.

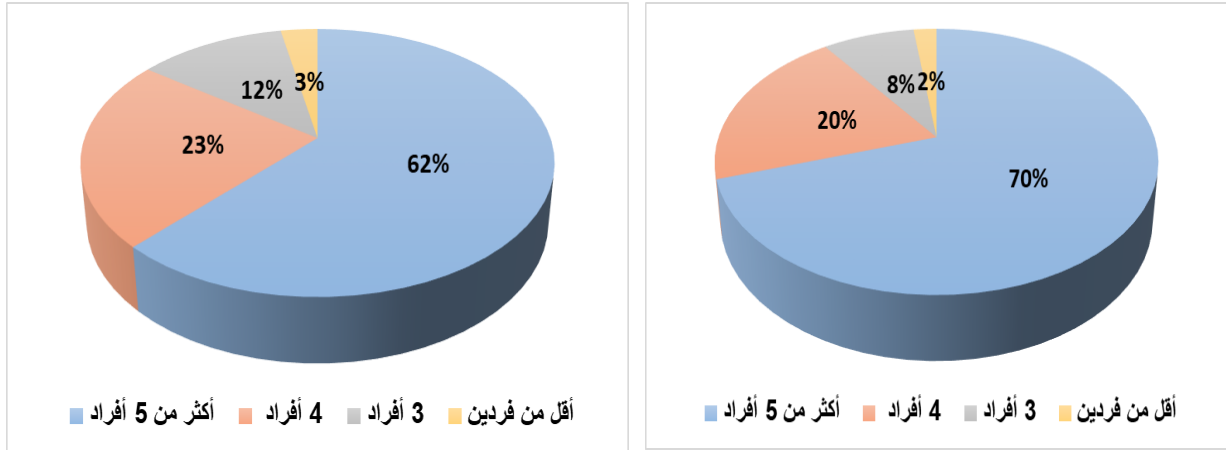


المصدر: تصوير شخصي، 2016.

¹ - محمد الرفيق، (2012): مرجع سابق، ص: 54.

ويتجلى هذا الاكتظاظ أيضا على مستوى القاطنين بغرف هذه المساكن، التي تعرف اكتظاظا وكثافة مرتفعة بالمجال المدروس (الشكلين رقم 1 و 2).

الشكل رقم 1: توزيع السكان بالنسيج القديم لمدينة فاس
الشكل رقم 2: توزيع السكان بالنسيج القديم لمدينة مكناس
حسب حجم الأسر



المصدر: العمل الميداني، 2016.

يلاحظ من خلال الشكلين رقم 1 و 2 أن 70 % من الأسر بالمدينة القديمة لفاس تتكون من أسرة يزيد عدد أفرادها عن 5 أفراد، في حين تصل هذه النسبة إلى 62 % من الأسر بالمدينة القديمة لمكناس، وهو ما يوضح ارتفاع حجم الأسر بهذين النسيجين القديمين، حيث يعتبر هذا النطاق من أكثر النطاقات كثافة على مستوى المدينتين، مما يبرز دور هذا العنصر في تدهور الإطار المبني بالمدينتين. بالمقابل تصل نسبة الأسر التي يقل عدد أفرادها عن 2 % بالمدينة القديمة لفاس، و 3 % بالمدينة القديمة لمكناس.

2- 3 - 2 - المستوى السوسيو - اقتصادي لأرباب الأسر بمدينتي فاس ومكناس القديمتين

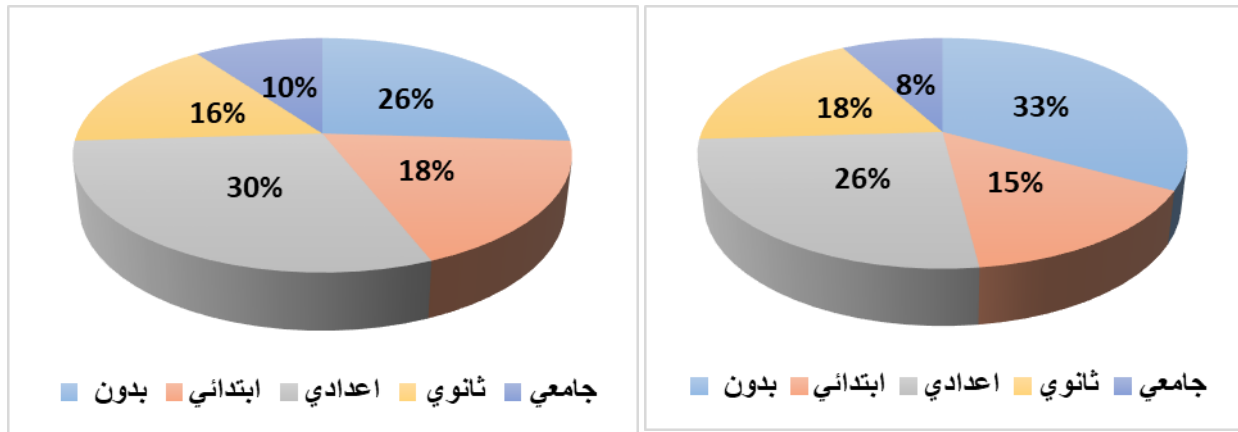
لزالَت المدن القديمة، تلعب دور القلب النابض للنسيج الاقتصادي للمدن الكبرى التي تغذي سوق الشغل باستمرار، وتساعد في تحقيق التوازنات الاجتماعية. فمنذ زمن ومدينتي فاس ومكناس، تتميزان بأهمية صناعاتهما التقليدية، التي مكنتهما من احتلال المراتب الأولى من بين مختلف الحواضر المغربية القديمة. إذ أن الكثير من مهن الصناعة التقليدية، موجودة بالمدينتين القديمتين (الخرازة، النسيج، النحاسية، النقش، والصبغة على الخشب، الخزف، الفخار....).

زيادة على احتواء هذا المجال على عدد هائل من المحلات التجارية والخدماتية، واستقطابها لقطاع اقتصادي موازي وغير مهيكَل. وعلى الرغم من ذلك فالمدينتين القديمتين بكل من فاس ومكناس تتميزان بهشاشة اقتصادهما، الذي يغلب عليه الطابع غير المهيكَل. ويتضح ذلك من خلال:

أ- المستوى الدراسي لأرباب الأسر

يعتبر مؤشر الأمية والتمدرس، من أبرز النقط في كل دراسة جغرافية بمقاربة اجتماعية، نظرا لكونه يفسر مجموعة من السلوكات، والظواهر المتعلقة بالسكان. فالواقع الاجتماعي بكل مضامينه ومحتوياته وتناقضاته يدل على عدم اندماج المساكن داخل المجال الحضري. كما يعتبر عاملا مهما في تحديد مستوى التنظيم والتدهور المجالي الذي يعرفه المجال.

الشكل رقم 3: المستوى التعليمي لأرباب الأسر بالنسيج القديم لمدينة فاس
الشكل رقم 4: المستوى التعليمي لأرباب الأسر بالنسيج القديم لمدينة مكناس



المصدر: العمل الميداني، 2016.

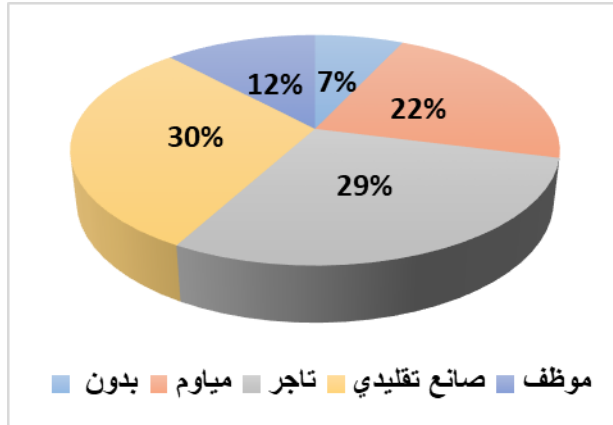
ويلاحظ من خلال الشكلين رقم 3 و 4 ارتفاع نسبة الأمية وضعف المستوى الدراسي لأرباب الأسر بالمجال المدروس، حيث تصل نسبة الأمية الى حوالي الثلث بالمدينة القديمة لفاس والربع تقريبا بالمدينة القديمة لمكناس. في حين يشكل أرباب الأسر الذين يتوفرون على مستوى تعليمي عالي نسبة ضعيفة لا تتجاوز 8 % بالمدينة القديمة لمدينة فاس، و 10 % بالمدينة القديمة لمكناس.

يساهم ارتفاع نسبة الأمية وضعف المستوى الدراسي بالمدينتين القديمتين لفاس ومكناس، في كيفية التعامل مع مكونات التراث العمراني، فالمحافظة عليه تستوجب معرفة واستيعاب الساكنة ووعيها بأهميته وضرورة الحفاظ عليه، وبالتالي الانخراط والتفاعل بشكل إيجابي في عمليات الترميم ورد الاعتبار.

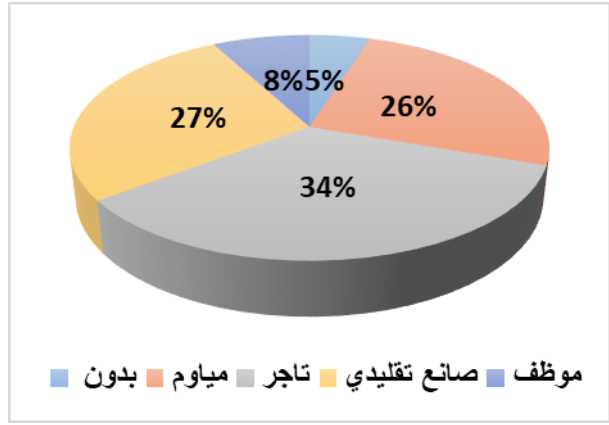
ب - توزيع أرباب الأسر حسب المهن والوضعية في العمل

يساهم البحث في البنية السوسيو اقتصادية لأرباب الأسر، في التعرف على الأوضاع الاقتصادية المزرية التي تعيشها الأسر داخل النسيج القديم. وعموما تتميز هذه البنية بالتنوع والهشاشة. وهو ما خلق نوعا من الصعوبة في الحصول على تصنيف هذه المهن (الشكلين رقم 5 و 6).

الشكل رقم 6: توزيع أرباب الأسر بالنسيج القديم لمكناس حسب المهن



الشكل رقم 5: توزيع أرباب الأسر بالنسيج القديم لفاس حسب المهن



المصدر: العمل الميداني، 2016.

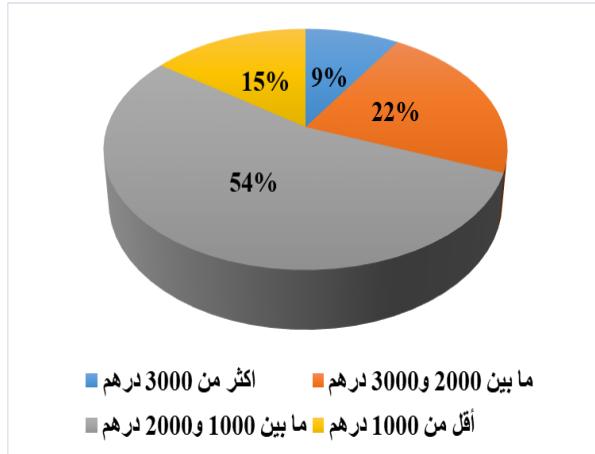
يلاحظ من خلال الشكلين رقم 5 و6، أن غالبية أرباب الأسر بالنسيج القديم لمدينتي فاس ومكناس يمتنون التجارة، حيث تبلغ نسبتهم 34% بالمدينة القديمة لفاس و29% بالمدينة القديمة لمكناس. كما تبلغ نسبة أرباب هذه الأسر الذين يزاولون أعمالا موسمية حوالي 26% بالمدينة القديمة لفاس، و22% بالنسيج القديم لمدينة مكناس. أما بخصوص نسبة العاطلين فتتراوح ما بين 5% بالمدينة القديمة لفاس و7% بالمدينة القديمة لمكناس. في حين، تبلغ نسبة الموظفين حوالي 8% بالنطاق الأول و12% بالنطاق الثاني.

إن ارتفاع نسبة المشتغلين بقطاعي الصناعة التقليدية والتجارة والمياومين، يؤثر على دخل هاته الفئات، مما سيؤدي إلى ضعف تعاملهم مع المسكن، فيما يتعلق بعملية الصيانة والترميم، وبالتالي حمايته والحفاظ عليه من التدهور.

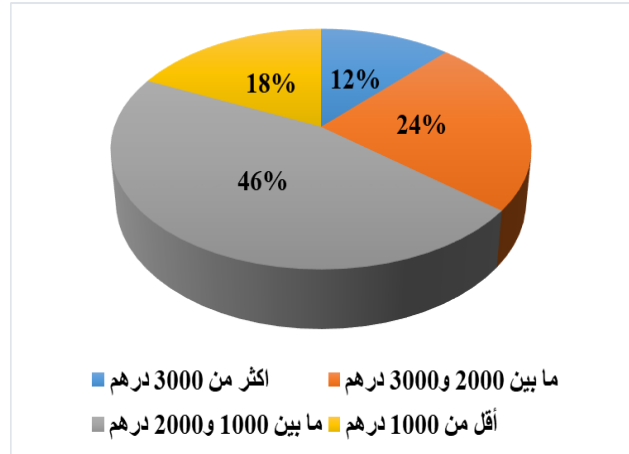
ج - توزيع أرباب الأسر حسب دخلهم الشهري

تتعرض البنية السوسيو - اقتصادية الهشة، والتي تنتمي في الغالب إلى قطاع الصناعة التقليدية وإلى القطاع غير المهيكل، على مستوى الدخل، حيث يعرف هو الآخر انخفاضا وتدنيا. ومن خلال العمل الميداني لاحظنا ما يلي (الشكلين رقم 7 و8):

الشكل رقم 8: الدخل الشهري لأرباب الأسر بالنسيج القديم لمكناس



الشكل رقم 7: الدخل الشهري لأرباب الأسر بالنسيج القديم لفاس



المصدر: العمل الميداني، 2016.

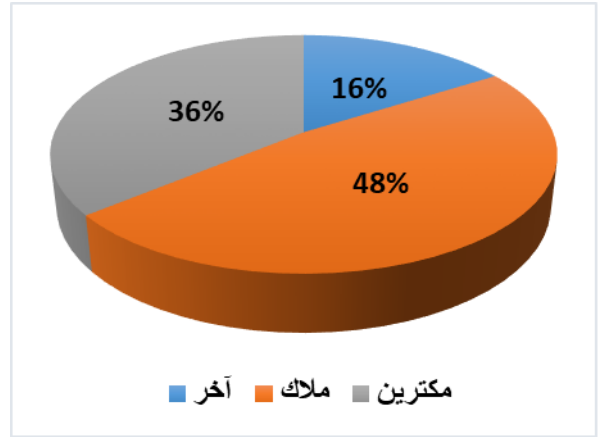
يتضح من خلال الشكليين رقم 7 و 8 أن أزيد من 64 % من أرباب الأسر يقل دخلهم عن 2000 درهم بالنسيج القديم لمدينة فاس، و 69 % بالنسيج القديم لمدينة مكناس. في حين نجد فقط 12 % من الأسر التي يزيد دخلها عن 3000 درهم بالمدينة القديمة لفاس، و 9 % بالمدينة القديمة لمدينة مكناس. يلاحظ إذن أن النسيج القديم لمدينتي فاس ومكناس تقطنه أسر ذات أغلبية فقيرة، بعض منها لا دخل لها، أو دخلها متوسط إلى ضعيف في أغلب الحالات. مما لا يسمح بتحمل أعباء تكاليف الصيانة، وترميم المنازل التي تقادمت هياكلها. كما لم تعد قادرة على تحمل العبء الكبير للمسكن.

2-3-3 - الوضعية في السكن

إن الوضعية الاقتصادية المزرية للأسر تلقي بظلالها على وضعية السكن العقاري (الشكليين رقم 9 و 10)، إذ أن 36 % من المستجوبين بالمدينة القديمة لفاس، و 27 % بالمدينة القديمة لمكناس هم مكترين، في حين نجد أن نسبة المالكين تصل إلى 48 % و 36 % على التوالي بكل من المدينتين القديمتين فاس ومكناس. في حين نجد نسب ضعيفة لا تتجاوز 20 % من الساكنة تقطن بشكل مجاني بالمدينتين.

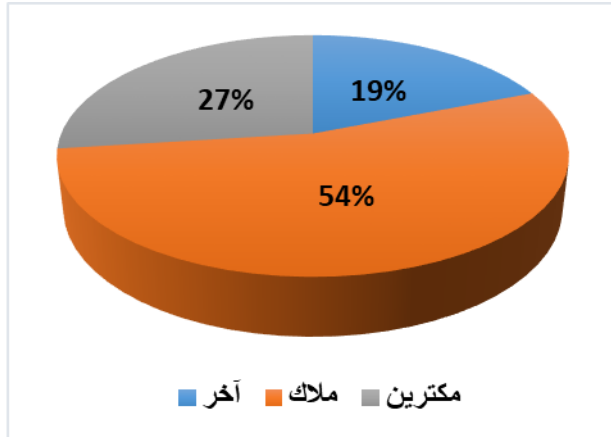
الشكل رقم 9: الوضعية العقارية للسكن بالمدينة القديمة

لفاس



الشكل 10: الوضعية العقارية للسكن بالمدينة القديمة

لمكناس



المصدر: العمل الميداني، 2016.

من الأكيد أن القيمة الكرائية توضح بجلاء حالة السكان المادية، وأن انخفاض السومة الكرائية بهذه المباني التي تتراوح ما بين 300 درهم و500 درهم، يجذب الفئات الهشة للاستقرار بها، وبالتالي ارتفاع الكثافة السكانية.

هذه الوضعية المتدهورة، التي تعتبر الكثافة السكانية من مسبباتها، تستدعي من قاطني المباني التدخل للقيام بمجموعة من الإصلاحات للحد من تدهورها.

وأمام هذه الظروف والفراغ القانوني المرتبط بعقد الكراء، تضطر الأسر إلى الإقامة بهذه المساكن الهشة، والمحافظة عليها عبر تقنيات بسيطة جداً، كتدعيم بعض الأسوار والأساسات والأدراج بالإسمنت أو بالأخشاب، والحرص على عدم استعمال كميات كبيرة من المياه داخل المباني، وكذا تجنب القيام بأشغال وأنشطة قد تتسبب في اهتزاز هذه المباني وانهارها. وفي أحسن الأحوال تخصص بعض الأسر أجور الكراء الهزيلة لتدعيم بعض الأساسات والجدران الأكثر تضرراً. كذلك تقوم هذه الأسر بتبليط الأسوار الخارجية للبناية، وذلك للحيلولة دون ارتفاع نسبة الرطوبة بالجدران.

2-3-4 - العوامل المرتبطة بعمليات الإصلاح والترميم العشوائي من طرف السكان

يقصد بها مجموعة من التغيرات والأعمال والتعديلات التي يقوم بها السكان. غير أن تدخل السكان بشكل مباشر قد يتسبب في انهيار وتصدع المباني، عن طريق عمليات التدخل العشوائية، بالإضافة إلى بعض التغيرات التي تطرأ على المساكن، نظراً لغياب ثقافة وتقنيات الإنقاذ. فما يحسبه السكان إصلاحاً

وصيانة من الداخل أو الخارج، يعد في حد ذاته تدمير وإخلالا بمعالم البناية. وهذا ما يمكن ملاحظته بالنسيج القديم.

أمام هذا الضغط والتزايد السكاني، عمدت بعض الأسر إلى إدخال البناءات وتغييرات غير قانونية، كإضافة بعض الغرف داخل المنزل، أو تقسيم الغرفة إلى غرفتين، أو بناء سور داخل المنزل، أو تغيير وضعية بعض أجزاء البناية، بالإضافة إلى تسقيف الأفنية بمواد بناء أجور وإسمنت. بالإضافة إلى بناءات عشوائية على غرار بناء بيوت إضافية في سطوح المنازل. أو بناء أسوار أو جدران أو بناء المطابخ بجوار الغرف الفردية للأسر، وأحيانا استغلال البهو كمطبخ.

كما يتجلى سوء الإصلاح وترميم الإطار المبنى، في إسناد هذه المهمة إلى مقاولين غير متخصصين مما يزيد الطين بلة؛ فبدل إنقاذ هذه المباني وترميمها تصبح هذه التدخلات سببا في تدهورها خاصة مع استعمال مواد غير متجانسة مع البناية الأصلية.

إذ يشترط في من يقوم بعملية الترميم توفر دراية بهذه العملية التقنية، وذلك بعد إجراء الدراسات اللازمة على المباني المراد ترميمها لمعرفة خصائصها ومكوناتها، قبل اختيار مواد الترميم المناسبة والمتجانسة الكفيلة بالمحافظة عليها.

2-3-5- الآثار السلبية للصناعة التقليدية على الإطار المبنى بالنسيج القديم لفاس ومكناس

نتج عن فقدان توازن النظام العمراني القديم اختلالا واضحا، تمثل في انتشار الوحدات الصناعية التقليدية والتجارية والخدماتية في كل أنحاء المدينتين القديمتين، مما ساهم في فقدان الخصوصية السكنية للأحياء، حيث استقرت مجموعة من الوحدات الإنتاجية، سواء منها تلك التي تعتمد على الأدوات اليدوية، أو التي تعتمد على الآلات ذات المحركات الكهربائية. وهكذا ظهرت مجموعة من المهن والحرف مثل: النجارة، الخرازة، الخياطة... (الصورتان رقم 5 و6)، الشيء الذي أدى إلى تحويل مجموعة من الدور السكنية إلى وحدات إنتاجية، إما من خلال استغلال مختلف أرجاء المنزل أو جزء منه، أو عن طريق فتح مجموعة من الغرف المطلة على الحي وجعلها مجالا للبيع أو حتى القيام بكرائها.

الصورتان رقم 5 و6: بعض الأنشطة الحرفية بالمدينة القديمة لفاس



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

إن هذه الوحدات الإنتاجية تحدث أضرارا بليغة سواء بالنسبة للتنظيم العمراني للمناطق السكنية التي توجد بها أو بالنسبة للمباني التي تستغلها إثر قوة الاهتزازات الناجمة عن الآلات المستعملة. عند وجود هذا النوع من الوحدات داخل زقاق غير نافذ فإن حرمة الدرب والمسكن الموجودة به قد انتقصت لأن الدرب غير النافذ¹ هو مجال مخصص لسكان الدرب وليس للأنشطة. ناهيك عما تحدثه هذه الأنشطة من أضرار بيئية متنوعة: ضجيج، روائح كريهة، نفايات، تشقق الجدران الحاملة، خطر اندلاع الحرائق... إلخ، مما انعكس سلبا على تدبيرها (الدروب) وصيانتها وحق استعمالها.

مما أدى إلى زيادة الضغط على المبنى، خصوصا البنايات المتقدمة وغير المؤهلة لاحتضان مثل هذه الآلات والمحركات التي تتسبب في اهتزاز المباني وتصدعها. لأن هذه الصناعات تستعمل محركات ذات قوة عالية، وجد معقدة، مما ينتج عنه إحداث أضرار بليغة، سواء بالإطار المبني من خلال إحداث مجموعة من الشقوق بالجدران، أو من خلال التلوث الذي أصبحت وتيرته تتزايد في ظل انعدام الوعي بالأخطار التي قد تصاحب هذه التغيرات المجالية.

كذلك يتعلق الامر بالفنادق التي توجد بها وحدات إنتاج الأواني النحاسية والخرازة والمحلات التي تستعمل الآلات والمحركات القوية تحدث اهتزازات في أعمدة فنادقها وبالتالي تدهور حالتها الفيزيائية.

¹ - كانت في السابق تخضع لمعايير وأحكام تتلاءم مع وظيفتها ومع الخصوصيات الاجتماعية والهندسية للمجال السكني. هذه الدروب تكون أقل اتساعا من الأزقة النافذة لقلّة المارة بها ولقصدتهم إلى مساكنهم. فالغرض والهدف من استعمال الدرب هو السكن أما الطريق (الدرب) فهي وسيلة توصل إليه.

خاتمة الفصل الثاني

يتضح مما سبق أن مدينتا فاس ومكناس تتوفران على موارد ترابية طبيعية وبشرية، وكذا مقومات تاريخية ومعمارية، تؤهلها اليوم لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي قاطرة للتنمية بالمغرب. فمستقبل المدينتين القديمتين والمدينتين ككل، يظل رهينا بكيفية استغلال هذه المؤهلات والموارد التراثية وضمن استدامتها.

إلا أنه خلال العقود الأخيرة، وبالإضافة إلى حدة العوامل الطبيعية، وخاصة العامل المناخي، فقد تراكمت مجموعة من الاختلالات، أدت إلى ما نراه اليوم من تدهور للتراث العمراني بالمجال المدروس، وإتلاف النسيج الحضري والنقص في البنيات التحتية، خصوصا شبكة التطهير وانتشار التلوث البيئي. بالإضافة إلى النقص الواضح في التجهيزات والمرافق الحيوية القريبة من حاجيات السكان، حيث أضحت المدينتان غير قادرتين على توفير الإدماج الحقيقي لسكانهما وأحيائهما.

كما عرفتا المدينتين القديمتين فاس ومكناس مجموعة من التحولات السوسيو مجالية أثرت بشكل كبير على مجالهما المبني.

وتجلى هاته الاختلالات السوسيو اقتصادية في:

- ارتفاع معدلات الفقر بالأوساط الهشة بالنسجين (64 % يقل دخلها عن 2000 درهم بالمدينة القديمة لفاس، و 59 % بالمدينة القديمة لمكناس)، وهو ما يؤثر في كيفية التعامل مع المبني، وخصوصا عمليتي الصيانة والترميم؛

- ارتفاع نسبة الأمية وضعف المستوى التعليمي (48 % بدون مستوى تعليمي أو مستوى ضعيف بالمدينة القديمة لفاس، و 44 % بالمدينة القديمة لمكناس)؛

- بالإضافة إلى تزايد معدلات الهجرة القروية نحو هاته المجالات والنمو الديمغرافي السريع، ساهم في ارتفاع الكثافة السكانية بهاته المجالات (70 % يزيد عدد أفراد الأسرة عن 5 أفراد بالمدينة القديمة فاس، و 62 % المدينة القديمة لمكناس)، وهو ما شكل ضغطا قويا على الإطار المبني بالنسجين.

هاته الوضعية المتدهورة، تتطلب تضافر جهود جميع الفاعلين على مستوى الوطني أو المستوى المحلي للمدينتين، لمعالجة هاته العوامل والاختلالات لإيقاف النزيف، وبالتالي رد الاعتبار لهما، لكونهما يشكلان قاطرة التنمية على مستوى الجهة.

خاتمة الباب الأول

تتألف هيئات حماية التراث والمحافظة عليه، من مجموعة متعددة ومتنوعة من الفاعلين في القطاع العام (الفاعلين على المستوى الوطني أو الإقليمي أو المحلي)، والقطاع الخاص (المقاولين والمنعشين العقاريين والحرفيين وغيرهم من المهنيين)، والمجتمع المدني (المنظمات غير الحكومية، وجمعيات المجتمع المدني، والمتطوعين).

وتهتم هذه الهيئات بمراقبة ومتابعة مختلف المخاطر التي يتعرض لها النسيج القديم، من خلال تحديد المناطق الهشة والمناطق المعرضة للتدهور، ومحاولة إيجاد الحلول الكفيلة بمعالجتها. فمنذ نهاية القرن 19 تم عقد مجموعة من المؤتمرات والملتقيات أصدرت عنها مجموعة من الاتفاقيات والمواثيق، هدفها حماية التراث على المستوى الدولي؛ كما شكلت الإطار النظري لمختلف الدول لإصدار قوانينه المتعلقة بحماية التراث.

وقد عملت المنظمات الدولية والإقليمية غير الحكومية، على توفير الدعم المالي والتقني لحماية التراث بمجموعة من الدول، وساهمت في إقامة التداريب لتكوين أطر ومتخصصين وخصوصا بالدول النامية لحماية تراث بلدانهم. كما عملت على حشد الدعم المالي، وتقديم القروض لمجموعة من الدول لإنقاذ تراثها العمراني ورد الاعتبار له.

وبالرغم من تعدد الفاعلين المتدخلين في مجال التراث على المستوى الدولي والوطني، وكذلك الترسانة القانونية الهامة التي يتوفر عليها المغرب، والتي استطاعت إلى حد كبير الحد من تدهور من بعض مكونات هذا النسيج، إلا أنه لازال يعاني من التدهور.

فالتشويه الذي نراه اليوم هو عبث بتراث الماضي وأصالته وجماليته، حيث تضافرت مجموعة من العوامل، أثرت على وضعية واستقرار مكونات النسيج القديم بكل من مدينتي فاس ومكناس، وبالتالي تعرضهما لخطر الزوال. فكل هذه العوامل متداخلة ومتراصة فيما بينها، لكن نتيجتها واضحة ألا وهي تدهور وانهايار هذه المكونات.

- إذن ما هو الموروث العمراني الذي تتوفر عليه المدينتين القديمتين فاس ومكناس؟

- وكيف هي وضعيته وحالته الفيزيائية؟

الباب الثاني:

مدينتا فاس ومكناس القديمتين:

مؤهلات تراثية عمرانية غنية ومتنوعة

مقدمة الباب الثاني

يمتاز المغرب بكونه بلد التراث الغني والمتنوع، يشهد على ماض مجيد وحضارة عريقة ضاربة في القدم أسهمت في إغناء وتطوير الصرح الحضاري للإنسانية جمعاء.

إن هذا الثراء والتنوع يعطي للمغرب اليوم مكانة متميزة ضمن أمم الأرض، ويجعلنا نحن المغاربة أشد فخرا بانتمائنا إل هذا البلد، ويلقي على عاتق المجتمع المغربي بكل مؤسساته ومكوناته، عبئا ثقيلا باتجاه حمايته وتطويره، ليس على اعتبار بعده الثقافي والحضاري وانسجامه مع تاريخ الإنسان المغربي، أو على اعتبار أنه يختزل تجاربه التاريخية وعمق وجوده في هذه البلاد فقط، بل على اعتبار أنه يشكل موردا اقتصاديا مهما إذا أحسن استخدامه وتطويره.

وتزخر مدينتا فاس ومكناس كجميع المدن الإسلامية بصفة عامة والمغربية بصفة خاصة، بموروث عمراني، تشكل على مر العصور، ويمثل في مجمله تراثا حضاريا مغربيا وإنسانيا، ويشكل هذا التراث بكل مكوناته العمرانية العسكرية والدينية والاقتصادية والثقافية، تراثا إنسانيا بالغ الأهمية حيث أنها تؤرخ لمختلف الحضارات التي تعاقبت عليها وذلك منذ تأسيسهما.

فتاريخ المدينتين الزاهر بالأمجاد، وتعاقب عدة دول على حكمهما جعلهما تستفيدان من تقاني ملوك هذه الدول في تجميلهما وتزويدهما بكل المرافق الاجتماعية والدينية والاقتصادية، التي يحتاج إليها السكان، ورغبة من كل ملك من الملوك في تخليد تاريخه، عن طريق إقامة الأبنية الضخمة وترك الآثار العمرانية الهامة.

كل هذه الظروف مكنت المدينتين، وأتاحت لهما أن يحتضنا معالم تاريخية غاية في الروعة والجمال؛ وتتمثل في المساجد، والمدارس، والأبواب، والأضرحة، والسقايات، وغيرها من المآثر التاريخية التي تتم على ما وصلت إليه الحضارة العمرانية بالمدينتين.

هذا الغنى التراثي بالمدينتين تعرض لتدهور والإهمال على مر القرون والسنين، وهو ما أصبحت معه مجموعة من المآثر في وضعية حرجة، وبعضها الآخر تعرض للإندثار.

ومن خلال هذا الباب سنحاول التطرق إلى المخزون التراثي الذي تزخر به المدينة القديمة لفاس في الفصل الثالث، ومدينة مكناس القديمة في الفصل الرابع، بالإضافة إلى إبراز وضعيته وحالته الفيزيائية.

إن فماهي مكونات هذا التراث بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس؟ وكيف هي وضعيته وحالته الفيزيائية؟

الفصل الثالث:

المكونات التراثية العمرانية الأساسية

لمدينة فاس

مقدمة الفصل الثالث

تعد المدينة القديمة بفاس من بين أهم المدن التراثية والثقافية على الصعيد العالمي، وذلك بالنظر إلى مخزونها الثقافي والتراث العريض الذي تتوفر عليه، هذا التراث الذي تراكم طيلة الفترات الزمنية التي مرت منها هذه المدينة منذ فجر تأسيسها، والذي يعتبر بحق مرآة تعكس ماضيها وحاضرها ومستقبلها¹. شكلت مدينة فاس ذاكرة جماعية لكل المغاربة وخزاناً لتراثهم العمراني، على مر العصور، ونموذجاً للمدينة المتوسطة العربية الإسلامية. فبفضل رصيدها الحضاري وتراثها الإنساني، وتعد بفضل شكلها العمراني الأصيل من أهم العواصم الثقافية في الغرب الإسلامي، وحاضرة كبرى قصدها العلماء والزهاد والأولياء، وازدهرت فيها التجارة والحرف، وبنيت فيها أجمل الجوامع والمدارس والدور والفنادق، ويرجع ذلك بالتأكيد إلى موقعها الجغرافي الاستراتيجي، وغزارة المياه من حولها ووجودها على سهول خصبة، ولذلك استقطبت منذ البدايات الأولى لنشأتها في القرن الثاني الهجري والثامن الميلادي قبائل أمازيغية وعربية، كما هاجر إليها السكان من الأندلس والقيرون، مما أدى إلى خلق خليط ثقافي متنوع. ولا تزال هذه المدينة تحافظ على طابعها الأصيل فهي تضم معالم حضارية بارزة من أبواب أثرية، ومدارس، ومساجد، وأضرحة، وفنادق، حيث لا يفوت الزائر لمدينة فاس أن يلاحظ هذا الغنى الحضاري الذي تتركه به (الخريطة رقم 4).

1 - التراث العمراني العسكري بالمدينة القديمة لفاس

يطلق عليه أيضاً المباني الدفاعية كالأسوار والقصبات والأبراج والأبواب، فقد عمل الحكام المتعاقبين على المدينة منذ تأسيسها، على تعزيزها بالتحصينات العسكرية، للدفاع عنها، وضمت الأسوار والأبراج والأبواب (الخريطة رقم 5).

1 - 1 - الأسوار التاريخية معمار عسكري متميز

تتميز المدن القديمة بكونها محاطة بأسوار لحمايتها من أي غزو أجنبي، وتنفرد هذه الأسوار من الناحية المعمارية بانتظام وتوزيع الثغرات، وكذا الوحدات والشرفات، بالإضافة إلى طابع خاصي الارتفاع والسماك؛ فمثلاً الأسوار الموحدية يتعدى سمكها 2 أمتار، أما الأسوار العلوية فيصل سمكها 1.5 متر.

¹ - بوشتي الخزان ومحمد حميق (2007): المدينة القديمة بفاس تراث إنساني بين التهميش والإنقاذ، مجلة دفاتر جغرافية، عدد مزدوج 3-4 (التراث والمجال والتنمية)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ص: 27.

اتسمت بطابع العظمة والتباهي، وتتصب في أجزائها المتعددة مجموعة من الأبواب العظيمة والأقواس؛ شكلت المنفذ الوحيد إلى المدينة، والطريق المؤدية إلى الضواحي الحيوية القريبة قديما، ويجعلها عاملا مهما في تنمية الحركة السياحية بالمدينة القديمة حاليا.

تعتبر أسوار فاس وثيقة تاريخية وحضارية، تمتد على طول 26 كلم تحيط بالمدينة القديمة (الصورة رقم 7 و8).

الصورتان رقم 7 و8: أسوار النسيج القديم لمدينة فاس



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

ونذكر فيما يلي أهم الأسوار حسب فترات إنشائها:

- ✓ **فترة الأدارسة:** تأسست مدينة فاس سنة 808م، بنيت على الضفة اليمنى من واد فاس في الموضع المعروف حاليا بجرواوة، وقد أحاط المولى إدريس الثاني هذا التجمع البشري بسور على شكل قوس متجه نحو الشرق وسماه بعدوة الأندلس، وتوجد بهذا السور 7 أبواب: القبلية - الفوارة - المخفية - لشبونة - الفيصل - أبي سفيان - الكنيسة. كما شيد المولى إدريس الثاني في الضفة اليسرى عدوة القرويين وأحاطها بسور به 6 أبواب: إفريقيا - القوس - الفيصل - الفرج - الحديد - القبلية.
- **الفترة الزناتية سنة 376 هـ:** خلال هذه الفترة بنى عجيسة بن دوناس قسبة برأس عقبة الزعتر، وأقام باب عجيسة.
- **الفترة الموحدية سنة 540 هـ:** شيد محمد الناصر قسبة الخوخة، والتي توجد بباب بوجلود.
- **الفترة المرينية سنة 674 هـ:** أصبحت هذه المدينة حصنا محاطا بأسوار، وشيدت فاس الجديد غرب المدينة الأصلية، وأحيطت بسور تدعمه الأبراج.
- **الفترة السعدية:** رمت الأسوار وقسبة باب بوجلود، وقسبة تامدرت؛ وفي عهد أحمد المنصور تم تشييد حصنان أولهما خارج باب عجيسة وهو البرج الشمالي، وثانيهما خارج باب الفتوح وهو البرج الجنوبي.

تعرضت هذه الأسوار للتدهور في أجزاء كبيرة منها كسور المحيط بالمدينة القديمة بالجهة الجنوبية وكذا بالجهة الشمالية بالقرب من باب محروق وبالقرب من مدخل اللطيين، وأجزاء أخرى اندثرت من قبيل سور الاندثار بالجهة الشمالية للمدينة القديمة بالقرب من إعدادية اللطيين، في حين تم ترميم وإعادة الاعتبار لأجزاء كبيرة مثل سور القريب من باب الخوخة وباب الفتوح، في حين نجد أجزاء كبيرة من الأسوار في حالة جيدة خصوصا تلك المحيطة بفاس الجديد وبساحة بوجلود، أما باقي الأسوار المحيطة بالمدينة القديمة فهي في حالة متوسطة (الخريطة رقم 6).

1 - 2 - الأبراج دفاعية مهمة في المعمار العسكري

تعتبر الأبراج دعائم لدور الأسوار، وقد استعملت كمراكز دفاعية مسنودة بكل الإنشاءات الدفاعية اللازمة، كما عدت سندا رئيسيا لحراسة الباب، فهذا الطراز المعماري له أهمية عسكرية محضة. بنيت الأبراج فوق مرتفعين يطلان على المدينة، اعتبرا مركزين للمراقبة من أي غزو قد يداهم المدينة في غفلة منهما. وتتوفر مدينة فاس على برجين رئيسيين لا تزال آثارهما شاخصة إلى اليوم وهما:

أ - البرج الشمالي

يطلق عليه برج النور، يعد من بين القلاع السعدية المهمة المحكمة المعمار التي بناها السلطان أحمد المنصور الذهبي سنة 1581م، ويعد هذا البرج البناية الوحيدة في المغرب الذي يتخذ شكلا هندسيا نجميا ذو أربعة أجنحة، تنتهي بأركان لها رؤوس على شكل رأس الرمح¹، شيد هذا البرج على مساحة تقارب 2265 متر مربع. وأول ما يثير انتباه السياح الوافدين على مدينة فاس، هو اشتماله على نوافذ عديدة وله مدخل رئيسي متعرج، كما يضم هذا البرج 12 قاعة مفتوحة بدون أبواب (الصورة رقم 9).

الصورة رقم 9: البرج الشمالي شمال المدينة القديمة لفاس



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

¹ -PICKENS, S. et SAHAROFF, Ph. (1990), Les Ville impériales du Maroc, ACR, édition internationale, Paris, P : 46.

ب - البرج الجنوبي

بني قبالة البرج الشمالي على مرتفع يطل على باب الفتوح شرق المدينة القديمة، تم بناؤه وفق نمط هندسي مربع¹. واشتهر بتنظيم عرض لمدة 45 دقيقة بمؤثرات ضوئية وصوتية وصور بالليزر تنعكس على البرج الجنوبي، وتحمل السائح المشاهد إلى المواقع التاريخية داخل مدينة فاس، ولكن حاليا انطفأت هذه الأضواء (الصورة رقم 10).

الصورة رقم 10: البرج الجنوبي جنوب المدينة القديمة لفاس



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

لكن تبقى قيمة هذا البرج رمزية أكثر منها عسكرية، إذ لم يستعمل قط في أي غرض عسكري، كما يرمز إلى الخبرة المعمارية العسكرية للمغرب في هذه الفترة وتلاحقها، مع خبرة بناء التحصينات البرتغالية.

1-3 - الأبواب متعددة تتميز بزخرفتها وروعة هندستها

شكلت الأبواب أهم السمات التي ميزت عمارة المدن الإسلامية، وتعتبر صلة وصل بين داخل المدينة وخارجها. وتخترق أسوار مدينة فاس القديمة مجموعة من الأبواب، اختيرت مواقعها حسب حاجيات المدينة باعتبارها منافذ للخروج والدخول ونقط هامة لمراقبة المدينة؛ هذه الأبواب تفتح على مختلف النقط الرئيسية، وتتميز بالمناظر الجذابة، المتمثلة في حسن زخرفتها وطريقة تشييدها وتموضعها، وتتمثل أهم الأبواب في (الخريطة رقم 7):

¹ - HAMMAD B, (2011), Fès de Bab en Bab Promenades dans la Médina, Edition Marsam, RABAT, P 18.

أ - باب المحروق

شيدت في مطلع القرن 7هـ-13م من طرف الخليفة الموحي الناصر، وهي باب جد متينة ذات مدخل ينتهي في القمة بقبة نصف دائرية الشكل (الصورة رقم 11). تتواجد في الشمال الغربي للمدينة. اشتهرت باب المحروق بكثرة ما كان يعلق فوقها من رؤوس الثوار والمذنبين والمغضوب عليهم من السلاطين، وآخر الرؤوس التي علقت عليه، رؤوس الثوار أصحاب الجيلالي الزرهوني المعروف ببوحمارة بعد إعدامه وإعدامهم سنة 1909¹.

يمتاز باب المحروق ذي الأبعاد الضخمة بتخطيط قريب من المستطيل مع مدخل منحرج على غرار الأبواب الموحدية، تعلو الباب قبة نصف دائرية مشيدة بالأجور الأصيل، أما الجدران التي يصل علوها 12 م فبنيت بالطابية، وتكسوها قشرة من الطلاء. يتصدر باب المحروق قوس منكسر خال من العناصر الزخرفية، وعلى يمين المدخل المقوس ينتصب برج مربع الشكل، تزينه في الأعلى سلسلة من الشرافات².

ب - باب الفتوح

يرجع هذا الباب إلى العقد الأول من بناء فاس، إذ بنى الإمام إدريس باب عدوة الأندلس القبلي وسماه بباب القبلة، لكن هدمه دوناس الزناتي، فبناه بعد ذلك الفتوح بن دوناس في أيام ولايته على العدوة، لذا سمي الباب بإسمه؛ وهذه الباب ضخمة تقع على سوازي مرتفعة، وتحاط ببعض الأبواب الثانوية، إلا أن ذلك يعكس مظهرها بسيطا من حيث جمال البناء، إذ لا تظهر عليها زخارف أو نقوش (الصورة رقم 12).

يعتبر باب الفتوح من أكبر أبواب المدينة، وتمتاز واجهتها الخارجية بقوس كبير وقوسين أقل حجما منها لكنها مجردة من الزخارف الفنية، كما أنه لا يتوفر على مدخل متعرج.

¹ - عبد العزيز بنعيد الله، (2001): فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، الجزء الأول، المطبعة الملكية - الرباط، ص: 365.

² - دليل فاس المسارات السياحية الموضوعاتية، (2005)، منشورات وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس، ص: 16.

الصور رقم 11: صورة باب المحروق



الصورة رقم 12: باب الفتوح بعد عملية الترميم



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

ج - باب الكيسة

تعود إلى الفترة الزناتية، وهي جد قديمة بقيت على حالها إلى عهد الناصر الموحدي، حيث أمر ببناء سور المدينة الذي كان قد هدمه جده عبد المومن عام 840هـ، فتحول لفظ عجيسة إلى لفظ كيسة. هذا الباب يوجد في شمال المدينة¹، وهو حديث التأسيس مقارنة بباب الفتوح، أسس من طرف الأمير عجيسة في القرن 11م كان الأخ العدو للفتوح؛ أنشئ هذا الباب بأعلى عقبة الصعتر في القرن الرابع الهجري فوق باب حصن سعدون، وسماه بإسمه.

يتصف باب الكيسة بضخامته واتساع أكتافه ومدخله المنعرج، ومن محاسن واجهته الخارجية القوس الكبير ذي حذوة الفرس، ويعلوه قوس آخر ذي فصوص متعددة. وتتوج الباب سلسلة من الشرفات ذات الشكل الهرم، وعلى جانبي الباب ينتصب برجان عظيمان من النوع المربع؛ ولا تكمن أيضا شهرة هذا الباب في كبر حجمه ومتانته، بل أيضا في سوق الطيور الذي يقام بجواره، وكان هذا السوق فضاء للتسلية والمرح، بما يشتمل عليه من حلقات تسرد فيه الحكايات والأساطير الشعبية².

2- التراث العمراني الديني بالمدينة القديمة لفاس، تراث يعكس خصائص المدينة الإسلامية

تعتبر المنشآت الدينية الميزة التي انفردت بها المدينة الإسلامية، عن غيرها من المدن، فهي الصبغة الدينية التي يتميز بها المسلمون عن غيرهم من الشعوب، حيث يظهر لنا المسجد الجامع وهو يتوسط المدينة، يعد بمثابة القلب النابض لها، ينضاف إليه مساجد الحومة التي تتوزع في دروب وأزقة المدينة، والتي تطورت مع الحياة الاجتماعية لأفراد الحي وسكانه عبر العصور التاريخية المتتابعة³، ويضم التراث العمراني الديني المساجد والجوامع والمدارس الدينية والزوايا والأضرحة (الخريطة رقم 8).

¹- AKSBI, M, (2007). Magasine cahier géographie, N° 3-4, P 77.

² دليل فاس المسارات السياحية الموضوعاتية، (2005)، مرجع سابق، ص 39.

³- عبد الستار عثمان، (1988)، المدينة الإسلامية. سلسلة عالم المعرفة 128، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 233.

2 - 1 - تعدد المدارس وتنوع وظائفها بالمدينة القديمة لفاس

شكلت المدارس العتيقة بمدينة فاس، فضاءات للعلم والمعرفة، وملتقى للأفكار والنظريات، كما تمثل نفائس معمارية ثمينة لعبت دورا رئيسيا في نشر المعرفة والعلوم الدينية، وكذا تطوير حرف الخزرفة بالمغرب.

إن الأسر التي تعاقبت على الحكم بالمغرب منذ بناء مدينة فاس، تركت كل منها آثارا عمرانية وفنية، تشهد بمساهمة هذه المدينة مساهمة ممتازة في الحضارة المغربية، فمن جامع القرويين إلى جامع الأندلس والمدارس العديدة، وما إلى هذا وذلك من وجوه العمران والفن¹، مما يجعل المدينة القديمة اليوم قبلة للسائح. ولعبت هذه المدارس العتيقة في مدينة فاس دورا، يتعدى الجانب الثقافي، فلعبت دورا إلى جانب ذلك دورا اجتماعيا مهما، عبر إيوائها لآلاف الطلبة الذين قدموا إلى فاس من حواضر وقرى مغربية بعيدة طلباً للعلم، كما أنها وإلى جانب جامعة القرويين أسهمت في صياغة هوية مدينة فاس كعاصمة علمية وثقافية ليس للمغرب فقط، بل للغرب الإسلامي.

تتشترك جميع المدارس بالمدينة في العناصر المعمارية الأساسية المكونة لها، والتي أتت استجابة للدور الذي أنيط بها منذ البداية، وتضم أغلبها مساجد يقصدها الطلبة المقيمون داخلها أو من أهل الحي المجاور لها، كما أنها تشمل مكتبات علمية غنية بالمخطوطات التاريخية، إلى جانب قاعات للدروس، ومكان إقامة للطلبة، وأخرى للمعلمين.

تتواجد بمدينة فاس القديمة مجموعة من المدارس (الخريطة رقم 9)، من أهمها:

أ - المدرسة البوعنانية

أسست ما بين سنتي 1350 و1358م على يد السلطان أبو عنان المريني على مساحة 1290م²؛ تقع بين أهم دروب المدينة الطالعة الكبرى والصغرى²، كما تشتهر بساعتها المائية، وقد أكد ابن خلدون أنه لم ير مثيلا لها ولا نظيرا بالمشرق (الصورة رقم 13).

ب - مدرسة الصفارين

تقع بساحة الصفارين الشهيرة بالقرب من جامع القرويين ومن خزانته العريقة؛ تأسست هذه المعلمة التاريخية على يد السلطان المريني أبو يوسف يعقوب، وهي أقدم مدارس فاس تأسست سنة 1325 م³.

¹ - عبد الستار عثمان، (1988)، مرجع سابق، ص: 133.

² - HAMMAD B, (2011), Fès de Bab en Bab Promenades dans la Médina, Edition Marsam, RABAT, P 63.

³ - عبد الهادي التازي، (1991): جامع القرويين، الجامع بمدينة فاس، المجلد الأول، العدد 11، ص: 43.

أخذت إسمها من الحي المتواجدة فيه، وتتجمع حجراتها كشكل غرف صغيرة حول الحصن، وهذا ما يعطيها انطباعا بكونها مجرد نزل، تم إلحاقه بمئذنة¹، وما يميزها عن باقي المدارس هو ضبط توجه كل من المئذنة والمحراب نحو القبلة أكثر من أي مسجد (الصورة رقم 14).

كان يدرس بها النحو وعلوم الدين، تتميز ببابها المصنوع من النحاس، ومن أعلى سطحها يمكن أن يلقي السائح نظرة شاملة على مدينة فاس.

الصورة رقم 14: مدرسة الصفارين



الصورة رقم 13: مدرسة البوعنانية



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

ج - مدرسة العطارين

أخذت إسمها من السوق الذي فتحت أحد أبوابها، تعتبر معلمة فنية في غاية الإتقان، تقع بحي العطارين تأسست في عهد السلطان المريني أبو سعيد عثمان سنة 1323م، كانت وظيفتها إيواء طلبة جامع القرويين، حيث كان يتواجد بها ما بين 30 و 50 غرفة، تمتاز بتناسق زخارفها، خصوصا في الصحن وبيت الصلاة (الصورة رقم 15 و 16).

الصورة رقم 15 و 16: مدرسة العطارين



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

¹ - إبراهيم حركات، (1964): العمران وفن البناء في عهد المرينيين، مجلة دعوة الحق، ع 6، س 7، ص 41-46، ص 43.

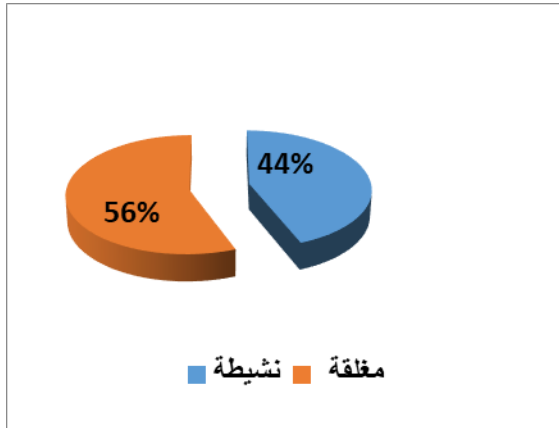
2 - 2 - الزوايا والأضرحة بالمدينة القديمة محج للوافدين من مختلف جهات المملكة وخارجها

اشتهرت مدينة فاس بتوفرها على عدد مهم من الأضرحة والزوايا (الخريطة رقم 10)، ونجد على سبيل المثال ضريح المولى ادريس وضريح سيدي أحمد التيجاني، ...؛ ويعتبر من الأضرحة المهمة التي أعيد بناؤه أيام أبي ربيع المريني، ثم جدد كليا ووسع على عهد المولى إسماعيل العلوي¹.

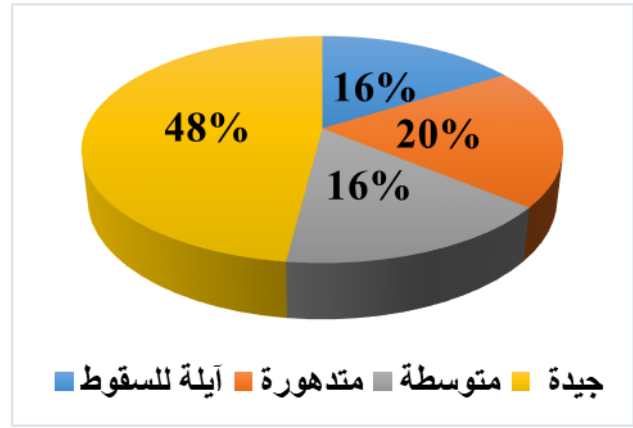
ويتوفر النسيج القديم لمدينة فاس على عدد كبير من الأضرحة يصل عددها إلى 26 ضريحا، نسبة مهمة منها تقارب النصف تتواجد في حالة فيزيائية جيدة، في حين نجد 36 % في حالة متدهورة أو آيلة للسقوط، ونسبة 16 % في حالة متوسطة (الخريطة رقم 11 والشكل رقم 11).

ينعكس ارتفاع نسبة الأضرحة التي توجد في وضعية متدهورة أو آيلة للسقوط سلبا عليها، مما فرض إغلاقها في وجه زوارها، حيث نجد تقريبا 56 % منها مغلقة، بينما نجد 44 % (من الأضرحة) فقط مفتوحة في وجه الزوار (الشكل رقم 12).

الشكل رقم 12: الوضعية الحالية للأضرحة



الشكل رقم 11: الحالة الفيزيائية للأضرحة



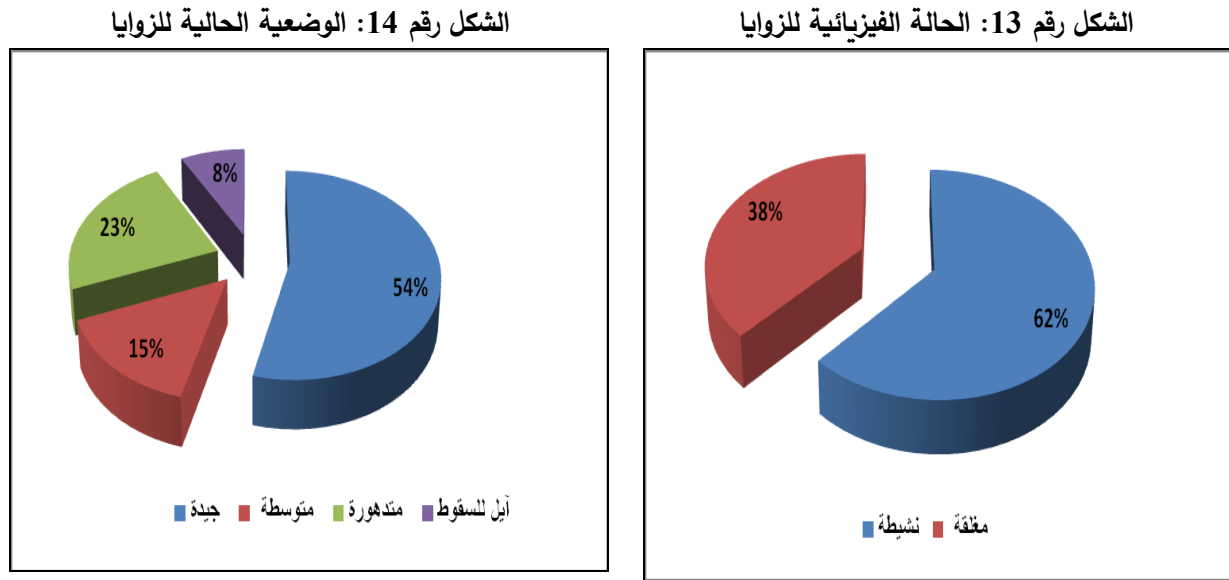
المصدر: العمل الميداني، 2016.

بينما تعتبر الزوايا بمثابة مساجد خاصة بطائفة من المسلمين، يجتمعون فيها للصلاة وقراءة الأوراد الصوفية؛ وكان هذا النوع يدعى في القرون الأولى من الإسلام برباطات، يجتمع فيها المجاهدون بدل المتصوفون مثل الزاوية المتوكلية.

وعلى غرار الأضرحة يرتفع أيضا عدد الزوايا بالمدينة القديمة لمدينة فاس، حيث نجد تقريبا 43 زاوية، 62 % منها نشيطة ومفتوحة في وجه الزوار والمريدين، و38 % مغلقة (الشكل رقم 14)، ويرجع السبب في ذلك لكون 31 % منها حالتها الفيزيائية متدهورة أو آيلة للسقوط، في حين نجد

¹ - إبراهيم حركات، (1964): مرجع سابق، ص: 61.

54 % أي أكثر من النصف حالة جيدة، و 15 % فقط حالتها الفيزيائية متوسطة (الخريطة رقم 11 والشكل رقم 13).



المصدر: العمل الميداني، 2016.

ومن أهم الأضرحة والزوايا ما يلي:

أ- ضريح المولى إدريس الأزهر

يعتبر الضريح الذي يحتوي قبر المولى إدريس مؤسس المدينة، جزءا من مجمع معماري متكامل يضم دار القيطون (قصر المولى إدريس)، وجامع الأشراف (نسبة إلى الشرفاء من سلالة علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم)، والسقاية ودار الوضوء. وقد اكتسب صفة الحرم، فأضحى مكانا خاصا بالمسلمين، ومن دخله أو لجأ إليه يحظى بالحماية، وتحرم معاقبته¹ (الصورة رقم 17).

يتواجد بدرب مولاي إدريس، ويعد الضريح أول مسجد بناه المولى إدريس بعدوة القرويين. لكنه شهد زيادة هامة على مر التاريخ، لعل أهمها التوسعة الإسماعيلية (القرن 18م)، فقد جدده المولى اسماعيل وزاد من مساحته، وزينه بقبة بديعة ذات شكل هرمي، تعلوها صفوف من القرميد الأخضر. وتحتضن القبة التي تعد من أكبر القباب بفاس تابوت المولى إدريس، الذي صنع من الخشب المطعم بالعظم وماء الذهب.

يزدان صحن الضريح بنافورة بديعة، وتحيط به أعمدة من الرخام ذات ألوان مختلفة وأشكال غنية، استوردها المولى اسماعيل من أوروبا. ويعتبر من أعظم المزارات بالمغرب، فقد شكل منذ قرون محجا للوافدين من مختلف جهات المملكة، ومن خارجها.

¹ - دليل فاس المسارات السياحية الموضوعاتية، (2005)، مرجع سابق، ص: 58.

ب - ضريح سيدي أحمد التيجاني

يحتضن ضريح سيدي احمد التيجاني، أحد الأولياء المشاهير بالمدينة. وهذا الشيخ من مواليد عين ماضي بالجزائر¹. يمتاز ضريح سيدي احمد التيجاني بضخامته، وجمال عمارته وحسن توزيع زخارفه. وهو أحد المزارات الأساسية لساكنة فاس، كما أنه يشكل كعبة للمريدين من إفريقيا جنوب الصحراء (الصورة رقم 18).

يوجد بدرب جنيارة في حالة جيدة ونشيطة، وللإشارة في هذا الضريح قدمت الإسعافات الأولية لجرحي ومعطوبي مظاهرات 29 يناير 1944 بمناسبة تقديم عريضة المطالبة بالإستقلال، مما يكبه بعدا وطنيا.

الصورة رقم 18: ضريح سيدي أحمد التيجاني

الصورة رقم 17: ضريح المولى ادريس الثاني



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

ج - الزاوية الكتانية

أول زاوية كتانية بنيت بفاس هي " الزاوية الكتانية الكبرى " بحومة القطنين داخل عدوة القرويين، أسسها أبو المفاخر الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني (1289هـ-1872م)، شيخ الطريقة المحمدية الكتانية، وقد أراد مؤسسها جعلها جامعة علمية تدرس بها مختلف العلوم الشرعية، خاصة علوم الأثر من حديث وسيرة وغيرهما.

وفي عهد الشيخ أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني (1327هـ-1909م)، شيخ الطريقة الأحمدية الكتانية، ازدهرت الزاوية، وأصبحت مأوى لعلماء المشرق الواردين على فاس وزعمائه الفارين إليها، كعلي بن ظاهر الوتري، ومحمد بن علي الحبشي، وعبد الكريم مراد، وخير الدين التونسي...الخ. وأضيف إليها تدريس العلوم العصرية، من جغرافيا وتاريخ وأصبح لها دور مهم في الحياة العلمية والدعوة السياسية.

¹ - دليل فاس المسارات السياحية الموضوعاتية، (2005)، مرجع سابق، ص: 38.

كما توجد زاوية كتانية بدرب اللمطي بعدوة الأندلس، وبها مدفن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني صاحب "السلوة" وجملة من ذريته وغيرهم. وتعد الزاوية الكتانية من بين الزوايا التي ما زالت تحيي ليلة المولد النبوي بفاس، محافظة بذلك على دورها الديني، وتساهم كذلك في تنشيط الحياة الاقتصادية في المدينة أثناء استقطاب المريدين والزوار.

د - زاوية الوزانيين

تسمى أيضا بزاوية الشرفاء الوزانيين، وكما سميت أيضا في وزان بدار الضمانة، ولد جد الوزانيين مولاي عبد الله الشريف سنة 1006هـ-1557م بتازروت، وبعد أن تلقى دراسته بتطوان وفاس أنشأ لنفسه خلوة بمنطقة وزان. وقد جمعت الزاوية الوزانية ثروات طائلة بفضل هبات وتبرعات أتباعها والعاطفين عليها وما لبث أن توفي مولاي عبد الله الشريف سنة 1196هـ¹.

2-3 - مساجد متعددة يطالها التدهور والإهمال

تعتبر الجوامع من أبرز المعالم التاريخية الموجودة بمدينة فاس القديمة، حيث تميزت بتصميم معماري فريد، يجسد الازدهار الذي عرفته المدينة في مختلف الفترات التاريخية، وقد سميت جوامع نسبة إلى خطبة يوم الجمعة التي تقام بها.

يعتبر المسجد بيت الله، ومكان تجمع المسلمين لأداء شعائهم الدينية التي تعكس وحدتهم وترابطهم. ويلعب دورا مهما كنواة لتأسيس المدينة الإسلامية، ومركز سياسي واجتماعي واقتصادي وتعليمي يتصدر من خلاله الأوامر المتعلقة بأمور البلاد، ومركز لتدريس العلم وإصدار الفتاوى.

وبالرغم من أهميتها الدينية والروحية، إلا أن أغلب المساجد تعرض للإهمال والبعض الآخر إلى تدخلات عشوائية من المحسنين وهو ما يهدد بقاءها.

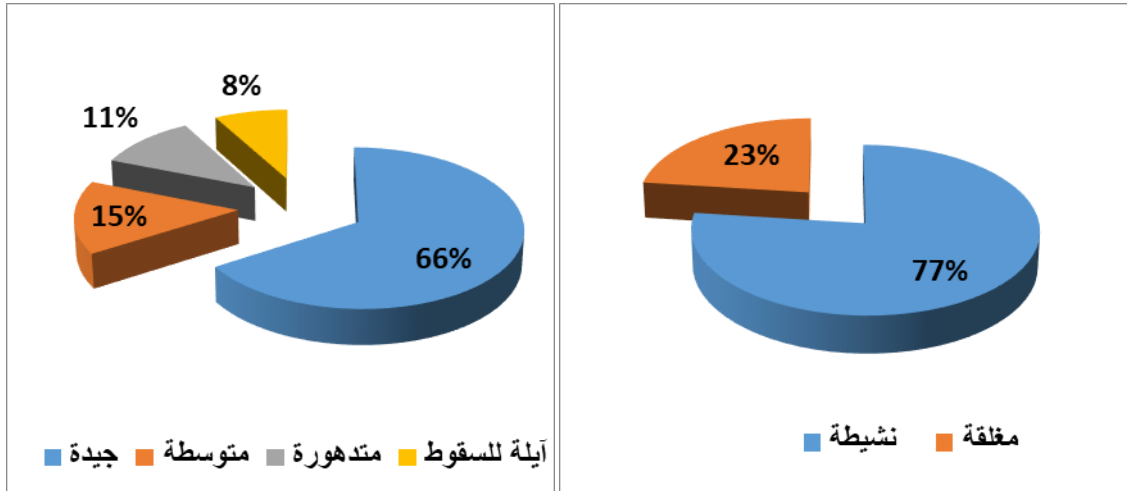
تعتبر فاس مدينة المساجد بامتياز، فالمساجد عديدة ومنتشرة بكل الأحياء، ويصل عددها حوالي 106 مسجد، 77 % منها تقام بها الصلوات ومفتوحة في وجه المصلين، في حين نجد 23 % مغلقة (الشكل رقم 16).

أما بالنسبة لحالتها الفيزيائية فإن ثلثي هاته المساجد والجوامع أي 66 % في حالة جيدة في حين 19 % فقط هي التي في حالة متدهورة وآيلة للسقوط، و 15 % حالتها متوسطة (الخريطة رقم 12 الشكل رقم 15).

¹ - إبراهيم حركات، (1974): المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ص: 562.

الشكل رقم 15: الحالة الفيزيائية للمساجد والجوامع

الشكل رقم 16: الوضعية الحالية للمساجد والجوامع



المصدر: العمل الميداني، 2016.

ومن أهم الجوامع والمساجد ما يلي:

أ- جامع القرويين

يعد هذا الجامع من أشهر مساجد المغرب، قامت ببنائه فاطمة الفهرية عام 895م، وقد كانت مساحة المسجد في الأصل بسيطة، لكن ما لبث أن شهد زيادات متتالية، جعلت منه طوال القرون الاثني عشر أكبر معلمة بالمدينة وأشهر مؤسسة علمية بالغرب الإسلامي (الصورة رقم 19 و 20).

احتضن المسجد واحدة من أقدم الجامعات في العالم، إذ شهدت رحابه تنظيم الدروس العلمية في كل العلوم، ومن ثم فهي أم الجامعات القديمة. ومن المحاسن المعمارية للجامع الصومعة التي تعود إلى القرن 10م، وشكل تصميمها المربع وقامتها المهيبة النموذج الأصلي لطرز الصومعة بالغرب الإسلامي.

ومع أنه يصعب تعداد كل المحاسن الأخرى لجامع القرويين نظرا لكثرتها، فإنه يمكن الإشارة إلى المحراب والقبتين المرابطيتين، ذات الهندسة والزخارف الجبسية الفريدة، والأقواس البديعة والثريا الكبرى التي لا نظير لها، والثريات التي كانت في الأصل نواقيس¹. وهناك أيضا القبتين الرائعتين والمتناظرتين اللتين تزينان الصحن، وقد شيدهما السعديون على منوال ساحة الأسود بقصر الحمراء بغرناطة. ومن التحف النادرة بالقرويين المنبر الذي صنعه المرابطون، وقد اعتلاه على مر القرون كبار العلماء والخطباء.

¹ - BENZAKOUR, H. (2003), Haj Driss Benzakour Raconte fès, Publiday-Multidia, Casablanca, P 25.

الصورتان رقم 19 و20: صور توضح جامع القرويين



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

ب - جامع الأندلس

شيد هذا الجامع من طرف السيدة مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري القيرواني سنة 245هـ-859م، وشارك في بنائه عدد من العائلات الأندلسية التي كانت تقيم بتلك العدة، لذلك حمل تسمية جامع الأندلسيين، وهو يشكل بعد جامع القرويين القطب الديني والثقافي الثاني لمدينة فاس ومركز للحلي الذي يحمل إسمه.

يعد ثاني أكبر المساجد بمدينة فاس بعد مسجد القرويين قد بنته مريم الفهرية. بني هذا المسجد في أواسط القرن التاسع الميلادي، وقد تردد عليه عبر العصور مشاهير العلماء. شهد منذ تأسيسه عمليات توسعة متتالية أدت إلى توسيع أكنافه وتزيينه بالتحف الفنية المنقولة (المنبر، الكراسي العلمية، الثريات، (...).

ويعود الفضل للموحدين في تشييد بابه المدرج (ذي أربعة عشر درجة) في الجدار الشمالي، وهو باب ضخم تزين واجهاته الخارجية أشكال معمارية متنوعة وعناصر فنية رائعة، ويعتبر من المنجزات المعمارية النادرة ذات طابع ديني للموحدين بفاس.

ج - جامع الأشياخ أو جامع الأنوار

شيده المولى ادريس الثاني سنة 807م، وبذلك يكون أول مسجد بني بفاس، يوجد بأعلى عقبة الصفاح برحبة الدجاج عند بداية زنقة سيدي بوجيدة؛ بابه الرئيسي، موصل جهة رحبة الدجاج، تتراكم أمامه أقفاص الدجاج والأزبال؛ وعند المسير في اتجاه زنقة سيدي بوجيدة، نجد بابا تقود إلى مقبرة الأدارسة، وبالجهة اليمنى وجدنا باب خشبي يقود إلى ساحة مجاورة للجامع، الداخل إليها يجد أمامه الباب

الرئيسي الذي يفتح على رحبة الدجاج، وعلى يساره يجد بابا صغيرا مقوسا يفضي إلى فناء الجامع، وتبلغ مساحته حوالي 40 مترا مربعا.

3 - التراث العمراني الاقتصادي والاجتماعي بالمدينة القديمة لفاس

انتشرت هذه المجالات بمدينة فاس، مشكلة فضاءات ضرورية، بل وأساسية لسير الحياة بالمدينة. وقد اختلفت أهمية هاته المجالات بالنسبة للسكان، حسب نوعية النشاط الذي تحتضنه، حيث أنه من المنطقي أن تأتي القيسارية والفنادق على رأسها، بالإضافة إلى مجموعة من المرافق الاجتماعية، كالمتاحف والسقايات والحمامات وغيرها (الخريطة رقم 13).

3 - 1 - تعدد الفنادق بالمدينة القديمة لفاس وتنوع اختصاصاتها

تحتضن عددا مهما من الفنادق، وذلك لما عرفته من إقبال البعيد قبل القريب إليها، ونظرا لموقعها الفريد الموجود عند ملتقى طريقين رئيسيين، أحدهما ينطلق من الشمال في اتجاه بلاد السودان، والآخر صوب شواطئ المحيط الأطلسي في اتجاه الغرب.

لعبت الفنادق دورا متميزا في التنشيط الاقتصادي للمدينة، التي ضمت تاريخيا حوالي 115 فندقا، أهمها فندق النجارين الذي يعرض فيه مجموعة من التحف الخشبية الصنع، كما يعتبر من أهم المعالم المعمارية بالمدينة.

3-1-1- الفنادق بالمدينة القديمة لفاس

تتموقع الفنادق في الغالب على المحاور الكبرى، أو بالقرب من أبواب المدينة القديمة بغرض تسهيل تدفق السلع؛ فحسب المصادر التاريخية بلغ عدد الفنادق بمدينة فاس 467 فندقا سنة 1145 م¹، وبدأت تندثر شيئا فشيئا إلى أن إنخفض العدد إلى 115 فندق. ونظرا لتخصص الفنادق فإنها لا توجد إلا في الأحياء التي تكون فيها حياة اقتصادية نشيطة، فليس هناك ما يمكن أن يكشف عن توزيع التجارة والصناعة التقليدية في المدينة القديمة أحسن من تصميم لموقع الفنادق.

من أشهر وأهم فنادق فاس القديمة ما يلي:

أ - فندق قاعة السمن

يباع في الفندق إلى يومنا هذا السمن والعسل وزيت الزيتون والخلع، يعود تاريخ إقامته إلى القرن 17م، يفتح الفندق على الطالعة الكبرى، ويفضي إليه مدخل مستقيم تزينه عدة أقواس ذات شكل منكسر.

¹ روجي لوطنونو 1992، "فاس قبل الحماية"، مرجع سبق ذكره، ص: 87-90.

تنتظم مكونات الفندق حول صحن مستطيل ذي أبعاد مهمة، يتألف من طابقين ويحيط بالصحن رواق ضيق نسبياً يؤدي إلى الدكاكين، وهذه الأخيرة تتباين فيما بينها من حيث المساحة. أما الواجهات الداخلية للفندق فهي بسيطة ومجردة من العناصر الزخرفية (الصورة رقم 21).

يتوفر هذا الفندق على 21 محلاً بالطابق الأرضي، ويعرف على غرار ما هو معمول به في باقي أسواق المدينة القديمة، تجارة الجملة بالمزاد العلني لبعض المنتجات كالعسل والزبدة، أما الطابق العلوي فيضم 27 محلاً للصناعة التقليدية المتخصصة في صناعة الجلد، أما ملكيته فتعود للأحباس¹.

ب - فندق التازي

ينفتح على الطالعة الكبرى بواسطة باب كبير يليه مدخل مستقيم يفضي إلى الصحن، تصطف حول هذا الأخير سوارى من الأجور تحمل الطابق العلوي، لكن الفندق خال من الزخارف، فواجهته الداخلية مجردة من الأشكال المعمارية والعناصر التزيينية، ماعدا بعض الأقواس متعددة الفصوص، وهو من الحجم المتوسط.

يضم الطابق الأرضي ورشات لصناعة الجلد، وورشة لصناعة آلات الإيقاع الموسيقية. أما الطابق العلوي الذي كان في الماضي يؤدي وظيفة سكنية لإيواء التجار والزوار على غرار ما كان في معظم فنادق المدينة القديمة، فقد أصبح في العقود الأخيرة يحتضن ورشات للصناعة التقليدية (الخرافة). خضع الفندق إلى تغييرات مهمة على مستوى توظيف مرافقه، ولا زال بعض الحرفيين يشتغلون حالياً في دكاكين بالمستوى الأرضي، مثل الإسكافيون وصناع القطع الجلدية المستعملة في الأدوات الموسيقية (الصورة رقم 22).

الصورة رقم 22: فندق التازي



الصورة رقم 21: فندق السمن



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

¹ - محمد أمين ورشيد المنصوري، (السنة): فنادق فاس كما يراها فرانك ماير، ضمن كتاب فاس في الكتابات الغربية، ص 136.

ج - فندق النجارين

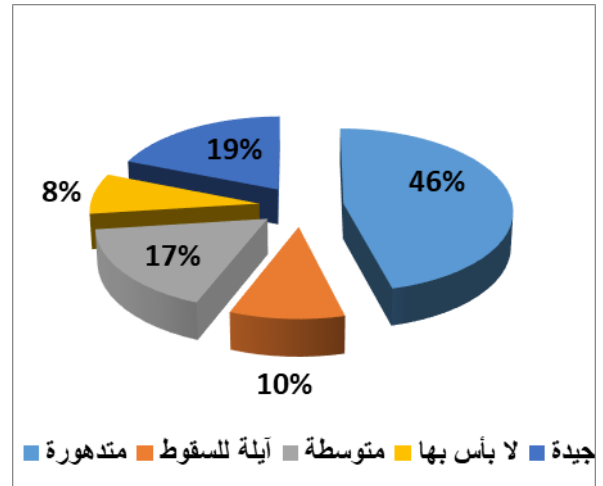
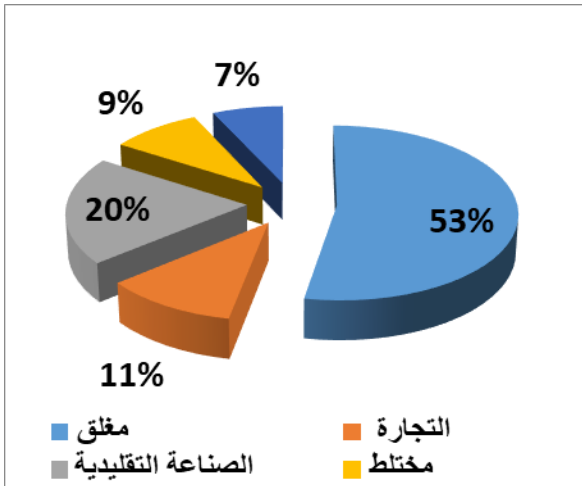
ينفرد الفندق ببوابته الضخمة التي تمثل لوحة فنية متكاملة، فهي ذات تشكيلات متنوعة نقشت بإتقان على الجبس والزليج والخشب. تهيمن الأفاريز الخشبية على القسم الأعلى، وهي ذات عناصر فنية عديدة، تتناوب فيها الأقواس والقويسات والروافد والقناطر، وتمزج فيها الزخارف ذات الأصل النباتي والهندسي والكتابي، وتمتاز الواجهات الداخلية للفندق بالتناظر في التشكيل والتناسق في التوزيع. وقد نجح الصانع في توظيف التقابل بين اللون الفاتح للوحات الجبسية واللون الداكن للعناصر الخشبية في إضفاء نوع خاص من الجمالية على البناية.

3-1-2- حالة ووضعية الفنادق بالمدينة القديمة لفاس

يوجد البعض من هذه الفنادق في ملك الأحماس، مثل فندق سيدي يوسف بالحدادين، والبعض الآخر في ملك الخواص مثل فندق النخالين بالصوفا، أو في ملكيتهما معا مثل فندق الزيت؛ وقد نجد بعض منها ليس في ملك أحد، حيث تم الاستيلاء عليها عن طريق وضع اليد، لكن نادرا ما نجد مثل هذا النوع مثل فندق الرميلا ببيت المدين.

إن تعقد الوضعية العقارية، وتقدم هذه الفنادق، وارتفاع الرطوبة، وانعدام الصيانة، وارتفاع كثافة اليد العاملة وتحركاتها اليومية، كلها عوامل ساهمت في تدهور هاته الفنادق (الخريطة رقم 14).

الشكل رقم 17: الحالة الفيزيائية للفنادق بالمدينة القديمة لفاس
الشكل رقم 18: الوظيفة الحالية للفنادق بالمدينة القديمة لفاس



المصدر: العمل الميداني، 2016.

انطلاقا من (الشكل رقم 17) يتضح أن الفنادق التقليدية المتدهورة والآيلة للسقوط تحتل الصدارة ب 56%، في حين نجد الفنادق ذات الحالة الفيزيائية الجيدة تحتل المرتبة الثانية ب 19%، بينما الفنادق

ذات الحالة الفيزيائية المتوسطة تأخذ المرتبة الثالثة ب 17%، والفنادق ذات الحالة الفيزيائية لأبأس بها تحتل المرتبة الأخيرة ب 8% فقط.

من حيث الوظيفة الحالية لهاته الفنادق، فإننا نجد منها من توقف عن النشاط والبعض تحول إلى مخازن للسلع، بينما البعض الآخر اتخذ الصانع كمقر لعملهم، أضف إلى ذلك ما تهدم منها أو اندثر؛ وهكذا نجد تقريبا 53% من الفنادق مغلقة، و20% تستغل في الصناعة التقليدية، و11% في التجارة، في حين نجد 9% ذات وظيفة مختلطة تجمع بين السكن وأنشطة أخرى تجارية أو صناعية، و7% فقط تستغل للسكن فقط (الشكل رقم 18).

3 - 2 - سقايات متعددة تعكس غنى موضع المدينة القديمة بالعيون

عرفت مدينة فاس مئات السقايات والنافورات العمومية والعيون، وآلاف السقايات الخاصة المتدفقة بالمياه. بل لم تؤسس فاس بموقعها الحالي، إلا لكون هذا الموقع تتدفق به أكثر من ستين عينا¹. يبلغ عدد السقايات بالمدينة القديمة لمدينة فاس 124 سقاية، تتميز بجمال هندستها، ورونق شكلها، وتزيينها بفسيفساء الزليج المختلف الأشكال والألوان، وبنقش شرفاتها المغلقة بخشب الأرز والجبس، وببهاء صهاريجها المبلطة بالرخام. لذلك كانت هذه السقايات تشكل في حد ذاتها تحفا فنية رائعة تزين ساحات المدينة وأزقتها، بالإضافة إلى انسياب ماء منابعها، وتدفق مياه صهاريجها، وفيما يلي بعض هذه السقايات²:

أ - سقاية النجارين

تعد تحفة تؤثث ساحة النجارين في انسجام تام مع مكونات الساحة وهي أشهر سقاية بالمدينة، تقع بحي النجارين تتوسط مركز الحي، محاذية لمتحف النجارين، حالتها الفيزيائية جيدة إلى متوسطة، نشيطة، تتمتع بزخرفة تضم كل من الزليج، الجبس، الرخام، كما أنها مغطاة بالقرمود والخشب (الصورة رقم 23).

ب - سقاية جامع أبي الحسن المريني

تقع بحي الطالعة الصغيرة بجانب مسجد أبو الحسن، حالتها الفيزيائية متوسطة إلى جيدة، نشيطة، مغطاة بالقرمود، تتوفر على زخرفة على الزليج، والجبص، والرخام، بها كتابة على الزليج " الحمد لله وصلى الله على من لا نبي بعده، صانع نقش هذه السقاية المعلم الشهير محمد الكزاز في شهر شوال

¹ - محمد السنوسي معني، (2013): نبضات من قلب فاس: سيرة مدينة وتاريخها. دار النشر المغربية - الدار البيضاء، المغرب، ص 149.

² - نفسه، ص 149.

الأبرك عام 1342"، تعتبر سقاية أبو الحسن من السقايات الكبرى بمدينة فاس وعلى وجه الخصوص بحي الطالعة الصغيرة، وكإشارة عرفت هذه السقاية بعض عمليات الترميم كان آخرها قبل 6 سنوات تقريبا (الصورة رقم 24).

الصورة رقم 24: سقاية جامع أبي الحسن المريني



الصورة رقم 23: سقاية النجارين



تصوير شخصي، 2016.

ج - سقاية جامع فوارة

تقع سقاية فوارة بدرب الدروج بجانب مسجد المخفية، وبالقرب من جمعية الزاوية الخضراء للتربية والثقافة. حالتها الفيزيائية متوسطة، تتمتع هذه السقاية بزخرفة فاسية أصيلة تبرز عظمة الفن المعماري المغربي، يرتفع فوقها سقف هرمي مزخرف بالتنطير والتوريق، ومكسو بالقرمود، ويحيط بها شباك حديدي، هذه السقاية بدأت تتآكل أرضيتها وتتراجع زخرفتها، رغم ذلك مازالت تؤدي وظيفتها التي بنيت وأنشئت من أجلها (الصورة رقم 25).

الصورة رقم 25: سقاية جامع فوارة

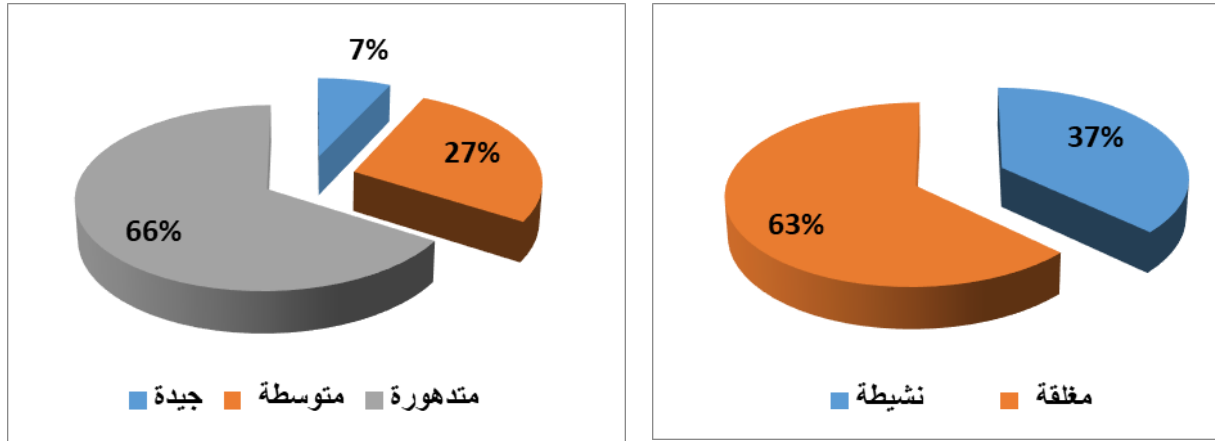


تصوير شخصي، 2016.

العديد من هاته السقايات عرفت الإهمال والنسيان مما جعل نسبة السقايات المتدهورة ترتفع بنسبة كبيرة تصل إلى حوالي ثلثي سقايات النسيج القديم لمدينة فاس 66 %، في حين نجد فقط 7 % من هاته السقايات توجد في حالة جيدة و 27 % من السقايات في حالة متوسطة (الخريطة رقم 15 والشكل رقم 20).

وبطبيعة الحال هاته النسبة المرتفعة من السقايات التي توجد في وضعية متدهورة هي تقريبا نسبة السقايات المغلقة التي تصل حوالي 63 %، في حين نجد 37 % هي نسبة السقايات النشطة التي تستفيد منها الساكنة وزائري النسيج القديم للمدينة (الشكل رقم 19).

الشكل رقم 19: الوضعية الحالية للسقايات بالمدينة الشكل رقم 20: الحالة الفيزيائية للسقايات بالمدينة القديمة
للمدينة فاس للمدينة فاس



المصدر: العمل الميداني، 2016.

3 - 3 - الحمامات التقليدية: طابع معماري فريد ومتميز

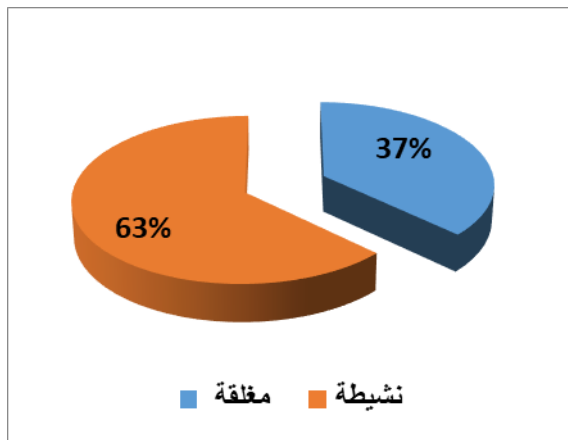
تتميز المدن القديمة بانتشار الحمامات والسقايات في كل ركن من أحيائها، تتميز بطابع معماري فريد، كما تعد ثاني أهم المرافق العمومية بالمدن القديمة بعد المنازل، إذ كانت تقصدها الساكنة للطهارة والنظافة.

إن أغلب الحمامات بالمدينة الأصيلة ملك للأحباس، إذ تعتبر هبة من ميسوري الحال يقصدون منها عمل الخير ويوقفونها على بعض المساجد أو دور العلم بالمدينة؛ أما اليوم لم يعد الحمام الحديث ملكا للأحباس، فهو ملك خاص يسهر صاحبه على بنائه واستغلاله. وتتكون الحمامات من:

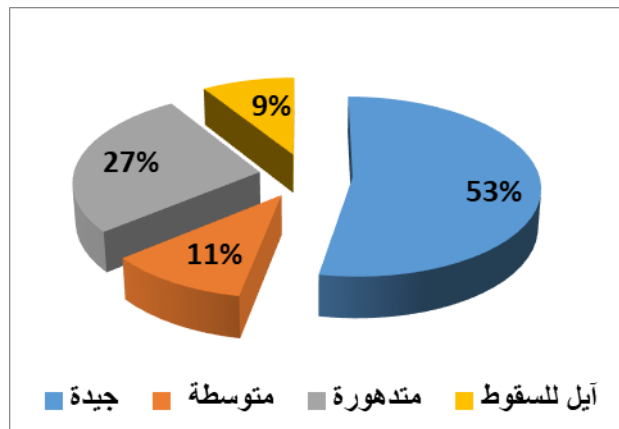
- المدخل: وهو ممر ملتوي يمنع تسرب الهواء البارد إلى الحمام ويحفظ كذلك حرمة؛
- الاستراحة: هي المجال الموجود على المدخل، عبارة عن غرفتين متقابلتين تربط بينهما مساحة مربعة تتوسطها نافورة، وتصلح الغرفتين لوضع أو إزالة الملابس والاستراحة عند الانتهاء من الاستحمام؛

- **غرفة الاستحمام:** توجد بالحمام ثلاثة أنواع من الغرف، غرفة أولى دافئة، تليها غرفة متوسطة الحرارة، بعدها غرفة ساخنة؛
 - **الغرفة الدافئة:** هي أول غرف الاستحمام، وتعتبر منطقة وسيطية بين الغرفة الساخنة والغرفة الباردة، وهي غرفة مستطيلة ذات سقف نصف دائري، وتوجد بها أهم تجهيزات الحمام؛
 - **الغرفة الساخنة:** أسخن غرفة داخل الحمام وأول غرفة يجلس بها المستحم، مساحتها تعادل مساحة الغرف الدافئة، ينقسم سقفها الأرضي إلى قسمين، قسم مهياً لاستقطاب حرارته من الفرن وقسم بارد.
- يصل عدد الحمامات بالنسيج القديم لمدينة فاس حوالي 45 حمام، 53 % منها جيدة، في حين 27 % متدهورة، و 9 % آيلة للسقوط، و 11 % حالتها الفيزيائية متوسطة (الخريطة رقم 16 والشكل رقم 21). وارتباطا بارتفاع نسبة الحمامات التي توجد في وضعية متدهورة أو آيلة للسقوط، ترتفع أيضا نسبة الحمامات المغلقة حيث نجد 37 %، في حين نجد 63 % من الحمامات مفتوحة في وجه الزبناء وساكنة مدينة فاس (الشكل رقم 22).

الشكل رقم 22: الوضعية الحالية للحمامات بالمدينة القديمة لفاس



الشكل رقم 21: الحالة الفيزيائية للحمامات بالمدينة القديمة لمدينة فاس



المصدر: العمل الميداني، 2016.

3 - 4 - المدابغ مورد اقتصادي وسياحي مهم بمدينة فاس

تعد الدباغة التقليدية إحدى المكونات الأساسية بامتياز للبنية السوسيو اقتصادية والحضارية والسياحية لمدينة فاس. ويرتبط تاريخ الدباغة التقليدية بتاريخ هذه المدينة منذ تأسيسها أي أزيد من إثني عشرة قرنا، حيث شكلت مصدر ثروة لصناع الدباغة، واحتلت مكانة متميزة في المجتمع. إلا أن الوضعية الحالية للمدابع متدهورة جدا، مما يجعل هذه الحرفة مهددة بالانقراض، وبالتالي فقدان صناع الدباغة

لعملهم، وحدث خلل في توفير الجلود الخام لمصنعي الجلود، وكذلك انخفاض كبير في دخل التجار الذين يعتمدون على السياحة.

أ- دار الدبغ شوارة

تعتبر من أهم المعالم السياحية الموجودة بمدينة فاس القديمة والتي تستقطب السياح من كل العالم، وتشكل واحدة من أربع مدابغ المتواجدة بفاس، تضم عشرات الأحواض ذات الألوان الزاهية لغسل الجلد وصباغته بمواد طبيعية، ويمكن للسائح رؤية مناظر خلابة ومشاهد مثيرة، تجمع بين الألوان الزاهية وحركات العمال وهم يعالجون الجلود، وهي مشاهد تربط الحاضر بالماضي في أبهى صورهِ وتجلياته (الصور رقم 26).

الصورة رقم 26: توضيح دار الدبغ شوارة



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

تعد المدبغة الرئيسية للدباغة التقليدية بمدينة فاس وأكبرهم مساحة، حيث تبلغ مساحتها الإجمالية 7115م²، منها 4000 م² مغطاة. وهي في ملك الأحباس العمومية والخواص وتنقسم إلى ثلاث مدابغ الكبيرة والجديدة والعروسة، وتتوفر على 193 خزنة (ورشات العمل)، وما يقرب من 1171 قصرية ومجيار، وتشغل ما يفوق 450 صانعا ومعلما، وتنتج يوميا من 2977 إلى 5132 جلدة مدبوغة. تقع في الجانب الشرقي للمدينة القديمة على الضفة الشمالية لوادي الجواهر (بين المدن)، كما تعتبر وجهة سياحية عالمية بامتياز، حيث يزورها أكثر من 90 % من السياح الوافدين على مدينة فاس، ويتواجد بجوارها مركز الدعم التقني الكرنة.

3 - 5 - أسواق متخصصة بالمدينة القديمة لفاس وذات رواج اقتصادي مهم

تحتوي مدينة فاس على مجموعة من الأسواق، ويرجع السبب في ذلك إلى الصناعات المحلية اليدوية التي عمل بها سكانها، مما يجعلها جذب لإقامة الأسواق حولها لبيع وتسويق منتجاتهم. وأهم ما يميز هاته الأسواق بالمدينة العتيقة لفاس، هو تخصصها في المنتجات التي ظلت تنتجها الصناعات التقليدية عبر مئات السنين.

أ - سوق الحنة

يعتبر من أقدم الأسواق بالمدينة وأجملها، يفضي إليه مدخلان غير متناظرين، حيث كان في الماضي حارس خاص مكلف بإغلاقهما، تنفتح به أبواب الدكاكين على ساحة تظلها أغصان شجرتين شاهقتين (الصورة رقم 27).

الصورة رقم 27: سوق الحنة



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

أشتهر سوق الحنة منذ قرون، ببيع الأعشاب والمواد المستخدمة في الطب التقليدي وفي مستحضرات التجميل الأصلية، كالغاسول والكحل وماء الورد والصابون السائل والحناء...إلخ. ومما لا شك فيه أن الحناء تستعمل بكثرة من طرف النساء سواء في المناسبات الدينية أو الأفراح، كما تستخدم عادة كطلاء للشعر قبل الاستحمام، يتوفر حاليا على بعض الدكاكين المختصة في عرض وبيع المواد الخزفية المتنوعة.

لقد ارتبط سوق الحنة تاريخيا بمارستان سيدي فرج المجاور له، وقد استرجع السوق مؤخرا جماليته بعد ترميمه.

ب - سوق العطارين

يعتبر من أشهر الأسواق بفاس، ويمتد بشكل طولي من باب الفرج إلى مدرسة العطارين، وهو عبارة عن شارع مستقيم تقريبا، يبلغ طوله حوالي 600 م. وحسب حسن الوزان فإن عدد الدكاكين بالسوق حوالي 150 دكانا، وكانت مختصة في بيع المواد المتعلقة بالعطارة والطب، وكانت تلك المواد تستخدم جزئيا من طرف الأطباء الذي يشتغلون بمارستان سيدي فرج المجاور للسوق (الصورة قم 28).

الصورة رقم 28: سوق العطارين



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

وكانت دكاكين السوق عبارة عن محلات بسقوف خشبية أخاذاة وخزائن بديعة الزخارف، وحسب شهادة الوزان، فإن جمال تلك الدكاكين وحسنها لا يضاهيه أي سوق للعطارين في العالم، ولكن السوق فقد حاليا قسطا من طابعه الأصيل، إذ تناقصت بشكل جلي الدكاكين التي تباع مواد العطارة.

ج - سوق الشماعين

يقع هذا المجمع بجوار جامع القرويين، ويدل إسمه على تخصصه في إنتاج وبيع مادة الشمع في الفندق، كما أنه كان مركز انطلاق موكب الشموع في الماضي.

يتكون السوق من عدة دكاكين تتوزع حول ساحة صغيرة مغطاة بالقصب، ويختص السوق حاليا في بيع الفواكه الجافة إلى جانب بعض المنتجات التقليدية، أما بناية الفندق فقد آلت إلى السقوط منذ سنة 1974 عندما أتى عليها الحريق، ويحتفظ مدخل الفندق الذي نجا نسبيا على عناصر فنية متميزة، حيث نلاحظ تواجد بعض الكتابات من الطراز الكوفي نقشت بإتقان، إضافة إلى تواجد بعض الزخارف ذات

أصل هندسي كالأرابيسك، ونظرا لموقعه الاستراتيجي ومساحته الفسيحة ودوره التاريخي، فإن ترميمه سيشكل لبنة أساسية في تعزيز مركز القرويين.

3 - 6 - المتاحف

تعتبر مدينة فاس عاصمة تاريخية تضرب في عمق الحضارة العربية الإسلامية، إذ تزخر بكم كبير يصعب تحديده من التحف الأثرية، التي تعكس بشكل جلي درجة إتقان المخترع الفاسي والمغربي، وقد تم تخصيص لهذه التحف أماكن لصيانتها ألا وهي المتاحف.

توجد ثلاثة متاحف أثرية بفاس:

أ - متحف الأسلحة

يتواجد بالبرج الشمالي، تديره مصلحة المتاحف الوطنية بوزارة الشؤون الثقافية، وقد بني في عهد السعديين سنة 1531م على شكل نجمة هندسية، ويتكون من 12 قاعة يمكن تقسيمها إلى 3 أروقة:

- **الرواق الأول:** يضم أسلحة ما قبل التاريخ، وأسلحة بيضاء إبتداء من القرن 15م، وتضم أحجارا أو شواكير ورمحا وحرابا وخناجير وسكاكين وسروجا وسيوفا مغربية، بالإضافة إلى سيوف تركية وجزائرية وسعودية وهندية وأندونيسية وصينية ويابانية.

- **الرواق الثاني:** يضم أسلحة نارية مغربية وأوربية وإسلامية، وكذلك رشاشات فرنسية، شاركت في الحرب العالمية الأولى، ورشاش بلجيكي كبير ومسدسات أوتوماتيكية وآليات الصيد.

- **الرواق الثالث:** يحتوي على مدافع مغربية وأوربية، تتكون من مدفع إسباني صنع سنة 1606م، ومدافع مهداة من ملك السويد ومدفع برونزي مغربي للقرن 17 م.

وقد بلغ مجمل التحف في هذا المتحف أزيد من 8000 قطعة متحفية معروضة في 12 قاعة بطريقة كرونولوجية، ابتداء من بعض الأدوات الحجرية التي كان يستعملها الإنسان ما قبل التاريخ.

ب - متحف البطحاء

يعتبر ثاني متحف بالمدينة وقد تأسس سنة 1915م، يقع في أقصى غرب ضفة القرويين ليس بعيدا عن باب أبي الجنود، وقد كان قصرا ملكيا، ويتميز القصر بتوافق أبعاده وتقابل أقواسه، وأروقته وتناسق زخرفته، بالإضافة إلى مميزات المعمار الأندلسي على عهد الدولة الشريفة، وقد تحول هذا القصر إلى متحف للفنون والحرف، وترجع هذه التحف الأثرية إلى فترات تاريخية هي كالتالي:

- المرحلة الحديثة من قرن 16 إلى بداية القرن 18م؛

- المرحلة المعاصرة من القرن 18م إلى القرن 20م.

ج - متحف النجارين

يشكل هذا المتحف ببابه العظيم مع السقاية الأنيقة التي بجانبه، أحد المجموعات المعمارية الشهيرة بفاس، لاسيما وأنه يفضي إلى ساحة صغيرة تكاد تسمح بالبعد الضروري لإمعان النظر فيه. يعتبر هذا المتحف أول متحف متخصص في فنون الخشب في المغرب ويوجد بحومة النجارين، أسس سنة 1711 م في عهد السلطان مولاي اسماعيل، وقد عرف هذا المتحف عدة استعمالات قبل تحويله إلى متحف.

وقد قام الوزير الأول الأسبق محمد كريم العمراني بترميم وتحويل هذه المعلمة الحضارية إلى متحف، بالإضافة إلى ترميم السقاية، وأصبح يطلق عليها مجموعة النجارين، وقد وزعت مجموعاته على الطوابق الثلاثة المكونة للبنية حسب منهج تصاعدي. إذ يتم الانتقال تدريجيا من الأخشاب المستعملة في الحياة اليومية وبعض الحرف التقليدية، مروراً بالخشب المعماري، وانتهاء بالأخشاب المستعملة في بعض الأغراض الدينية والفنية كالمنابر والمسبحات والآلات الموسيقية. ويعد متحف النجارين لفنون الخشب لبنة جديدة تتضاف إلى الجهود التي تبذلها وزارة الثقافة من أجل الحفاظ على التراث الوطني.

4- المباني السكنية المهددة بالانهيار بالنسيج القديم لمدينة لفاس

كباقي المدن المغربية، لم تسلم مدينة فاس هي الأخرى من الاختلالات والعاهات التي أصابت النسيج الحضري عموماً، ويتعلق الأمر بانتشار المباني المهددة بالانهيار، والتي وصلت اليوم إلى أرقام جد مرتفعة. من هنا فالمباني المهددة بالانهيار ليست بظاهرة حديثة العهد، ولا تقتصر على مدينة فاس فقط، إنما هي معضلة مزرية، نظراً لتقادم هياكل المباني، والتأثيرات المناخية والبشرية، التي تتمثل في الكثافة المرتفعة لعدد الأسر التي تتكدس داخل هذه المباني، وما يرافق ذلك من ضعف ونقص في التجهيزات الأساسية، من طرق وماء وكهرباء وشبكات التطهير، بالإضافة إلى تعقد الأوضاع العقارية، وما يترتب عنها من إهمال المسكن وتركه معرضاً لتدهور متزايد.

تعرف المباني المهددة بالانهيار بكونها " المباني التي تتطوي على خلل إنشائي، أو التي طرأت عليها ظروف أثرت على مكونات المبنى وعلى مواد إنشائه نتيجة تقادمه، أو تعرضه لكارثة، مما يجعلها قابلة للانهيار في أي لحظة"¹، بناء على عدد من المؤشرات، تعتمد بالأساس على الأعراض "المرضية" والاختلالات التي تظهر على هيكل المباني عموديا وأفقيا. وعلى هذا الأساس يمكن الحديث عن ثلاث مستويات من الخطورة².

1-4 - التوزيع المجالي للمباني المهددة بالانهيار بالمدينة القديمة لفاس

يتميز التوزيع المجالي للمباني المهددة بالانهيار بالمدينة القديمة لفاس بالتباين في عدده الإجمالي من منطقة لأخرى، وبالتباين كذلك في درجة الخطورة.

الجدول رقم 4: توزيع المباني المهددة بالانهيار بالنسيج العمراني القديم لمدينة فاس حسب الملحقات الإدارية

وحسب درجة الخطورة

الملحقات الإدارية	الدرجة الأولى	الدرجة الثانية	الدرجة الثالثة	المجموع
الأندلس	294	101	87	482
باب الخوخة	146	145	70	361
البطحاء	168	62	147	377
البوعنانية	126	79	166	371
لبليدة	173	146	148	467
المطيين	255	67	117	439
القرويين	363	147	86	596
مجموع المدينة	1525	747	821	3093
فاس الجديد	122	74	33	229
المرينيين	82	120	142	344
مجموع المشور	204	194	175	573
المجموع	1729	941	996	3666

المصدر: وكالة التنمية ورد الاعتبار فاس، 2015.

¹. محمد الرفيق، (2012): إشكالية المباني المهددة بالانهيار الناجمة عن الأخطار الطبيعية والممارسات الحضرية بمدينة فاس، مرجع سبق ذكره، ص2.

². AMARANI ABROUCH (M), NAHAL (M), BENNANI KHLID (K), 2004, Etude de définition et de montage des opérations d'actions d'urgence au sein de la Medina de Fès. Ader- Fès.

انطلاقاً من الجدول (رقم 4) يقدر عدد المباني المهددة بالانهيار حوالي 3666 بناية بكل من المدينة القديمة وفاس الجديد، منها 1729 بناية مصنفة من الدرجة الأولى 1525 بناية منها بالمدينة القديمة، في حين يصل عدد المباني المصنفة من الدرجة الثانية حوالي 941 بناية منها 747 بناية بالمدينة القديمة، ويبلغ عدد المباني المصنفة من الدرجة الثالثة حوالي 996 بناية منها 821 بناية بالمدينة القديمة (الخريطة رقم 17).

يتضح من خلال الجدول رقم 4 أن المنازل المصنفة من الدرجة الأولى، تشكل نسبة مرتفعة مقارنة مع المباني المصنفة من الدرجة الثانية والثالثة من الخطورة، وهو ما يوضح حجم التدهور الذي يعاني منه الإطار المبنى بالنسيج القديم لمدينة فاس، وأن هذه الأرقام مرشحة للتفاقم في غياب اتخاذ إجراءات وتدابير استثنائية، وهذا ما يستدعي التدخل السريع من أجل إنقاذ هذه المباني، وبالتالي إنقاذ أرواح الناس، والمحافظة على هذا التراث التاريخي الثمين.

وإذا تعمقنا في تحليل هذه المعطيات عبر ربطها بالميزات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية للمدينة القديمة، فإننا نستنتج أن المجالات التي تعرف ارتفاعاً في عدد المباني المهددة بالانهيار، هي تلك الأكثر تقادماً وكثافة من حيث عدد السكان والأنشطة التجارية والصناعية.

1-4-1 - درجة خطورة المباني: مؤشر رئيسي في تحديد حجم التدهور

أ- المباني المهددة بالانهيار من الدرجة الأولى

هي المباني ذات وضعية متردية، تظهر فيها مجموعة من أشكال التدهور، سواء على مستوى بنيتها العمودية أو الأفقية مثل:

- ◆ انهيارات جزئية في جدران وأسقف المباني؛
- ◆ تصدعات وشقوق عمودية وأفقية ومائلة يفوق عرضها 5 سم، وطولها 250 سم تظهر في الأرضية والجدران والسقف؛
- ◆ تهدل الأرضية والسقف.

يقدر عدد المباني في هذا الصنف بـ 1729 بناية، تتوزع بين الملحقات الادارية المشكلة للنسيج العمراني القديم لمدينة فاس بشكل متباين. يشكل هذا العدد المرتفع من المباني خطراً كبيراً على الساكنة والمارة والمباني المجاورة، خصوصاً مع توالي الانهيارات في بعض أجزائها، مما جعل العديد من قاطنيها يعتبرون الاستقرار بها مجازفة ومخاطرة بأرواحهم.

ب- المباني المهددة بالانهيار من الدرجة الثانية

تتدخل في تدهور مباني هذا الصنف نفس العوامل المسؤولة عن تدهور المباني المصنفة ضمن الدرجة الأولى من الخطورة لكن بشكل أقل حدة، ويقدر عددها بـ 941 بناية، تمثل هذه المباني هي الأخرى خطرا على السكان والمارة والمنازل المجاورة، لكن بدرجة أقل خطورة.

توحي المعطيات المرتبطة بهذا الصنف، بأنه لا يمثل تهديدا كبيرا بالنسبة للسكان، ولا يدعو للقلق أو التخوف، لكن مع مرور الوقت والضغط المتزايد من الممكن أن تتنامى خطورته فينتقل إلى الدرجة الأولى، الشيء الذي يجعل الأمر شديد التعقيد خاصة مع استمرار الإهمال واللامبالاة، سواء من طرف الساكنة أو الجهات المعنية في ظل غياب الامكانيات المادية والبشرية الضرورية.

ج- المباني المهددة بالانهيار من الدرجة الثالثة

تطال هذا الصنف من المباني أشكالا بسيطة من الاختلالات (تصدعات، تهدلات، تآكل تغطية الجدران، تسربات مياه الأمطار، تدهور شبكة الماء الصالح للشرب وشبكة التطهير...)، ويقدر عددها بـ 996 بناية.

لا تشكل بنايات هذا الصنف خطرا كبيرا على السكان أو على الإطار المبني، إنما تتطلب فقط التدخل للحد من التدهور الذي يمسيها لكي لا تزيد درجة خطورتها.

4-2 - الحالة الفيزيائية للمباني السكنية

يعاني السكن القديم بمدينة فاس القديمة من تدهور كبير، يمس عددا كبيرا من البنايات يتجاوز النصف، في حين النصف الآخر مهدد أيضا بالتدهور في المستقبل، إن لم يتم الإسراع في التدخل ومعالجة أسباب وعوامل التدهور، بحيث ستكون النتائج جد وخيمة على السكان، وعلى الاقتصاد المحلي، إذ سيكلف الساهرين على تدبير الشأن المحلي توفير ميزانية مهمة، تتعلق بالإسكان بشراء وعاء عقاري لإعادة إسكان الأسر القاطنة بهذه البنايات أو مصاريف تدعيمها وترميمها.

4-2-1 - الحالة الخارجية للمباني السكنية

تعتبر واجهة المباني بالمدينة القديمة وفاس الجديد، من المؤشرات الهامة في تحديد صلابة المساكن ومدى تدهورها. تتأثر هذه الواجهات بمجموعة من العوامل، التي تساهم في تدهورها، من أهمها

عناصر المناخ من خلال التساقطات والحرارة، التي تعمل على إذابة وتفتيت مكونات الجدران الخارجية. وتزداد خطورة هذا الأخير في غياب أي طلاء خارجي للواجهات¹.

تعاني نسبة كبيرة من المباني المهددة بالانهيار من تواجد شقوق خطيرة على مستوى الواجهة والتي تعتبر من المؤشرات الهامة التي من خلالها يتم تحديد مدى درجة التدهور التي تعرفها المباني على مستوى حالتها الخارجية، إذ تعاني حوالي 56.17 % من تواجد شقوق خطيرة على مستوى الواجهة. وبالتالي فنسبة المباني التي تعتبر حالتها الخارجية جيدة نسبيا، لا تشكل سوى نسبة ضعيفة لا تتجاوز 43.83%؛ وهي تؤثر هذه النسب على مدى التدهور الذي يعرفه النسيج القديم بمدينة فاس (الصور رقم 29 و 30 و 31).

الصور رقم 29 و 30 و 31: الحالة الخارجية للمباني المهددة بالانهيار بالنسيج العمراني القديم لمدينة فاس



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

4-2-2 - الحالة الداخلية للبنىات السكنية

تعتبر الرطوبة والشقوق من بين الأعراض التي تصيب بشكل مباشر المباني الهشة وتتسبب بالتالي في انهيارها. وتتجم أساسا عن التأثير السلبي للعوامل المحيطة بالبنية، من قبيل البنيات التحتية الهشة، أو عامل الشيخوخة، أو غياب الصيانة الدورية².

تشكل هذه الأعراض سببا مباشرا في تدهور المباني وبالتالي انهيارها، وتعاني معظم المباني بالنسيج القديم منها (الصور رقم 32 و 33 و 34)، حيث نجد (بالنسيج القديم) حوالي 53 % من مباني بها شقوق ورطوبة بالهيكل الداخلي، منها 17 % من المباني تعاني من الرطوبة فقط و 37 % تعاني من الشقوق.

¹ - محمد الرفيق، (2012): مرجع سابق، ص 180.

² - نفسه، ص 183.

الصور رقم 32 و33 و34: الحالة الداخلية للمباني المهددة بالانهيار بالنسيج القديم لمدينة فاس



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

تنتج هاته الشقوق عن عدم استقرار الهيكل، أو وجود خلل والتواء في العناصر الحاملة للهيكل، في حين تنتج الرطوبة، من خلال التسرب الناجم عن قنوات التطهير القديمة وغير المهيكلية، أو من خلال تسرب مياه الأمطار إلى المباني، أو نتيجة انعدام التهوية بالمباني مما يؤدي إلى ارتفاع رطوبة الجدران.

خاتمة الفصل الثالث

يقترن اسم فاس في أذهان المغاربة والأجانب بعظمة مدينتها القديمة كتراث إنساني خالد، يختزل قرونا من الإرث الحضاري والثقافي والروحي، الذي خلفته عديد من الحضارات عبر عصور تاريخية مختلفة، وذلك منذ تأسيس المدينة أي مدة تزيد عن أكثر من 1200 سنة ظلت وفيه لطابعها المعماري الأصيل ولا زالت جوهر الحضارة الإسلامية والتراث العالمي.

تعتبر المدينة القديمة بمثابة القلب النابض في جسد المدينة ككل، هذا العضو الفعال والأهم في نظرنا لم يتوقف بطبيعة الحال عن النبض منذ قرون، وهو في نفس الوقت يحمل معه أسرار هوية مجتمعا المغربي والإسلامي.

هذه المدينة تتوفر على كل المؤهلات التراثية من تراث عمراني عسكري بمختلف مكوناته من أسوار تمتد لمسافة طويلة، وأبراج وأبواب متعددة؛ بالإضافة إلى التراث الديني حيث تتوفر المدينة القديمة لفاس مجموعة من الأضرحة وفي مقدمتها ضريح المولى ادريس وضريح سيدي احمد التيجاني الذي يعد محج لمجموعة من الزوار من خارج المغرب وخاصة الطائفة التيجانية، بالإضافة إلى عدد مهم من المدارس الدينية والمساجد والجوامع كمسجد القرويين والأندلس والفنادق والحمامات والسقايات وغيرها من مكونات التراث العمراني بهذا النسيج القديم.

هذا التراث الغني والمتنوع يتعرض لمجموعة من العوامل والضغوطات، ساهمت في تدهور مستوى مكوناته وإطاره المبني بشكل جزئي أو كلي خصوصا على مستوى بعض الأسوار والمساجد والسقايات، بالإضافة إلى استفحال مشاكل التلوث البيئي بواد الجواهر، وتلاشي البنيات التحتية كشبكات الصرف الصحي.

إلا أن أهمية هذا التراث وقيمه التاريخية على المستوى الوطني والعالمي، ودوره في تحقيق التنمية بمدينة فاس، جعل مختلف الفاعلين يهتمون به ويعملون على وضع وتنفيذ مجموعة من المشاريع والبرامج، بغية رد الاعتبار له والمحافظة عليه من الزوال والاندثار.

- إذن فما هي هاته البرامج والمشاريع؟
- ومن هم الفاعلون والجهات التي ساهمت في تنفيذها؟
- وأخيرا هل استطاعت هاته المشاريع تحقيق أهدافها، وهل أوقفت نزيف التدهور ومسلسل الانهيارات التي شهدتها المدينة القديمة؟

الفصل الرابع:

المكونات التراثية العمرانية لمدينة

مكناس

مقدمة الفصل الرابع

تزرع مدينة مكناس بتراث تاريخي وحضاري وعمراني كبير، لكونها من المدن الملكية التي اتخذت كعاصمة للبلاد في إحدى فترات التاريخ (فترة السلطان المولى إسماعيل 1672-1727م)، فهي بذلك تضم في كل ناحية منها أسوارا شامخة، وأبوابا ضخمة، ومساجد عتيقة، وقصورا فسيحة، ورياضات غناء، وأسواقا كثيرة، وأضرحة متعددة، وفنادق أصيلة، إضافة إلى السقايات والمطاحن المائية¹.

تعد المدينة القديمة لمكناس بأسوارها وأبراجها وبساتينها وقصورها ومساجدها ومآذنها وسقاياتها وزواياها وأزقتها (الخريطة رقم 18 و19)، إضافة إلى عادات وتقاليد ساكنتها، متحفا نابضا وشاهدا حيا على تاريخها الحضاري، كما تتفرد عن غيرها من المدن المغربية من حيث ضخامة وسعة معالمها، الشيء الذي يعكس إرثها التاريخي والثقافي والعمراني.

هذه المقومات أهلتها لأن تصبح عن جدارة واستحقاق وباعتراف المجتمع الدولي تراثا إنسانيا عالميا منذ سنة 1996.

إلا أن هذا التراث العمراني لم يستغل بعد بالكيفية المطلوبة، ولم توضع مشاريع لاستثماره في تطوير القطاع السياحي، حيث أن تطوير هذا الأخير عامل مهم في مدينة تقتقر إلى مقومات التنمية المحلية وينحصر اقتصادها على قطاعات ضعيفة، لذا فمن الضروري الالتفات والاهتمام بالتراث العمراني بالمدينة القديمة لمكناس، لكونه يعد عنصرا أساسيا لإنعاش الذاكرة التاريخية وتحقيق التنمية المحلية.

1 - التراث العمراني العسكري بالمدينة القديمة مكناس

1 - 1 - الأسوار معمار عسكري ذات طابع فني وجمالي بامتياز

تشكل الأسوار الإسماعيلية عنصرا بارزا من عناصر العمارة العسكرية، فهي تعتبر دراع السلطان ورمز سيادته وهيبته، وفي نفس الوقت تشكل حدودا أقيمت لإحكام العلاقة بين المجال الحضري والمجال البدوي². فبالرغم من طابعها العسكري الذي أنشئت من أجله، إلا أنها تحمل طابعا فنيا وجماليا يعكس المستوى الحضاري للمدينة؛ ويرجع تاريخ أغلبه هذه الأسوار لعهد مولاي إسماعيل، باستثناء البعض منها التي شيدت بعد هذا العهد.

¹ - بوشتي الخزان و منير الصادقي (2014): التراث الحضري لمكناس العتيقة وأية استراتيجية للتنمية، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهرز " التراث الحضري والحداثة"، العدد 13 يناير 2014 - السنة السادسة والثلاثون، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ص 193.

² - جمال حيمر، (1995): العمران الإسماعيلي مقدمات وملاحظات عامة، ضمن أعمال ندوة السلطان مولاي إسماعيل، منشورات جامعة المولى إسماعيل، مكناس، ص: 156.

يتضح من خلال أسوار مدينة مكناس (الخريطة رقم 20)، أن المولى إسماعيل كان حريصا على تزويد المدينة بنظام دفاعي قوي ومتين، من خلال إنشاء أنظمة دفاعية منيعة ومدهشة، لحماية قلعته من أي خطر خارجي محتمل.

يصل طول الأسوار التي تحيط بالقصبة الإسماعيلية 42 كلم¹، ويبلغ سمك معظمها ما بين 1.20م و2.40م، وارتفاعها في المتوسط ما بين 7م و10م²، وتنقسم هذه الأسوار إلى نوعين:

أ - الأسوار الخارجية

تحيط بالمدينة ككل أسوار خارجية ذات شكل هندسي بسيط باعتبارها عنصرا إضافيا ومكملا، نظرا لوجود أسوار داخلية مستقلة خاصة بكل بناية. وتتخذ هذه الأسوار شكل خط مستقيم، وفي بعض الأحيان رسم محصن أو رسما مسننا، يتراوح عرض هذا السور ما بين 1.80م و3 أمتار، وعلو يتراوح بين 10 و15 متر، تتخللها طريق للحراسة، يتم الولوج إليها بواسطة أبواب خاصة، أو عن طريق بناءات مرتبطة بداخل السور.

ب - الأسوار الداخلية

تنقسم إلى نوعين:

- الأسوار التي تقسم الحاضرة الإسماعيلية: تعتبر بمثابة أسوار حدودية ليست لها طريق للحراسة ولا مرامي للبنادق ولا شرفات أو حصون، وبالتالي فهي عبارة عن جدران عادية يتراوح سمكها بين 0.90م و1.80 متر، وعلو يصل إلى 8.5 متر.

- سور القصر: عبارة عن ثلاث نطاقات من الأسوار، يتوفر على شرفات وله أبراج وطريق للحراسة. وتتكون الأسوار الإسماعيلية من عناصر أساسية، أنشئت لتؤدي الوظيفة الدفاعية، سواء حماية

القصبة من الهجمات الخارجية أو التمردات الداخلية، أو لحماية القنوات المائية من التخريب، وهي:

- الجدار أو الأساس: يتكون عادة من أساس مبني بالحجارة، وينتهي هذا الجزء مع مستوى الأرض ليبدأ الجزء الأول من السور المبني بالتابوت (الطابية)؛

- الثقوب الموجودة بالأسوار: بالرغم من الاختلاف حول الغرض في إنشائها، إلا أن السبب الرئيسي يرجع إلى طبيعة بناء السور، التي تقتضي وضع أعمدة بشكل أفقي لتحمل ألواح الطابية، وعند الإنتهاء من هذا الجزء وبداية الجزء الذي يعلوه، وعند إزالة اللوح يبقى أثر الأعمدة الحاملة على شكل ثقب.

¹ الوكالة الحضرية لمدينة مكناس.

² BARRUCAN, (M). (1976), « L'Architecture de la Qasba de Moulay Ismail à Meknès ; étude et travaux d'archéologie marocaine » volume VI, implus EDITIONS Maghrébines, Casablanca, p. 191.

- **طريق المداومة:** عبارة عن ممر يوجد في أعلى السور، مخصص لتحركات الجنود، يتم إنشاؤه عند الإنتهاء من آخر جزء مبني بالتالوت من الداخل لينتهي البناء من الجهة الداخلية، وبالمقابل يستمر العلو من الجهة الخارجية تاركا مسافة تتراوح ما بين متر و1.5 متر لتحركات الجنود دون أن يراهم من هو خارج السور من الجهة الأخرى.

- **الثقوب الموجودة في قمة السور أسفل الشرفات:** مخصصة لوضع البنادق، ذات حجم متوسط من الداخل في الجهة التي يتموضع فيها الجندي، وتكون صغيرة الحجم من الجهة الخارجية، بحيث يستطيع الجندي رؤية من هو خارج السور دون أن يراه.

- **الشرفات:** عبارة عن أعمدة مستطيلة، لا يتجاوز ارتفاعها 80 سم تفصل فيما بينها فراغات بعرض حوالي 20 سم، وتشكل الجزء الأعلى من السور.

1 - 2 - الأبراج حصون عسكرية متميزة

عبارة عن حصن مربع الشكل في الغالب، تكون مندمجة داخل السور أو منتصبة بإحدى زواياه، أو مقامة على قاعدة تتشكل من باب من الأبواب، وعرفت مدينة مكناس هاته الأبراج منذ تأسيسها مع الدولة المرابطية، وخلال الفترة الإسماعيلية قام المولى اسماعيل بتزويد مكناس بمجموعة من الأبراج المتنوعة أهمها (الخريطة رقم 21):

أ- برج الماء

يقع هذا البرج بالجهة الشمالية من ساحة المشور وقصر المحنشة، وقد استعمل كثكنة عسكرية ومركز للمراقبة والحراسة، يحتوي هذا البرج على مجموعة من الغرف ذات الأبعاد المختلفة مبنية حول فناء مركزي¹، يتوفر على شرفات بجهاته الثلاثة، كما يتوفر على ثلاث كوى كبيرة من الجهات الثلاث كمرامي للمدفعية الثقيلة.

يبرز هذا البرج خارج السور، ويتكون من ثلاثة طوابق أساسية؛ الأعلى مزود بشرفات لقذف الأسلحة الخفيفة، والطابق الثاني مزود بكوى كبيرة لوضع الأسلحة الثقيلة، ثم الطابق الأسفل الخاص بالخزن وكذا سكن الجنود.

وقد بني هذا البرج ليؤدي الوظيفة العسكرية، باعتباره نقطة مراقبة بالنسبة للحراسة، الشيء الذي غيب عنه وجود عناصر جمالية زخرفية، فهو بذلك صمم وفق شكل هندسي بسيط، لكنه بالمقابل لا يغيب

¹ BARRUCAND (M), « L'Architecture de la Qasba de Moulay Ismail à Meknès ; étude et travaux d'archéologie marocaine » volume VI, implus EDITIONS Maghrébines, Casablanca, 1976 , p 94.

عنه ميزات معمارية تتمثل بالأساس في ضخامته ومتانته؛ وقد أصبح من أهم وأجمل الأبراج المتواجدة بمكناس، بعد عملية الترميم التي خضع لها خلال السنوات الأخيرة (الصورة رقم 35).

الصورة رقم 35: توضيح برج الماء



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

ب - برج ابن القاري

يعتبر من المعالم التاريخية المهمة في مدينة مكناس، وهو من البروج الحربية المهمة التي أنشأها المولى إسماعيل، يتميز بمتانته وتعدد أروقه وحصانة شرفاته التي كانت توضع فيها المدافع¹، ويتصل هذا البرج ببوابتين كبيرتين إحداها باب ابن القاري، وهي تقضي لناحية القصور الملكية في اتجاه صهريج السواني، والآخر بباب ابن محمد وهي تقضي لناحية الأروى الإسماعيلي ومساكن الجيش.

يشكل برج ابن القاري جزءا من الأسوار الإسماعيلية التي تحيط بالمدينة، ويسمح موقع البرج في الجهة الغربية من القصبة، بالإشراف على كثير من المواقع كساحة الهديم وقبة السفراء وقصر بين القعب وغيرها، وقد تحول اليوم إلى متحف لحزف منطقة مقدمة جبال الريف.

ج - برج الشافية

يقع بدرب قرمودة بحي الدريبة بالقرب من حي روى مزين، ويشرف على جنان حمرية شرق المدينة القديمة ويطل على واد بوفكران، ويسمى بهذه التسمية لوجوده بالقرب من عين لالة شافية، يتكون من طابقين بهما أربع غرف محاطة بغناء داخلي، وتعلو هذا البرج شرفات للمراقبة وإطلاق النار.

¹ -BARRUCAND (M), Ibid, p 93.

فيما يخص تاريخ البناء، يرجح أن يكون من ضمن الأبراج التي شيدها المولى اسماعيل، نظرا لتشابه الهندسي والوظيفي بينه وبين مجموعة من أبراج الإسماعيلية (الصورة رقم 36).

الصورة رقم 36: صورة لبرج الشافية



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

بالإضافة إلى هاته الأبراج، هناك أخرى لا تقل أهمية من الناحية الوظيفية والعسكرية والجمالية والمعمارية من قبيل برج الهرس، برج ببي عيشة، برج الناعورة برج القصدير...

1- 3 - أبواب النسيج العمراني القديم بمدينة مكناس

عمل المولى إسماعيل على إحاطة حاضرة مدينة مكناس القديمة بمجموعة من الأبواب تخترق أسوارها، وهي في غاية السعة والارتفاع، لها قباب داخلية، وفوق أغلبها تنتصب أبراج ضخمة كانت توضع عليه المدافع. يرجع بعض هذه الأبواب إلى فترات سابقة، فعمل على ترميمها وأضاف إليها أبوابا أخرى، وصل مجموعها 21 بابا (الخريطة رقم 22 و 23)؛ غير أن العديد منها يعرف تدهورا خطيرا، نتيجة الإهمال وعاملي التقادم والمناخ، فحوالي 43 % من هذه الأبواب في حالة متدهورة، و38 % في حالة متوسطة، في حين تبقى 19 % منها فقط في حالة جيدة، وهي التي حظيت بعناية واهتمام خاصين، من قبيل الترميم وإعادة الاعتبار، كباب منصور العلي وغيرها.

ومن أهم هذه الأبواب نذكر منها:

أ - باب الدار الكبيرة

تعتبر من أهم أبواب القصبة الإسماعيلية، باعتبارها أولى المرافق السكنية التي بنيت من طرف المولى إسماعيل، وتمثل الباب الرئيسية لمجموعة من القصور داخل المجمع المعروف بالدار الكبيرة، تتميز هذا الباب بكتابة منقوش عليها عبارة: انتهاء البناء بالدار الكبيرة سنة 1090 هـ¹. يعد أقدم باب، فبالرغم مما أصاب واجهته الأمامية من تلف في الوقت الحالي، فمكوناته الهندسية ما تزال تحتفظ بغخامتها وزخارفها، أما الواجهة الداخلية فتتوفر على زخارف بسيطة وعادية. يبلغ ارتفاعه حوالي 12م، وعرض فتحته حوالي 4.35م تقريبا، وتتقدم هذا الباب على غرار أغلب الأبواب المغربية ساحة تشكل فضاء بطول 26م وعرض حوالي 17.5م، ويتم الدخول إلى هذه الساحة عبر باب صغير عرضه 3.80م. ويحتل من خلال مجموعة من الشواهد والحجج² أن يكون هذا الباب هو نفسه هو باب العلوج.

ب - باب منصور العليج

يعد هذا الباب من أهم الأبواب بالمغرب، بل أهمها بشمال إفريقيا، كما يعد أيضا من بين أجمل أربع أبواب في العالم. يقع بساحة لهديم شرق المدينة القديمة، وهو من أعظم أبواب القصبة الإسماعيلية، يعتبر المدخل الرئيسي للقصبة الإسماعيلية، بني في عهد السلطان المولى إسماعيل في أواخر القرن السابع عشر، على يد مهندس مسيحي اعتنق الإسلام، وبذلك عرف باسم باب منصور لعلج، ثم أتم بناءه وزخرفته على الشكل الحالي السلطان المولى عبد الله سنة 1732 م³.

يبلغ ارتفاع هذا الباب حوالي 16 متر، بينما تبلغ فتحة قوسه حوالي 8 أمتار، ويرتفع في جنباته برجان قائمان على أقواس محمولة على أعمدة الرخام، وتوجد بداخل قاعة مستطيلة فسيحة بعرض حوالي 6.2 م، وطولها حوالي 17م، تغطيها قبة كبيرة. تزين الباب نقوش من تشابيك زهرية مقوسة وناثئة على الفسيفساء الملعب باللون الأخضر، وتتوسط ذلك كتابة زخرفية سوداء، ويعلو هذا الباب صف من الشرفات

¹ - عبد الرحمان ابن زيدان، (1990): إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، خمسة أجزاء، الطبعة الثانية، مطابع إديال، الدار البيضاء.

² - محمد اللحية، (2011): محددات نشأة المدينة المغربية الوسطية وتمدها مكناس 452-645هـ/1060-1247م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، مطبعة سايس كرافك، الطبعة الأولى، فاس، ص 128.

³ - عبد الرحمان ابن زيدان، (1990): مرجع سابق، ص 190.

القصيرة تغطي الإفريز العلوي، غير أن زخرفة هذا الباب لا تنتمي للعهد الإسماعيلي بل هي لاحقة عنه¹.

تجدر الإشارة أن باب منصور العليج يوجد تقليد له بمدينة باريس الفرنسية، حيث أنه في أواخر سنة 1997م أخذ الطلبة نفس المقاييس التي عليها باب منصور وتم بناؤها في باريس²، لأن الفرنسيين أذهلهم الباب الرائع، الأمر الذي يوضح الجمالية والقيمة الرمزية والتاريخية لهذا الباب (الصورة رقم 37).

الصورة رقم 37: باب منصور العليج



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

ج - باب الخميس

شيد سنة 1098 هـ - 1687 م³، يعتبر من أهم الأبواب وأجملها بمدينة مكناس، وتكمن أهميتها باعتبارها المبنى الأثري الوحيد الذي بقي من مدينة الرياض العنبرية⁴، التي شيدها المولى اسماعيل بجوار قصبته من الجهة الغربية⁵.

سمي كذلك لأنه كان يفتح على سوق أسبوعي يعرف بسوق الخميس، ويعتبر أكبر الأبواب بمدينة الرياض العنبرية، ومن أجملها يشبه في هندسته وزخرفته باب البرادعيين، فهناك على جنبات قوسه الذي يصل عرضه إلى 5 أمتار، برجان دفاعيان يبلغ عرض كل منهما 7.90م بعلو يصل إلى 15م، وتعلوه

¹ - عبد المالك ناصري، (2003): الخريطة المعمارية لمدينة مكناس دراسة تاريخية معمارية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، ص 177.

² - Bab Mansour Paris, Textes : Bouchta Bouasria, Photo : Khalil Nemmaoui, Achevé en novembre 1999, sur les presses de horizon groupe, P8.

³ - عبد الرحمان ابن زيدان، (1990): مرجع سابق، ص 383.

⁴ - نفسه، ص 129.

⁵ - محمد اللحية، (1984): الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن 19، رسالة لنيل دبلوم الدراسة العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ص 24.

نقوش وزخارف وكتابات عبارة عن أبيات شعرية، وإلى جانب هذا الباب يوجد حي الملاح وهو حي خاص باليهود في تلك الفترة (الصورة رقم 38).

الصورة رقم 38: باب الخميس



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

1 - 4 - سجن قارا

يعتبر من أشهر السجون في العالم والأغرب على مستوى التاريخ لكونه مبني تحت الأرض، بناه المولى إسماعيل لمعارضيه في القرن الثامن عشر، تحول بعد ذلك إلى معلمة تاريخية مهمة. يقع سجن قارا في الشمال الغربي من القصة، وله أساطين محكمة تعلوها أقواس ضخمة، كان يمر فوقه كل وسائل النقل من دواب وعربات وسيارات مشحونة بالأثقال، بل وأحدثت فوقه جنان غرست بها الأشجار وأنواع المزروعات، ولم يؤثر ذلك في سقفه. ويعتقد أن إسمه جاء من أسماء أحد الأسرى البرتغاليين، ويدعى "قارة" والذي وعده مولاي اسماعيل بإطلاق سراحه، إذا تمكن من بناء سجن يستوعب 40000 أسير، إلا أنه ليس هناك ما يثبت ذلك؛ وكان هذا السجن في أيام مولاي اسماعيل معدا للأسرى وللمحكوم عليهم من أصحاب الجرائم، فكان هؤلاء يبيتون به ليلا وفي النهار يخرجون للخدمة، وهو يمتد تحت الأرض في مساحة كبيرة، سقفه محمول على أقواس تتخللها نوافذ سقفية للإضاءة، مدخله الأول لا يزال مجهولا، وفي الوقت الحاضر يتم الدخول إليه من فتحة في سطحه جوار السور المحيط بمساحة قبة الخياطين من الجانب الغربي، وتتكون أرضيته من التراب المدقوق، وتتنصب أقواسه فوق أعمدة، أما أقبية المنخفضة فتتخللها ثقب في سقفه (الصورتان رقم 39 و40).



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

2 - التراث العمراني الديني بمدينة مكناس القديمة

2 - 1 - المساجد تراث ديني ومؤسسات ثقافية وتربوية

تعتبر المساجد بمثابة المكان المخصص لإقامة الشعائر الدينية، وهي في نفس الوقت تشكل مؤسسات ثقافية وتربوية ارتبطت بها أمجاد الأمة الإسلامية في مختلف العصور (الخريطة رقم 24). وقد عمل المولى اسماعيل على بناء المساجد، فجميع قصوره تحتوي على مسجد أو أكثر، فضلا عن المساجد الأخرى التي شيدت بالمدينة ككل في عهده، والتي فاقت الأربعين مسجدا، منها ما يزال قائما إلى اليوم، ومنها ما اندثر بصفة نهائية. وتدل المساجد القائمة حتى الآن بزخارفها وأعمدتها ومختلف أنماط بنائها، على ما وصل إليه الفن المعماري في العهد الإسماعيلي.

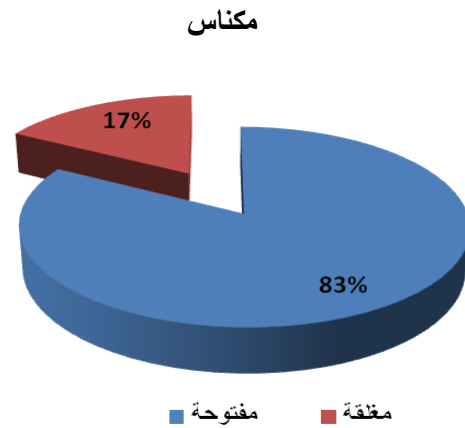
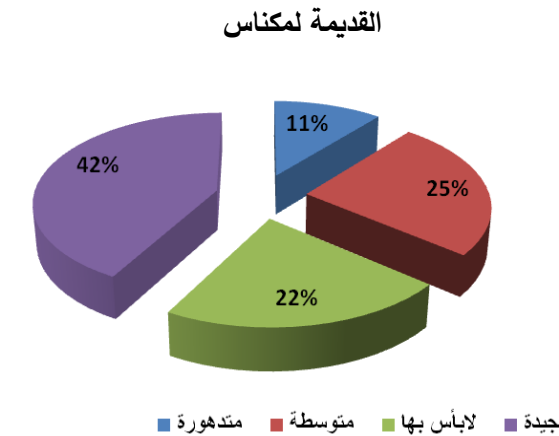
يعتبر مسجد النجارين من أقدم المساجد، بناه المرابطون، والتي هي في حي يحمل نفس الاسم، ثم هناك المسجد الكبير الذي يعد من أكبر وأعرق المساجد، والذي يعود تاريخه إلى الفترة الموحدية، لكن بعض الفرضيات ترجح بناءه إلى المرابطين.

في حين شهدت الفترة المرينية تشييد العديد من المساجد، بما في ذلك مسجد الزرقة ومسجد لالة عودة، الذي تم ترميمه خلال فترة السعديين. وخلال فترة حكم المولى إسماعيل، تم تشييد العديد من المساجد نذكر من أهمها مسجد باب البرادعيين.

يصل عدد المساجد بالمدينة القديمة إلى 62 مسجدا، تشكل بها المساجد التي تؤدي وظيفتها (الشكل رقم 23) سواء ذات الصلة بأداء الصلوات الخمس أو التي تلقى بها خطب الجمعة إلى 83 %، في حين 17 % من هاته المساجد مغلقة، لكونها توجد في وضعية مندثرة أو آيلة للسقوط.

أما من ناحية حالتها الفيزيائية (الخريطة رقم 25، الشكل رقم 24) فإن 42 % من المساجد توجد في حالة جيدة، في حين 22 % توجد في حالة لا بأس بها، وتبقى 25 % في حالة متوسطة، أما نسبة المساجد التي تتواجد في حالة متدهورة فهي لا تتجاوز 11 %.

الشكل رقم 23: وضعية المساجد بالمدينة القديمة لمدينة



المصدر: العمل الميداني، 2016.

أ - جامع الأنوار

يعرف بالجامع الأخضر، أنشأه الناظر محمد بن محمد الكاتب، بأمر من السلطان المولى اسماعيل، يقع الجامع بالقرب من باب فيلالة، يرجع تاريخ بنائه إلى سنة 1699 م¹، يشمل هذا الجامع على أعمدة تقارب المائتين، له صحن رائع، تتوسطه قبة على أعمدة من الرخام بأشكال مختلفة وبزواياها الأربع، كما يوجد بوسط القبة خصة مصنوعة من الرخام، وبالقرب من القبة توجد أربع خصص صغيرة لكل واحدة منها حوض يمتلئ منها².

في بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر، تعرض الجامع للخراب بعد الزلزال الذي ضرب مدينة مكناس في فاتح نونبر من سنة 1755م، وهو الزلزال المعروف عند المؤرخين المغاربة بزلزال مكناس وزرهون، وعند الأوروبيين بزلزال لشبونة، ولم يتبق منه سوى بابه وبعض أسواره حيث أصبحت مكوناته العمرانية عبارة عن أطلال، أستغلت تارة لربط الدواب، وتارة أخرى لسجن المتمردين، ومرة أخرى كخزينا للشعير، إلا أن تم استغلاله من طرف السلطات الاستعمارية كمدرسة لتدريس اللغة الفرنسية³.

¹ - عبد الرحمان ابن زيدان، (1990): مرجع سابق، ص 160.

² - نفسه، ص 161.

³ - نفسه، ص 161.

ب - مسجد باب البرادعين

ترجع تسميته إلى صانعي البرادع الذين كانوا يحتلون الساحة الموجودة خلف باب البرادعيين، وبجوار هذه الساحة يوجد مسجد باب البرادعيين، بني من طرف الوزير "بن يشو" سنة 1709 م بأمر من المولى إسماعيل، بلغت مساحته 620م²، يتكون من صفين وستة مباحات وحصن. يتميز هذا المسجد بمنارته العالية، كما يتميز هذا المسجد بتأخر إقامة صلاة الجمعة، وهي ظاهرة كانت مرتبطة بقرب المسجد من منطقة فلاحية، وكذلك الأحياء السكنية القريبة منه التي كانت تحتضن مرافقه التجارية¹. تعرض هذا المسجد سنة 2010 لانهايار صومعته على المصلين مخلفا بذلك 53 قتيلا والعشرات من الجرحى، مما دفع السلطات إلى ترميمه وإغلاق جميع المساجد الآيلة للسقوط بشكل نهائي (الصورة رقم 41).

الصورة رقم 41: توضح مسجد البرادعيين



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

ج - المسجد الأعظم

من المعالم الأثرية الكبرى التي خلفها الموحدون الجامع الأعظم، إلا أن تأسيس قواعده يرجع في أواخر العهد المرابطي، ثم زاد الموحدون في سعته عام 600 هـ/1203 م. تبلغ مساحته 3500 متر، وارتفاع صومعته حوالي 22 متر، ويشتمل على إحدى عشر بابا ولم يتبقى منها سوى تسعة أبواب، نذكر منها باب الحفاظ، باب الحجر، وباب الخضارين، وباب سماط الشهود، وباب الكتب، وباب الجنائز؛

¹ - عبد الرحمان ابن زيدان، (1990): مرجع سابق، ص307.

بالإضافة إلى ذلك تم تزيين أروقة المسجد بثرية فخمة وثمانية صنعت في عهد الناصر الموحدي عام 604 هـ-1207 م¹.

يشكل الوجهة المفضلة لسكان المدينة القديمة، قصد أداء الصلوات الخمس والجمعة وصلاة التراويح والأعياد، كما كانت تقام به حلقات علمية يؤطرها مجموعة من العلماء على الصعيد المحلي والوطني² (الصورة رقم 42).

الصورة رقم 42: توضيح مسجد الأعظم



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

2-2 - الزوايا والأضرحة بمكناس تعاني من التدهور والإهمال

2-2-1 - الزوايا مؤسسات دينية عمومية

أحدثت بمكناس إلى جانب المدارس، مؤسسات دينية تسمى بالزوايا، تتشابه في هياكلها المعمارية إلى حد ما مع هندسة المدارس المرينية، إذ تتكون من طابقين لهما شرفات، تطل على صحن فسيح مكشوف للسماء، ومحاط بسواري من جهاته الأربع، وهي مجهزة بكل المرافق الضرورية التي تضمن

¹ - عبد الواحد مهداوي، (2011)، دليل التراث الثقافي والطبيعي بالمغرب، منشورات مرايا، ص 206.

² - هشام برودي، (2017): التجهيزات العمومية بمدينة مكناس العتيقة، ماستر المدن التراثية والتنمية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرار، ص44.

خدمات النزلاء والرواد من إيواء وتغذية. ويصل عدد الزوايا بالمدينة القديمة لمكناس حوالي 23 زاوية (الخريطة رقم 26).

أ- الزاوية القادرية

نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، توجد في ملتقى درب الفتان مع درب الصباغين المؤدي إلى ساحة الهديم عبر باب زواغة¹، وهي من تأسيس الشرفاء القادرين بحي الصباغين حيث تضم رفات بعضهم، وتتكون من غرفتين وفناء، وأثر مسجد مندثر، ومقبرة للدفن (الصورة رقم 43).

الصورة رقم 43: توضح الزاوية القادرية بمكناس



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

ب - الزاوية التهامية الوزانية

مؤسسها هو عبد الرحمان بن الحسن اليازغي الملقب بالشبر المتوفي سنة 1150 هـ -1137م، والمدفون بالدار المجاورة للزاوية، وتنسب إلى مولاي التهامي بن مولاي عبد الله الشريف، دفين وزان والمتوفى بها عام 1127هـ -1715م، توجد بالدرب الذي يحمل إسمها من حومة جناح الأمان أمام ضريح سيدي عبد الكريم الراضي الوزاني². تشتمل على مسجد وفناء واسع مع خمس غرف لإيواء الموريدين والقائمين على الذكر، بالإضافة إلى قبور بعض الصلحاء؛ وللزاوية نظار من البيت الوزاني يشرفون على أحباسها ورعايتها وتجديدها، وتشهد من حين لآخر بعض حلقات الذكر خاصة خلال المناسبات والأعياد الدينية.

¹ - عبد الرحمان ابن زيدان، (1990): مرجع سابق، ص 110.

² - نفسه، ص 370.

ج - الزاوية التيجانية

توجد بحي القرسطون، أسسها أصحاب الطريقة التيجانية المنسوبة للشيخ سيدي أحمد بن محمد التيجاني المدفون بفاس، تعد هذه الزاوية من أجمل الزوايا عمارة داخل المدينة القديمة، وتصنف من أبرز الزوايا الصوفية بالمدينة من حيث أهمية عدد الأتباع، حيث يلتزم العشرات من مريديها والمتعاطفين معها بالحضور إليها كل يوم الجمعة للذكر وفق الطريقة التيجانية بعد صلاة العصر¹ (الصورة رقم 44).

الصورة رقم 44: الزاوية التيجانية بمكناس



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

2-2-2- الأضرحة

تتوفر مدينة مكناس على عدد كبير من الأضرحة والمزارات، التي يتواجد بالمدينة في أشكال مختلفة (قبة، قبر، بيت، حوش)، وهو ما يجد تعبيره في القولة الشهيرة "مكناس كل قدم بولي"، ويبلغ عدد الأضرحة 37 ضريحا (الخريطة رقم 26).

أ- ضريح المولى إسماعيل

شيده ابنه مولاي أحمد الذهبي، وهو يضم رفات 3 ملوك هم: المولى إسماعيل، وأحمد الذهبي والمولى عبد الرحمان بن هشام، إلى جانب هؤلاء يوجد قبر زوجة المولى إسماعيل " السيدة خناتة"، ويعتبر هذا الضريح معلمة فاخرة اجتمعت فيها الصناعة اليدوية من النقش على الرخام والخشب والجبس والزليج (الصورة رقم 45).

¹ - هشام برودي (2017): مرجع سابق، ص 54.

الصورة رقم 45: ضريح مولاي إسماعيل بمكناس



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

يوجد هذا الضريح بجوار الدار الكبيرة، في جهتها الجنوبية بجانب مدفن سيدي عبد الرحمان المجذوب، مدخله مزخرف بنقوش وكتابات بدیعة، يرتفع فوقها إفريز من القرميد الأخضر، وعند اجتياز الباب تقابلنا مجموعة من القاعات في مقدمتها قاعة الوضوء، بعدها نصل إلى قاعة تكاد تكون مربعة الشكل طولها 10 م وعرضها 9.88 م، يرتفع الزليج بجنباتها لعلو يصل إلى 1.60 م، ويتوجه شريط من الجبص المنقوش، وتنتصب نافورة من الرخام وسط هذه القاعة¹.

شهد هذا الضريح عدة تغيرات وتعديلات، ينفذ إليه اليوم من الباب الواقع بجهته الجنوبية، وبهذا المدخل قاعة مغطاة تتوسطها نافورة ماء، ومنها يصعد إلى درج يؤدي إلى ساحتين صغيرتين ينفتحان على ساحة لها شكل مستطيل، وترتفع منئذنة صغيرة في الزاوية الجنوبية الغربية وقاعة الصلاة بالجهة الجنوبية².

¹ BARRUCAND (M), « L'Architecture de la Qasba de Moulay Ismail à Meknès ; étude et travaux d'archéologie marocaine » volume VI, implus EDITIONS Maghrébines, Casablanca, 1976, p 72.

² - عبد المالك ناصري، (2003): مرجع سبق ذكره، ص 109.

ب - ضريح سيدي قدور العلمي

عالم بارز جمع بين الولاية ونظم الملحون، ولد بمكناسة سنة 1154هـ-1741م، أسس زاويته سنة 1251هـ-1843م¹، قيد حياته في الدار التي ورثها عن والده. توفي سنة 1266هـ-1850م، ويوجد في الحومة المنسوبة له من حي التوتة بالدرب الذي يحمل إسمه، قبالة ضريح سيدي بوطيب.

ج - الشيخ الكامل محمد بن عيسى

نظرا للمكانة التي يحظى بها محمد بن عيسى بمدينة مكناس، فقد أصبح اسمها أحيانا يرتبط باسمه حيث يقال "مولى مكناس"، يقع في الجهة الشمالية الغربية للمدينة القديمة داخل مقبرة باب السيبة المنسوبة إلى الباب المندثرة.

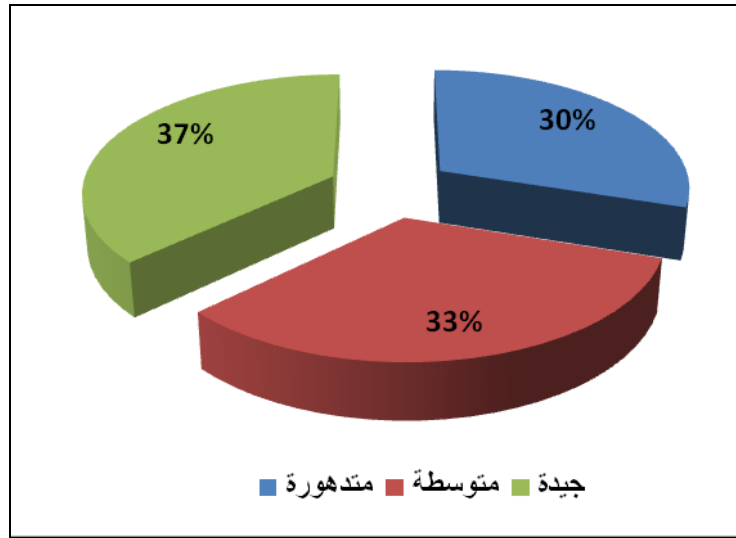
هو الشيخ سيدي محمد بن عيسى بن عمر الشريف السباعي²، يعد من الأولياء الذين عاشوا أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، ولد سنة 1467 م، ونشأ في قبيلة مختار إحدى فروع قبائل بني حسن، ثم رحل إلى فاس حيث درس بها مدة.

وقد كانت وفاته سنة 1526م، وتم دفنه داخل زاويته التي توجد خارج باب السيبة. وكما هو معلوم يقام له موسم كبير سنويا، يصادف ذكرى المولد النبوي الشريف، حيث يحضر العديد من الزوار من مختلف المدن، وبالأخص من منطقة الغرب التي ينحدر منها الشيخ محمد بن عيسى. وتعرف بعض الزوايا والأضرحة نوع من الإهمال والتدهور (الخريطة رقم 27 الشكل رقم 25)، إذ حوالي 30% منها في وضعية متدهورة، و33% حالتها الفيزيائية متوسطة، في حين نجد 37% حالتها الفيزيائية جيدة.

¹ - جمال حيمر، (2006): مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث، دراسة في التاريخ العمراني والسياسي، منشورات جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، سلسلة دراسات وأبحاث 17، الطبعة الأولى، مطبعة دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ص 212.

² - عبد الرحمان ابن زيدان، (1990): مرجع سابق، ص 21.

الشكل رقم 25: الحالة الفيزيائية للزوايا والأضرحة بالمدينة القديمة لمكناس



المصدر: العمل الميداني، 2016.

2 - 3 - المدارس القديمة بمكناس

تعتبر المدارس مؤسسات تعليمية أنشئت لنشر العلوم الدينية، وغيرها من العلوم الأخرى¹، ولم يقتصر دورها على احتضان الدروس، بل تعداها ليشمل توفير المأوى والمأكل للطلبة، حتى يتمكنوا من متابعة الدروس والتلقي².

وقد بنيت أغلب المدارس على نمط واحد لتؤدي الوظيفة التي أنشئت من أجلها، وقد زينت هذه المدارس بذوق فني رفيع ومتنوع، وتشكل واحدة من أروع التشكيلات الزخرفية في مدينة مكناس. تتوفر المدينة القديمة لمكناس على ثلاث مدارس قديمة، ورثتها عن الفترة المرينية، والتي استطاعت الاستمرار في أداء وظائفها العلمية إلى غاية الفترة الاستعمارية، ويرجع الفضل في ذلك إلى العناية والاهتمام الذي حظيت به، خاصة من طرف السلاطين العلويين الذين عملوا على تجهيزها وترميم ما اندثر منها³. لكن مع ظهور المدارس العمومية العصرية تغيرت وظيفتها التعليمية، وتحولت إلى مجرد مرافق عمومية، توكل لها وظائف مختلفة حسب تقدير المسؤولين عن تدبيرها⁴.

¹ - نعيمة الحضري، (2006): المدارس المرينية بفاس (دراسة تاريخية ومعمارية)، مجلة التاريخ العربي، العدد 38، ص 375.

² - ETAHIRI Ahmed Saleh, locaux d'enseignement au Maroc islamique : genèse et rôle de la medrasa , revue amal, n° 28-29, 2003, p : 38.

³ - عبد المالك ناصري، (2003): مرجع سابق، ص 291.

⁴ - هشام برودي، (2017): مرجع سابق، ص 58.

أ - المدرسة الفلالية

شيدت من طرف يعقوب بن عبد الحق المريني (609هـ-1212م)¹، المكنى بأبي يوسف والملقب بالقائم بالحق وبالمصور، تقع بجوار الجامع الأعظم من جهته الشرقية يفصل بينهما شارع ضيق، يعرف حاليا باسم درب القرسطون، وقد كان يعرف قديما بسماط الشهود.

عرفت هذه المدرسة منذ إنشائها بمدرسة القاضي أبي علي الحسن بن عطية الونشريسي²، الذي كان يدرس بها ثم عرفت بعد ذلك باسم المدرسة الفيلالية نسبة لمن كان يسكنها من طلبة العلم من أهل تافيلالت³.

تعرضت هذه المدرسة للكثير من أعمال الترميم والتجديد، مما أفقدها الكثير من عناصرها الزخرفية، من أهمها تلك التي جرت على يد السلطان المولى اسماعيل في عام (1130هـ-1717م)، وذلك وفقا للكتابات المنقوشة على بلاطة من الزليج الأخضر⁴.

تعتبر من الناحية المعمارية مدرسة بسيطة في شكلها، وأهم ما يميزها هو الحوض الرخامي، وبها مسجد للصلاة تحيط به قاعة الدرس، وبالطابق العلوي غرف لسكن الطلبة⁵. واليوم أصبحت مقرا للاتحاد النسوي لمدينة مكناس، وبالتالي فهناك تحول وظيفي تعيشه هذه المدرسة، التي أصبحت مجرد بناية عمومية.

ب - مدرسة أبي الحسن (المدرسة الجديدة)

شيدت من طرف أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، تقع بجوار الجامع الأعظم من جهته الشرقية، يفصل بينهما شارع ضيق يعرف بشارع قبة السوق. عرفت منذ إنشائها باسم المدرسة الجديدة تمييزا لها عن مدرسة الشهود أو القاضي السابقة عليها في الإنشاء⁶، وعرفت أيضا باسم مدرسة العطارين⁷، نسبة لحوانيت العطارين التي كانت تجاورها من الجهة الشرقية.

¹ ابن أبي زرع علي الفاسي (1972): (ق 8 هـ / 14 م)، الدخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار منصور للطباعة، الرباط، 1972، ص: 85.

² محمد العثماني ابن غازي، (1988): الروض الهتون في أخبار مكناس الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، ص: 36.

³ - عبد الرحمان ابن زيدان، (1990): مرجع سابق، ص 118.

⁴ المرجع السابق، ص: 166، 167.

⁵ - عبد المالك ناصري، (2003): مرجع سابق، ص 292.

⁶ EKHAMMAR, A. (2001), « les madrasas mérinides de Meknès, archéologie islamique », revue publiée avec le concours du centre national de la recherche scientifique, maison neuve et Larousse, 11ème trimestre, 2001, P : 120, 121.

⁷ - محمد العثماني ابن غازي، (1988): مرجع سابق، ص: 34.

حظيت أبوابها وأعمدتها بزخارف رائعة، بما في ذلك من نقوش وكتابات وزخارف زهرية وهندسية على الخشب والجص والزليج، ولا زالت لحد الآن تحتفظ ببهائها وعظمتها من الناحية الهندسية، تحتوي على قاعة للصلاة وساحة وأعمدة ومحراب كلها غنية بزخارف كتابية منقوشة، وقد تخرج منها العديد من العلماء والمقرئين والدعاة، وصارت اليوم معلمة سياحية، يتوافد عليها الزوار من خارج المغرب وداخله (الصورتان رقم 46 و 47).

الصورتان رقم 46 و 47: المدرسة البوعنانية (المدرسة الجديدة)



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

ج - مدرسة العدول

سميت كذلك بمدرسة الخضاريين لوقوعها في طرف سوق الخضر القديم، عرفت كذلك باسم مدرسة مولاي عبد الله ابن أحمد، أسسها أبي يعقوب يوسف المريني، تقابل باب العدول للمسجد الجامع، تتكون من مسجد صغير على شكل قاعة للدروس، وتحيط به بيوت الطلبة، ومن طابق علوي ضم بيوتا أخرى. المدرسة الآن هي عبارة عن كتاب أو مركز لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم، وهي تحت اسم الرابطة المحمدية لتحفيظ القرآن الكريم، وقد طرأت على المدرسة عدة تغييرات وإضافات أفقدتها الكثير من معالمها الأصلية وزخرفتها المرينية، لدرجة أن أرضيتها دمرت بالكامل، وأعيد بناء العديد من عناصرها المعمارية بالخرسانة¹ أو الإسمنت المسلح (الصورة قم 48).

¹ Ekhammar Abdelatif, op Cite, P : 128.

الصورة رقم 48: مدرسة العدول



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

2 - 4 - الكتاتيب القرآنية

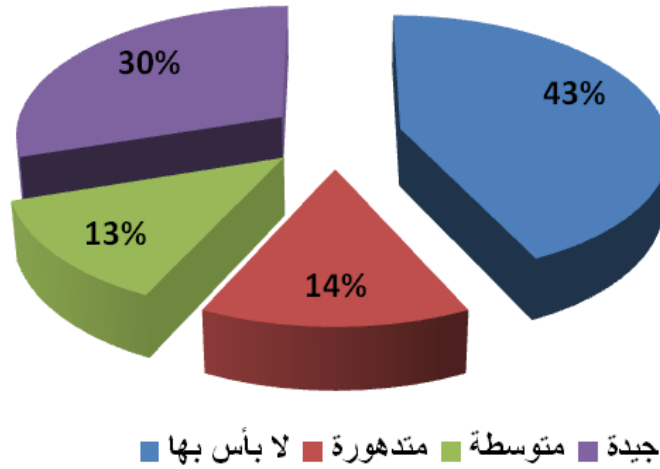
تنتشر بالمدينة القديمة لمدينة مكناس العديد من الكتاتيب القرآنية، التي وصل عددها نهاية القرن 20 الأربعين¹؛ ارتبطت في نشأتها بوجود المساجد والزوايا حيث يشرف عليها فقيه أو إمام مسجد، ويقصد بها المكان المخصص لتعليم الأطفال الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين 3 و5 سنوات وتحفيظهم القرآن الكريم.

تعاني هذه الكتاتيب من تدهور وإهمال كبيرين، جعل البعض منها تتوقف عن القيام بوظائفها، حيث نجد 57% منها نشيطة، ككتاب سيدي قدور العلمي وكتاب باب عيسى وكتاب جامع الصابة وغيرها...، في حين نسبة 43% منها مغلقة، إما نتيجة التدهور الذي تعاني منه، أو نتيجة المنافسة من طرف المؤسسات التعليمية الحديثة (رياض الأطفال وغيرها)، ومن بينها كتاب سيدي يحي وكتاب الجنان وكتاب سيدي حماموش وغيرها...

ومن خلال العمل الميداني (الشكل رقم 26) يتضح أن 30 % فقط من الكتاتيب حالتها الفيزيائية جيدة، و43 % في حالة متوسطة، و14 % ذات حالة متدهورة.

¹ - محمد العرايشي، (1988): الثقافة في مدينة مكناس في حاضرها وماضيها، ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ص 308.

الشكل رقم 26: الحالة الفيزيائية للكثائب القرآنية بالمدينة القديمة لمكناس



المصدر: بحث ميداني، 2016.

3- التراث العمراني الاقتصادي والاجتماعي

3-1- الأسواق ذات أنشطة تجارية وحرفية متنوعة

تتوفر المدينة القديمة لمدينة مكناس على مجموعة من الأسواق، ويخصص كل سوق في إنتاج وبيع سلعة معينة¹. ومن أشهرها نجد أسواق الخياطين، الخزائين، الصغارين، السلالين، السرايرية، سوق الحبوب، العوادين وغيرها...، إلا أنها وإن ظلت تحافظ على أسمائها القديمة، إلا أن الأنشطة الحرفية أو التجارية التي اشتهرت بها قد تغيرت وتحولت.

أ - سوق السرايرية

الإسم الجديد لسوق السلاح المرباطي، حيث صار يطلق على سوق السلاح وتوابعها، وهي تسمية حديثة، نشأت بعد ظهور الأسلحة النارية.

ومن خلال هندسته يتبين انتماءه المرباطي، حيث يتميز بضيق أزقته بدل اتساعها في الأسواق الأخرى، مما يدل أن معماره أنشئ على غير تخطيط مدروس، وهو ما يميز أغلب المدن الإسلامية المؤسسة في العصر الوسيط².

أقيم هذا السوق في الجهة الغربية من القلعة المرباطية تآكرارت، وأصبح اليوم يجمع ما بين ورشات النجارة والحدادة.

¹ - محمد اللحية، (1984): مرجع سابق، ص 126.

² - محمد المنوني، (1988): مرجع سابق، ص 25-26.

ب - سوق الحدادين

من أسواق مكناسة المرابطية، موقعه بالحدادين بأعلى جامع النجارين، أنشئ هذا السوق في الجهة الغربية الشمالية من القلعة المرابطية، وبذلك يمكن تحديد موقعه بمحاذاة درب الدلائيين، سمي هذا الموضع قديما دريبة فيرو، وهي مأخوذة من لفظ " فيرو" ¹ الإسبانية التي تعني " الحديد".

ج - سوق النجارين

من أسواق مكناس القديمة بحي النجارين²، أنشئ هذا السوق في الغرب الشمالي للقلعة المرابطية، يوجد ما بين زنقة الصباغين ومسجد النجارين، وكان مختصا في نجارة الخشب، واليوم تحول نشاطه إلى بيع الملابس التقليدية في غياب تام لورشات النجارة، ويتميز هذا السوق باتساع أزقته بخلاف الأسواق الأخرى التي تخترقها أزقة ضيقة.

3-2- العمارة الاقتصادية والنفعية

أولى السلطان مولاي اسماعيل اهتماما كبيرا للعمارة الاقتصادية، بل كانت هذه المرافق من ضمن أولوياته، وهكذا حفلت القصبة الإسماعيلية بالعديد من المباني ذات الوظيفة الاقتصادية النفعية، كان أهمها:

أ - مجموعة هري السواني

تشمل ثلاث مباني أساسية خصصت لخزن المؤن التي تمكن المولى إسماعيل من تجاوز الفترات العصيبة المحتملة، التي قد يمر بها المغرب جراء تمرد بعض القبائل وقطعها الطريق في وجه مصادر التموين، أو السنوات العجاف.

ويقع المخزن الأول المعد على بعد 500 متر جنوب قصر المحنشة³، وهو عبارة عن هري ضخم خصص لخزن الحبوب، وهو مخزن تابع لصهريج السواني.

أما المخزن الثاني فهو ملاصق له لا زال يحتفظ بسقوفه عكس الأول، يصل طوله حوالي 180 متر، وبعرض حوالي 70 متر⁴، ويحتوي على 345 أسطوانة وكان بسطحه برج مخصص لوضع الآلات الحربية⁵.

1 - محمد المنوني، (1988): مرجع سابق، ص 24 - 25.

2 - رقية بلمقدم، 1993، مرجع سابق، ص 129 - 130.

3 BARCUAND, M. (1976), op cit. P 51

4 - مصطفى كنكورة، (2001): مكناس القديمة آليات ووسائل المحافظة والإنقاذ خلال القرن العشرين، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس - سايس، ص 38.

5 - عبد الرحمن ابن زيدان، (1990): مرجع سابق، الجزء الأول، ص 137.

أما الهرم الثالث، فهو هرم السواني الذي يتميز عن سابقه باحتفاظه بسقوفه وكل مكوناته القديمة، وهو عبارة عن مجموعة من القاعات الضيقة بأشكال مختلفة مربعة ومستطيلة، تحيط بقاعة مركزية فسيحة ذات قبة نصف أسطوانية (الصورة رقم 49).

الصورة رقم 49: هرم السواني



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

ب - صهرج السواني (حوض أكدا)

يوجد بالشمال الغربي للأهراء وهو عبارة عن حوض مائي، يعتبر من أكبر منشآت السلطان المولى إسماعيل بالمدينة، يبلغ طوله 300 متر على عرض 150 متر¹، يدخل هذا الصهرج ضمن المرافق المعدة للخرن، وهو عكس الأهراء السابقة، فهو مخصص لخرن المياه وسقي البساتين، فضلا عن توفير حاجيات السلطان والسكان داخل المدينة من الماء في حالة السلم والحرب (الصورة رقم 50)

¹ BARCUCAND, M. (1976), op cit. p117.

الصورة رقم 50: صهريج السواني



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

3-3- الفنادق التقليدية

تضم مكناس القديمة العديد من الفنادق، تنتشر وتتوزع على مستوى المدينة القديمة بناء على مجموعة من الاعتبارات فرضتها خصائص النسيج العمراني للمدن الإسلامية، التي جعلت الفنادق الرفيعة بجوار المسجد الجامع، وتبعد الباقي نحو الهوامش، كما تتأثر بموضع الأبواب الخارجية ومنايع السلع الواردة¹.

أ - فندق كركوش

يقع بحي القرسطون، وينسب إلى أحمد بن ميمون كركوش الخزرجي، الذي حبسه على ولده أبي محمد عبد القادر²، وهو الآن مقفل، بعدما صنف ضمن البنايات الآيلة للسقوط، مساحته 540 م².

ب - فندق الحنة

يقع بسوق الدقاقين، كان عبارة عن خراب، لكن بفضل الإصلاحات الكبيرة التي شهدتها، تحول إلى مركب سوسيو ثقافي، تنظم به الأنشطة الثقافية، ويحتضن مكتبة وقاعة للعروض المسرحية، وقاعة أخرى للقاءات الإجتماعية، وغرف لمبيت الشباب الوافد على المدينة³.

¹ - محمد اللحية، (1984): مرجع سابق، ص 27.

² - نفسه، ص 15.

³ - هشام برودي، (2017): مرجع سابق، ص 73.

ج - فندق السلطان

يوجد في حالة معمارية متدهورة، وبيوته عبارة عن مساكن وضيعة، أو مخازن لسلع تجار سوق البزازين، يقع بسوق السرايرية، مساحته 500 م².

د - فندق النجارين

يقع بسوق النجارين مساحته 600 م²، محاذي للبواب الشرقي لجامع النجارين، يدخل ضمن النطاقات المتجانسة في عمارتها، خاصة وأنه يوجد داخل مجال يعد من أقدم أحياء المدينة، ولا زال قائماً بعد الترميم الذي عرفه، كان يعد خلال القرن التاسع عشر من الفنادق التي تستقبل التجار الوافدين من خارج المدينة¹.

بالإضافة إلى مجموعة من الفنادق التي توجد إما في وضعية متدهورة، أو في وضع آيل للسقوط من قبيل فندق رحبة الزرع القديمة، وفندق قاعة السمن، وغيرها...

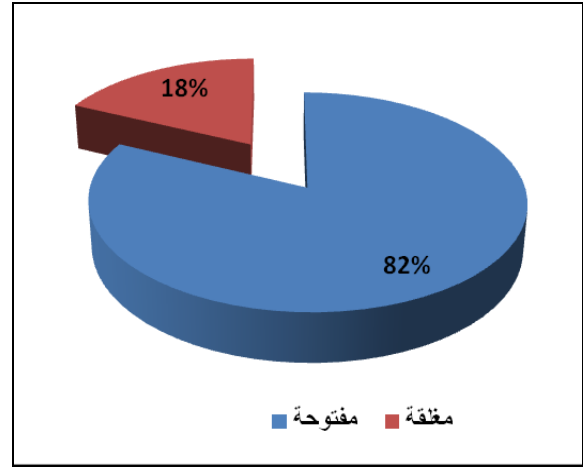
التجار الوافدين على المدينة يقصدون هذه الفنادق للإقامة، وبالتالي فهي تقوم بأدوار التي كانت اجتماعية واقتصادية، أما وضعيتها العقارية فهي تعود للأحباس وتكثريها للخواص، تتعرض هاته الفنادق للتدهور والإهمال وأصبحت في وضعية بنايات آيلة للسقوط، تستغل كمخازن لسلع الباعة المتجولين أو لإيواء المتشردين، ويبلغ عدد الفنادق 18 فندقاً، منها 82 % تؤدي وظيفتها الاعتيادية في حين 18 % مغلقة (الشكل رقم 27).

تعاني هاته الفنادق من تدهور كبير وخطير (الخريطة رقم 28 والشكل رقم 28) جداً، فهي تنتزع بين 52 % في حالة متدهورة، وبالمقابل 12 % في حالة جيدة، و18 % منها آيلة للسقوط، وهو ما يوضح حجم التدهور وشدة الإهمال.

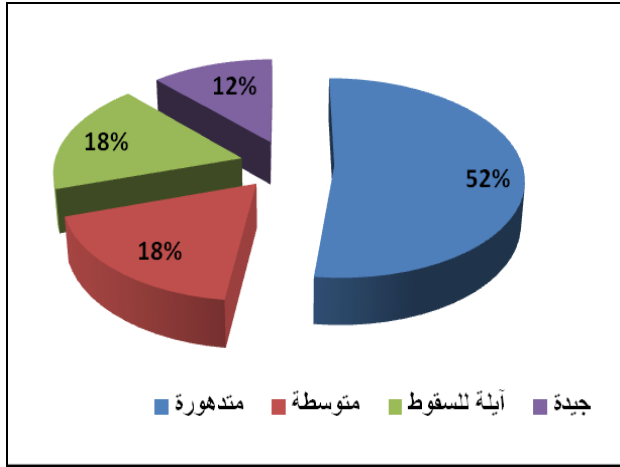
¹- محمد اللحية، (1984): مرجع سابق ذكره، ص، 128.

الشكل رقم 27: وظيفة الفنادق بالمدينة القديمة لمدينة

مكناس



لمدينة مكناس



المصدر: العمل الميداني، 2016.

4-3- الحمامات

يبرز عدد ونوع الحمامات التطور الحضاري والمزدهر للفترة الموحدية، التي كانت خلالها تحتوي المدينة على 3 حمامات، وهي الحمام البالي بمولاي عبد الله بن أحمد، الحمام الجديد بالحي الجديد والحمام الصغير بحي التوتة.

هذه الحمامات لا تزال تلعب دورا مهما للغاية اليوم في المدينة وفي حياة سكانها، إلا أنها تواجه خطر التدهور والانقراض، فقد خضع بعضها للتحويلات كبيرة مثل حمام العود، والبعض الآخر اختفى مثل حمام النجارين سنة 2004.

أ - حمام الحرة أو حمام سيدي عمر أبو عوادة

يعرف هذا الحمام بحمام سيدي عمر أبو عوادة، ويمكن أن تكون الحرة التي أضيفت إليها هي أم أيمن بنت علي البطوي، أم السلطان يعقوب ابن عبد الحق المريني، لأنه كثيرا ما ذكر في الكتب التاريخية بالحرة، أما إضافته اليوم فلأبي عوادة، الوالي الموجود بهذه الجهة¹.

ب - الحمام البالي

يعرف بحمام مولاي عبد الله بن أحمد يقع في حي الكدية، ويحتمل أنه مرابطي التأسيس²، ولا زال هذا الحمام قائما إلى اليوم.

¹ - عبد الرحمان بن زيدان، (1962): مرجع سابق، ص 113.

² - محمد العثماني ابن غازي، (1988): الروض الهتون في أخبار مكناس الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، ص 28.

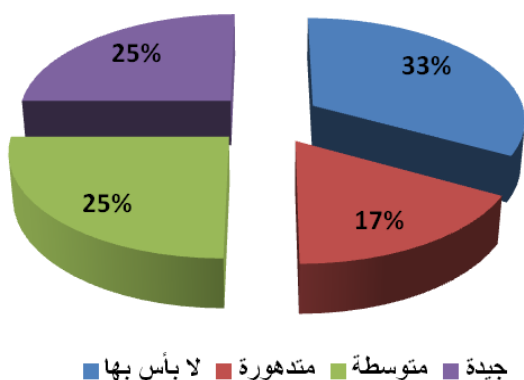
ج - الحمام الجديد

يقع هذا الحمام في الحي الذي يحمل إسمه وهو حي الحمام الجديد ويعرف بهذا الإسم إلى اليوم¹، وقد عرف الترميم والإصلاح شأنه شأن الحمامات الأخرى التي همها ذلك في عهد السلطان مولاي يوسف العلوي².

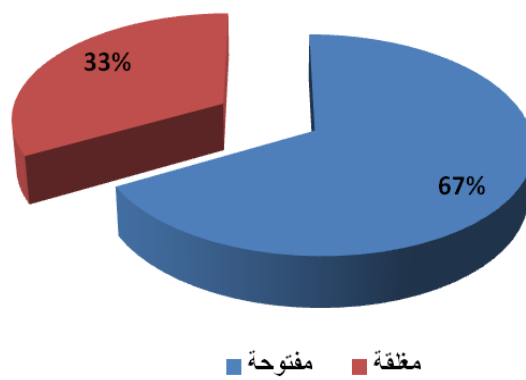
د - حمام المريني

من إنشاء الشيخ أحمد اللحياني الورتاجني، أيام قيامه بمكناسة الزيتون حيث بناه بجوار داره، إلا أنه خرب بعده، ثم بعد ذلك جدد فصار ينسب إليه، ويعرف بحمام المريني³ ويعرف بحمام السوق. يصل عدد الحمامات بالمدينة القديمة 23 حماما، وحسب الشكل 21 تؤدي 67 % منها وظيفتها في حين 33 % مغلقة، نظرا لحالتها الفيزيائية المتدهورة، حيث تصل نسبة الحمامات في وضعية متدهورة حوالي 17 %، بالمقابل 25 % حالتها الفيزيائية متوسطة، و33 % حالتها الفيزيائية جيدة (الشكل رقم 30).

الشكل رقم 30: الحالة الفيزيائية للحمامات بالمدينة القديمة لمكناس



الشكل رقم 29: وظيفة الحمامات بالمدينة القديمة لمكناس



المصدر: العمل الميداني، 2016

3-5- السقايات

تعتبر السقايات منشآت عمرانية إحصانية ذات طابع وقفي تسدى للعموم خدمات مجانية، وتتوفر المدينة القديمة لمكناس على العديد من السقايات العمومية، والتي تساهم في تزويد الساكنة بالماء الشروب، ومن جهة أخرى تأثيث الفضاء وتشكيل المجال بمكون عمراني تتناسق فيه العناصر الجمالية،

¹ - محمد العثماني ابن غازي، (1988): مرجع سابق، ص: 28.

² - عبد الرحمان ابن زيدان، (1990): مرجع سابق، الجزء الأول، ص: 220.

³ - محمد العثماني ابن غازي، (1988): مرجع سابق، ص: 30.

وتتكامل فيه المقومات الإبداعية كالنقش على الخشب والجبس والزليج وغيرها، فبعض السقايات على مستوى هذا المجال تشكل تحفا فنية راقية.

أ - سقاية البيمارستان

تعتبر سقاية مرينية¹، من إنشاء أبي عنان المريني الذي بنى البيمارستان الملتصقة ببابه شمال الداخل إليه، وتندرج ضمن السقايات المتوسطة المسقفة بالورقة والجايضة، وأدخلت عليها عدة إصلاحات في مناسبات مختلفة، تعلوها من أعلى واجهة خشبية مزخرفة.

ب - سقاية الهديم

سقاية نفيسة أبدع الصانع المغربي في زخرفتها بالزليج الفاسي التي جاءت تخاريمه المتسقة وقطعه المتناسقة فتنة للناظرين، ودهشة للمشاهدين، وصفها المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان بقوله " تلك السقاية العجيبة الشكل العديمة المثال التي لم ينسج على منوالها في حاضر الأزمان، ولا في غابرها ناسج، فما شئت من تزويق وتميق، ونقش رقيق، يستلفت الأنظار، ويستوقف الأبصار"²، وهي من بناء السلطان مولاي اسماعيل، وتسمى بسقاية الهديم لإطلالتها على الساحة الحاملة لهذا الاسم، وقد ظلت مهمة حيناً من الدهر إلى أن شملها إصلاح السلطان مولاي يوسف عام 1913م، كما عمل السلطان محمد الخامس على إصلاحها وترميمها، وذلك بتجديدها، وترصيع جدرانها بالفسيفساء وهي الآن غير مشغلة وتحتاج إلى الصيانة والعناية.

ج - سقاية سيدي البراز

توجد السقاية مجاورة لمسجد سيدي أحمد بن خضراء، كان يعرف فيما سبق بمسجد سيدي البراز، وتحل هذه السقاية موقعا استراتيجيا³ بحكم أنها تقع في مفترق الطرق، وتقابلها ميضأت تم إغلاقها منذ أمد بعيد، وهي من السقايات المتوسطة مزخرفة بزليج داخل دائرة قوسها، وسقفها بالورقة والجايضة، ولها أنبوب واحد وكانت في الماضي تمون بماء بوفكران، وعندما تلوث أصبحت تمون بماء تاكما، ويقبل الناس على الاستسقاء منها بوفرة.

يتواجد بمدينة مكناس القديمة 49 سقاية، 73 % من هاته السقايات مغلقة، إما لتدهورها أو اندثارها أو تغيير وظيفتها، في حين 27 % فقط هي التي لازالت تحافظ على وظيفتها (الشكل رقم 31).

¹ - عبد الإله الغزوي، (2007): السقاية المكناسية: تراث عمراني عريق، عن مجلة مكناس تكرارات نشرة تصدر عن جمعية إنقاذ المدينة والمآثر التاريخية بمكناس، العدد 2، يوليو، ص: 10.

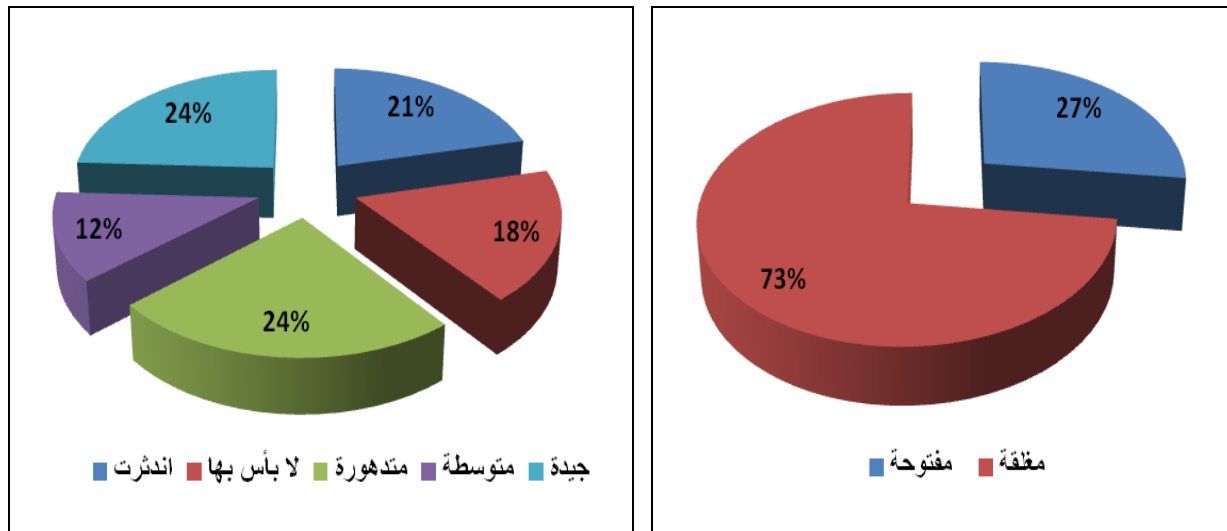
² - نفسه، ص: 11.

³ - نفسه، ص: 10.

تنتشر هذه السقايات بجميع أحياء المدينة القديمة بدون استثناء، وتشكل تحفا فنية غنية بالزخارف، مثل سقاية التوتة وسقاية السبع عنيب، أما السقايات الصغرى مثل الحمام الجديد والشهود وغيرها فهي لا تقل أهمية وروعة.

لسوء الحظ، اختفت العديد من السقايات المصنفة، مثل سقاية سيدي قدور العلمي، وسقاية لالة عائشة العدوية، وسقاية سيدي عبد الله القصري، وآخرها سقاية الصباغين حيث هدمت وأعيد بناؤها؛ ويصل عدد السقايات المندثرة بالمدينة القديمة لمدينة مكناس حوالي 21 %، في حين نجد 24 % حالتها متدهورة، و24 % فقط في حالة جيدة، أما السقايات التي هي في حالة متوسطة وحالة لأبأس به لا تتعدى نسبة 30 % (الخريطة رقم 29، الشكل رقم 32).

الشكل رقم 31: وظيفة السقايات بالمدينة القديمة الشكل رقم 32: الحالة الفيزيائية للسقايات بمدينة مكناس القديمة



المصدر: العمل الميداني، 2016.

3-6- المتاحف بمكناس القديمة

أ - متحف مكناس

يقع بالقرب من ساحة لهديم وباب منصور لعلاج، كان هذا المبنى خلال عهد الحماية عبارة عن محكمة ابتدائية تحمل اسم الجغرافي الشريف الإدريسي، ثم تحول إلى مركز للتوجيه، قبل أن يتحول المبنى سنة 2007 إلى متحف فني تعرض فيه مختلف فنون الحرف التقليدية، ومهارات وإبداعات المنطقة من صناعة الحلبي ومن اللباس التقليدي، وبعض الأواني النحاسية، وبعض الأواني الفخارية وأشكال هندسية خشبية، وبعض التقنيات الفلاحية التي اشتهرت بها منطقة مكناس.

ب - متحف خزف مقدمة الريف

يقع هذا المتحف بالبرج الشمالي الغربي (ابن القارئ)، الذي يعتبر أحد التحصينات العسكرية الأربعة للقصبة الإسماعيلية، وقد تم تدشينه سنة 2002، وتم تحويله إلى متحف خاص للمنتوجات الخزفية.

4- المباني السكنية المهددة بالانهيار بالمدينة القديمة لمدينة مكناس

إن أكبر تهديد تعاني منه المدن القديمة بالمغرب يتجلى في زيادة عدد المباني المهددة بالانهيار، وتعتبر مدينة مكناس القديمة إحدى المدن المتضررة. رغم ما تزخر به مدينة مكناس من تراث معماري تاريخي غني ومتنوع بما فيها السكن، إلا أن هذا الإطار المبني يعاني من تدهور خطير، وأكبر تهديد تعاني منه المدن القديمة يكمن في انهيار المباني التي تشكل خطرا على السكان، وهو ما يشهد عليه توالي سقوط المباني القديمة، مخلفا خسائر مادية وبشرية كبيرة.

بلغت ساكنتها حوالي 517376 نسمة سنة 2014، وعدد بناياتها القديمة حوالي 7200 بناية منها 6550 مخصصة للسكن، 89 % منها من نوع الدار المغربية. ويمكن تقسيم هذه البنايات إلى ثلاثة أصناف معمارية، وهي: الأصل والتقليدي والعصري، ارتبط كل واحد منها بالظروف التاريخية لإنشائه والوسائل التقنية لبنائه، وكذا أساليب تدبيره وصيانته.

يعاني هذا النسيج وهاته الأصناف المعمارية من تدهور كبير خصوصا في الصنف التقليدي، والذي تصل به نسبة التدهور والتهديد بالانهيار إلى 17 %، وتقل نسبة المباني التي هي في حالة جيدة إلى 6.8 %؛ في حين تقل نسبة التدهور في الصنف العصري - التقليدي إلى 1.3 %، وإلى 2.7 % في الصنف العصري، بالمقابل ترتفع نسبة المباني التي هي في وضعية جيدة والتي تصل إلى 17.2 % (الجدول رقم 5).

الجدول رقم 5: الحالة الفيزيائية للمباني بالنسيج العمراني القديم لمدينة مكناس ب %

الحالة الفيزيائية				
المجموع	متدهورة أو مهددة بالانهيار	متوسطة	جيدة	
39	17.2	15	6.8	تقليدي
30.4	1.3	16.8	6.5	عصري - تقليدي
30.3	2.7	10.7	17.2	عصري
100	30.5	42.5	30.5	المجموع

Source : Wilaya de Meknès Tafilalet, Préfecture de Meknès : Constructions menaçant ruine, Rapport, Août 2010.

ونظرا لوجود بنايات عتيقة في هذه المدينة، فإنها تعاني كغيرها من المدن المغربية الأخرى من البنايات الآيلة للسقوط، والتي يصل عددها إلى 3496 بناية في جماعتي المشور الستينية ومكناس¹. وقد أنجز إحصاء أولي شامل للبنايات الآيلة للسقوط سنة 1999، حيث تم تعداد 1548 بناية من هذا النوع تقطنها 2028 أسرة، من بينها 250 بناية داخل المدينة القديمة تضم 374 أسرة، 83 منها تتطلب الإفرار والهدم.

وفي سنة 2003 تم إحصاء ما يقارب 83 بناية تستوجب الهدم والإفرار، ضمت هذه الفئة 60 بناية سكنية، 22 متجرا ومسيدا واحدا، وتأوي 323 أسرة أي ما يقارب 1777 نسمة. وقد تطور هذا العدد سنة 2010 ليصل إلى 3496 بناية منها 1796 تعد حالات مستعجلة (الجدول رقم 6).

الجدول رقم 6: عدد البنايات الآيلة للسقوط في مكناس 2010.

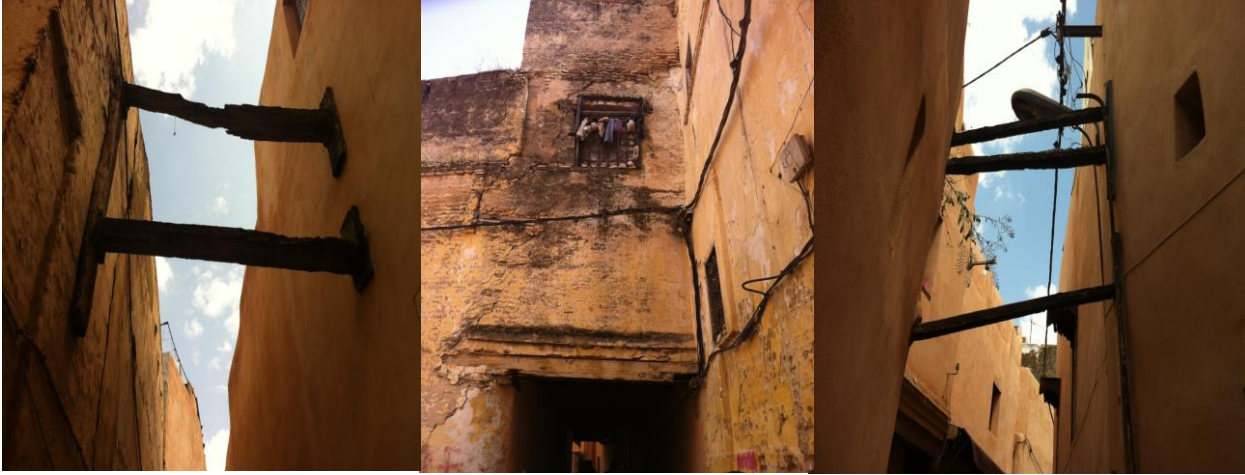
الجماعة	عدد الدور المعاينة	عدد الحالات المستعجلة	عدد الحالات الخاضعة للخبرة
المشور الستينية	412	104	111
مكناس	3084	1692	1000
المجموع	3496	1796	1111

Source : Wilaya de Meknès Tafilalet, Préfecture de Meknès : Constructions menaçant ruine, Rapport, Août 2010.

¹ - مصطفى كنكورة، جواد أبوزيد، (2016): البنايات الآيلة للسقوط بمدينة مكناس القديمة: بين الحد من المخاطر ورد الاعتبار للتراث العمراني، أشغال الدورة السابعة والعشرون للملتقى الثقافي لمدينة صفرو 22-23 أبريل تحت عنوان (التجديد الحضري بالأنسجة العمرانية القديمة)، ص 79.

تعرف هاته الأرقام المتعلقة بالسكن بالانهيار تزايداً مستمراً، خصوصاً مع ضعف التدخلات والبرامج الموجهة لتخفيف من حدة هذه الظاهرة. بالإضافة إلى زيادة عوامل التدهور سواء كانت بشرية أو طبيعية، وهو ما يجعل خطر انهيار المزيد من البنايات وارد في أية لحظة.

الصور رقم 51 و 52 و 53: تدهور المباني وهشاشتها بالمدينة القديمة لمكناس



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

خاتمة الفصل الرابع

تزخر مدينة مكناس بمآثر عمرانية كثيرة ومتنوعة، فباستجلاننا لها يتضح مدى أهميتها وقيمتها الفنية والرمزية، التي بفضلها صنفت مدينة مكناس ضمن المدن التراثية العالمية سنة 1996، وإن كان هذا التصنيف جاء متأخرا شيئا ما بالنظر للقيمة التاريخية والفنية التي تتوفر عليها.

هذا التراث يعتبر مرآة تعكس ماضي المدينة وحاضرها ومستقبلها، مما يساهم في تطوير المدينة وازدهارها على الصعيد المحلي والوطني وكذا الدولي.

فمدينة مكناس تضم في نسيجها القديم، وخصوصا بالقصبة الإسماعيلية وحدات عمرانية، تجمع بين خاصيات المراحل السابقة وإبداعات جديدة وتراكيب حديثة، لتكون بذلك مرحلة هامة في تاريخ المعمار الإسلامي بالمغرب، كما تميزت بطابع الضخامة على مستوى البناء وتكامل النسيج العمراني، فهي تتميز بمنظومتها العمرانية المذهلة والعجيبة، المتجلية في البناء العسكري، كما هو الشأن في التحصينات العسكرية الدفاعية، الممثلة في الأبواب الضخمة والأسوار الشاهقة والأبراج العتيدة، إضافة إلى المساجد والفنادق والسقايات والحمامات وغيرها من المآثر العمرانية.

فباعتبار هذه المدينة مدينة تراثية بامتياز، باستطاعتها أن تلعب دورا هاما في التنمية المحلية لغنى مواردها التراثية، خاصة على المستوى السياحي من خلال تشجيع السياحة الداخلية. فكل هذه المآثر جعلتها تتميز بشخصية خاصة جدا، وبتاريخ عريق يلسمه التجول في أحيائها الأصيلة، إلا أن بريق هذه المآثر التاريخية لم يدم على نفس الحال، إذ تعرض للإهمال والتدهور نتيجة مجموعة من العوامل على مر الزمن ساهمت في اختفاء واندثار مجموعة من المآثر.

فبقدر أهمية الرصيد التاريخي والعمراني لها، بقدر ما نلمس معه مدى الإهمال الذي تعرفه معالمها الأثرية التي اندثر بعضها، بينما أصيب البعض الآخر بتشوّهات، جعلت المدينة تفقد طابعها الأصيل وجزءا من قيمتها التاريخية.

وأمام هذا الوضع أصبح تراث مدينة مكناس بحاجة إلى تدخل عاجل من أجل إنقاذ ما تبقى منه من الضياع، وهذا لن يتأتى إلا بتظافر جهود الهيئات والمؤسسات المسؤولة، وكذا الساكنة والمجتمع المدني، لوضع حد لهذا الإهمال الذي تعرفه مآثر المدينة.

خاتمة الباب الثاني

تتميز مدينتا فاس ومكناس بتراثهما العمراني الغني والمتنوع، فهو يتكون من مختلف المكونات العمرانية الضرورية لإحداث المدينة الإسلامية، وتشمل هذه المرافق:

- التراث العمراني العسكري الذي يتكون من الأسوار والأبراج والأبواب؛
 - التراث العمراني الديني الذي يشمل المساجد والأضرحة والزوايا والمدارس الدينية؛
 - التراث الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، مثل الفنادق، والحمامات، والأسواق، والمدابع، والسقايات،
- وبفضل شكلهما المعماري الأصيل، وإشعاعهما الثقافي والديني، وتنظيم مجالهما المحكم، أحسن نموذج للمدن المتوسطة العربية والإسلامية؛ إلا أن هذه المكانة التي تمثلها المدينتين، أصبحت مهددة بالتراجع نظرا لتدهور إطارهما المعماري، وانحيار العديد من مآثرهما التاريخية، بفعل تراكم عدة عوامل ديمغرافية، واقتصادية واجتماعية تفاقمت منذ بداية الثمانينات.

فقد عرفت المدينتين، كسائر المدن التاريخية الأثرية، تحولات اجتماعية واقتصادية جذرية بدت واضحة، من خلال نمطهما العمراني وتواجههما السكاني، فأصبحت تميزهما كثافات سكانية مرتفعة، وتآزم الوضعية الاجتماعية والاقتصادية، التي أثرت على سير الحياة العامة بهما، فأصبحت مجالا مهما نتيجة تطور عمراني فاشل عرفتهما منذ عقود، فأصبح المنزل المغربي التقليدي داخلهما يأوي العديد من الأسر، هذه الأخيرة بنياتها السوسيو اقتصادية والثقافية جد متواضعة وتعيش ظروف مزرية وأوضاع صعبة داخل هذه المباني، مما أدى إلى الاستغلال المكثف للبناياات السكنية، وبالتالي تدهورها.

إن تثمين الإطار المبني بالنسيج القديم لمدينتي فاس ومكناس، مسألة ضرورية تقتضي الأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والمعمارية والمجالية، وذلك قصد تحسين الواقع الاجتماعي للسكان، وتفعيل وتجديد كل الطاقات المتوفرة لرد الاعتبار لهذا الإطار، الذي يشكل ذاكرة جماعية لكل المغاربة وهوية قومية تتجسد من خلالها.

إن استراتيجيات الفاعلين المحليين الهادفة إلى تحقيق التنمية الترابية، تتطلب تجاوز النظرة واعتماد مقاربة شمولية تشرك الساكنة المحلية ومختلف الفاعلين المعنيين، عبر توفير الشروط والآليات الملائمة لإنجازها وتطبيقها على أرض الواقع.

فهل ستحقق إذن هاته الاستراتيجيات والبرامج الحفاظ على التراث العمراني بالمدينتين ورد الاعتبار لهما كمرحلة أولى، وتحقيق التنمية المحلية باستغلال هذه المؤهلات التراثية كمرحلة ثانية؟

الباب الثالث:

مشاريع رد الاعتبار وتثمين المعالم

التاريخية: أي تنمية للمدينتين

القديمتين فاس ومكناس

مقدمة الباب الثالث

تفتخر دول العالم بتراثها الحضاري، وتتخذ الإجراءات المناسبة للحفاظ عليه بشكل عام، والحفاظ على التراث العمراني بشكل خاص، لأنه يلعب دورا هاما في تحديد هوية المدن والدلالة على أصالتها، فقد أدركت هذه الدول ضرورة استثمار المباني التاريخية، ليس فقط لزيادة الجذب السياحي إليها، ولكن أيضا لمشاركة المواطنين في الاستعمال الذي يضمن استمرارها، ويصبح الأثر بعد ذلك جزءا من المجتمع وليس بناءا أصما، أو تحفة ترمق، أو نصبا تزوره الجماعات والأفراد في المناسبات المختلفة.

وتعد العناية بالتراث العمراني ضرورة وطنية وحضارية، لإبراز هوية المجتمع وعراقة تاريخه؛ ذلك أن التراث العمراني مرجع لأصالة الشعوب، ومصدر لاستلهام الماضي وعبره ودروسه، من أجل صياغة الحاضر والمستقبل. ولا تأتي المحافظة على التراث العمراني من منطلقات عاطفية فحسب، وإنما لها دلالات أعمق تأكيداً لاستمرار تفاعل المجتمع وحيويته، وتمسكه بعناصر هويته ومكامن قوته وتميزه، لذا تنبّهت العديد من الدول إلى ضرورة إحياء مدنها القديمة، والعمل على دمجها في الحياة المعاصرة، وقد كثرت الاجتهادات في هذا المجال.

فقد أصبح رد الاعتبار للمدن التاريخية وإعادة توظيف مآثرها، من ضمن الأولويات الأساسية في سياسات التخطيط الحضري وإعداد التراب الوطني، لأن هذه المدن تعتبر ثروة نادرة، ورد الاعتبار لها يشتمل على هدفين أساسيين: تحسين ظروف السكنى، والحفاظ وتنمية الموروث الثقافي والعمراني.

كما أن اهتمام الدول بترميم مواقعها الأثرية، لا يساهم فقط في حفظ تاريخها، وإنما يساهم أيضا في حماية جزء من التراث العالمي.

وفي هذا السياق سيتناول هذا الباب البرامج والمشاريع، التي برمجت من طرف مختلف الفاعلين على مستوى المدينتين، للحفاظ على التراث العمراني المتواجد بهما، بالإضافة إلى مشاريع إعادة توظيف بعض المآثر التاريخية، والتي كان الهدف منها الحفاظ أولا عليها، وثانيا تحقيق التنمية المحلية لساكنة هذا النسيج.

إذن ما هي المشاريع والبرامج التي تم اعتمادها بداية من تسعينيات القرن الماضي إلى يومنا هذا، بالإضافة إلى المشاريع المستقبلية المبرمجة خلال السنوات المقبلة؟

ثم هل استطاعت مشاريع رد الاعتبار وإعادة توظيف، تحقيق التنمية المنشودة على صعيد

المدينتين؟

الفصل الخامس:

مشاريع وبرامج متعددة للحفاظ على
التراث العمراني بالمدينتين القديمتين
فاس ومكناس

مقدمة الفصل الخامس

يعد الحفاظ على التراث العمراني بمثابة الحفاظ على الهوية، فهو صلة وصل ما بين الماضي والمستقبل. فأغلبية المباني التراثية اليوم توقفت وظيفتها، الشيء الذي أدى إلى إهمالها وتدهورها وبالتالي اندثارها وزوالها.

وقد استأثر موضوع إنقاذ المدن التراثية باهتمام العديد من الباحثين والمختصين والدولة والمجتمع المدني على السواء، مما جعلهم يقترحون أحيانا الإنقاذ وإعادة الهيكلة، وتارة أخرى المحافظة والترميم¹. وتعتبر مدينتا فاس ومكناس، من بين المدن المغربية التي استفادت من مجموعة من البرامج للحد من تدهور تراثهما العمراني والحيلولة دون زواله؛ فقد عرفت المدينتان منذ نهاية القرن الماضي إلى غاية اليوم، مجموعة من البرامج تحت إشراف وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس، بشراكة مع مختلف الفاعلين على المستوى المحلي أو الوطني.

1- مشاريع رد الاعتبار بمدينة فاس

تبلورت فكرة الاهتمام بالتراث المبني ورد الاعتبار لمدينة فاس القديمة، بالنظر لمجموعة من الاعتبارات، نذكر منها:

- إعداد التصميم المديرى الأول للتهيئة الحضرية لفاس، بإيعاز من الأمم المتحدة الإنمائي ما بين 1972-1978 والذي تمت الموافقة عليه سنة 1980؛
- خطاب الملك الراحل الحسن الثاني الذي ألقاه سنة 1980 حول الأهمية التاريخية والتراثية لمدينة فاس وضرورة النهوض بها؛
- إعلان منظمة اليونسكو مدينة فاس تراث إنساني عالمي سنة 1981؛
- إحداث مندوبية إنقاذ مدينة فاس سنة 1982.

1-1 - وثائق ووثائق التخطيط الحضري واستراتيجية الإنقاذ

في سياق رد الاعتبار وإنقاذ مدينة فاس، أنجز عدة دراسات مكنت من تحديد استراتيجيات لعملية رد الاعتبار لها، ومن بين هذه الدراسات:

¹ - محمد حميق، عبد النور صديق، بوهلال عبد السلام، (2014): المدن القديمة بين مخاطر التدهور واستراتيجية المحافظة والإنقاذ حالة مدينة وزان، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز " التراث الحضري والحداثة"، العدد 13- السنة السادسة والثلاثون، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ص 184.

1-1-1 - التصميم الإداري للتهيئة الحضرية

بدأ إعداد أول تصميم إداري لمدينة فاس سنة 1975م، وقد أنجزت الدراسة الخاصة به ما بين 1975 و1978م، إلا أن المصادقة عليه لم تتم إلا في سنة 1995، أي بعد صدور قانون التعمير الجديد لسنة 1992م.

تضمن التصميم جملة من التوجهات والتوصيات بخصوص المدينة العتيقة، كان على رأسها هاجس التخفيف من الكثافة السكانية التي كانت تعرفها المدينة القديمة، حيث تم التأكيد على ضرورة إنجاز عمليات التخفيض من الكثافة، وبرمجة التجهيزات والمرافق العمومية داخل المناطق الفارغة بفعل التخفيض¹.

وقد ركز التصميم في توجهاته على دعم الدينامية الاقتصادية للمدينة القديمة داخل محيطها الحضري، وإنقاذ التراث المبني الذي تزر به، والاهتمام بالجانب البيئي من خلال توطين الأنشطة الملوثة داخل الأسوار وخارجها².

كما رسم هذا التصميم الاختيارات الكبرى لتوجيه النمو الحضري. فيما يخص إنقاذ المدينة القديمة لفاس، فقد أخذ بعين الاعتبار³:

- عدم التأثير على الطابع التاريخي للمدينة القديمة وضرورة المحافظة عليه، بالإضافة إلى التخفيض من الكثافة ورد الاعتبار للمدينة القديمة وأسوارها ومحيطها؛
- تثمين المدينة القديمة وتراثها، والحفاظ على ديناميكيتها الاقتصادية وتطويرها، وعدم عزل الجانب العمراني عن محيطه الاجتماعي والاقتصادي؛
- تشجيع النمو المندمج للمدينة القديمة، من خلال فك العزلة عنها وإدماجها السليم في النسيج الحضري لفاس الكبير، والحفاظ على مركزيتها وقدرتها على الانفتاح على المناطق الأخرى؛
- الحفاظ على البيئة، من خلال ترحيل الأنشطة الملوثة إلى المنطقة الصناعية بعين النقيبي.
- فك العزلة عن المدينة لاندماج أفضل في النسيج الحضري لفاس، بخلق مداخل جديدة للمدينة القديمة، واقتراح شبكة طرقية لتخفيف الضغط على مداخلها، وإعادة تنظيم خطوط النقل الحضري ومحطاته.

¹ - عبد الواحد مهداوي، (2007)، مرجع سابق، ص 213.

² - نفسه، ص 213.

³ - نفسه، ص 213.

1- 1 - 2 - تصميم التهيئة، مساهمة في إنقاذ وإعادة هيكلة المدينة

إذا كان التصميم المديري للتهيئة والتعمير يحدد التوجهات الكبرى المجالية في أفق 25 سنة دون الدخول في تفاصيل البرامج المستقبلية، فإن تصميم التهيئة وثيقة قانونية تبرمج التوسع الحضري، وتنفذ اختيارات التصميم المديري للتهيئة الحضرية ليصبح أداة للتخطيط والتدبير الحضريين. ويأخذ تصميم التهيئة الذي أعد للمدينة القديمة طابع تصميم انقاذ أكثر منه تصميم تهيئة، ومن أهم اختياراته، ما يلي:

- التأكيد على تدبير المحافظة ورد الاعتبار للتراث التاريخي والمعماري كنسق حضري، وذلك على المستوى القانوني؛
 - إقامة بنيات تتعلق بالولوج "مجالاً وتنظيماً"، والمرافق العمومية التي تمكن الخواص من المساهمة في رد الاعتبار للسكن والسكان، وإحياء وإنعاش الأنشطة داخل المدينة القديمة؛
 - الإبقاء على الأنشطة المنسجمة مع التراث التاريخي، الذي يميز به النسق الحضري القديم مع ترحيل الأنشطة الملوثة؛
 - إعادة إدماج المدينة القديمة في التصميم العام للتجمع الحضري دون المساس بخصوصياتها وطابعها، مع تنظيم نقط التبادل فيما بينها وبين الأحياء المجاورة لها؛
 - الحفاظ على البيئة الطبيعية للمناطق المحيطة بالمدينة القديمة.
- كما برمج تصميم التهيئة عدة مناطق للسكن والأنشطة، وأخرى للتجهيزات العمومية والطرق وأماكن وقوف السيارات ومجالات خضراء، واعتمد في تقسيمه للمناطق السكنية على مجموعة من المبادئ، أهمها الجانب التاريخي؛ حيث تم تمييز ثلاث نطاقات لكل واحدة خاصيتها¹:
- المنطقة (M1) منطقة ترميم ومحافظة zone de restauration et de conservation: تتكون من النسق الحضري المتميز بتنظيم أصلي تقليدي، ومستوى مهم من التجهيزات التقليدية وأصالة في القيمة المعمارية للبنىات؛
 - المنطقة (M2): منطقة رد الاعتبار réhabilitation: توجد بها بنايات شبه تقليدية، مكنتها ظروف تكوينها وتطورها من الوصول إلى طابع حضري متكامل ومتناسق كما هو الشأن بالنسبة للمنطقة M1؛

¹- محمد الرفيق، (2012)، مرجع سابق، ص 212.

- المنطقة (M3): منطقة تجديد rénovation تتميز بنسق حضري ليس ذي قيمة تاريخية كبرى ما عدا التجهيزات العمومية التي يجب المحافظة عليها وترميمها.

1-2- وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس (ADER)¹ وأهم محطات مشاريع الإنقاذ

أصبحت مندوبية إنقاذ مدينة فاس منذ سنة 1989 عبارة عن شركة مستقلة تحمل إسم وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس.

بلورت وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس سياسة شراكة وتعاون يراها والي جهة فاس بولمان، عبر إدماج الشركاء المحليين فيما بينهم، وتعلق الأمر بالبلديات والمجالس المحلية، والمندوبيات الوزارية كمندوبية الثقافة والسياحة والصناعة التقليدية؛ إلى جانب ذلك أبرمت الوكالة عدة شراكات دولية مع كل من منظمة اليونسكو، والبنك الدولي، ومؤسسة الأمم المتحدة لتحدي الألفية، ومؤخرا مع مدينة ستراسبورغ.

أعطت الوكالة الانطلاقة لتنفيذ مشاريع كبرى لإنقاذ مدينة فاس القديمة، باعتبارها تراثا للإنسانية جمعاء. وقد شملت هذه المشاريع أبرز مكونات النسيج الحضري القديم لفاس والمتمثلة بالأساس في:

- المباني السكنية: سواء تلك التي لها قيمة فنية أو شخصية تاريخية كدور الأعيان والرياضات؛
- المرافق الاجتماعية: من مدارس تقليدية وحمامات وسقايات؛
- المرافق الدينية: بما فيها المساجد والزوايا والأضرحة والمقابر؛
- البنيات التحتية: الأبواب الرئيسية، وقنوات المياه التقليدية والإنارة العمومية؛
- المسارات السياحية: تحديد المسالك والطرق المؤدية لأبرز معالم المدينة من خلال لوحات وتشيويرات خاصة.

1-2-1 - مرحلة ما بين 1991 - 2011، مرحلة التخفيض من الكثافة وإيقاف النزيف

انصب اهتمام وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس في بداية التسعينات من القرن الماضي، على إشكالية السكن المهدد بالانهيار وأيضا الكثافة السكانية المرتفعة، التي كانت تعد من بين

¹ - ADER: بعد تصنيف المدينة القديمة لفاس تراث عالمي وإنساني كان من الضروري، إحداث هياكل متخصصة للعمل على بلورة استراتيجية شاملة تتناسب مع الخصائص التاريخية، والثقافية، والسوسيو اقتصادية للمدينة القديمة. وفي هذا الصدد تم إحداث مندوبية لإنقاذ فاس سنة 1982م، عهد إليها القيام بالدراسات والأبحاث الخاصة بمشروع رد الاعتبار. وقد أصبحت مندوبية إنقاذ مدينة فاس منذ سنة 1989 عبارة عن شركة مستقلة تحمل إسم وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس لكنها لم تتحرر من وصاية وزارة الداخلية. وللإشارة فقد تم إحداث الوكالة برأسمال قدر ب 5 مليون درهم.

الأسباب الرئيسية وراء تدهور المجال المبني، حيث قدر عدد السكان آنذاك ب 181000 نسمة، منها 146.000 تقطن بفاس البالي، و 35000 بفاس الجديد.

استهدفت هذه المشاريع كما يوضح ذلك الجدول رقم 7:

- ✓ معالجة السكن المهدد بالانهيار؛
 - ✓ تهيئة البنيات التحتية والمرافق العمومية؛
 - ✓ تطوير السياحة والمناظر العمرانية؛
 - ✓ تقوية الصناعة التقليدية، وصيانة وترميم المآثر التاريخية.
- إلى جانب ذلك استهدفت المشاريع أيضا، المعالم التراثية البارزة من دور ذات قيمة تاريخية وفنية ومؤسسات ثقافية ودينية.

الجدول رقم 7: المشاريع المنجزة لرد الاعتبار للنسيج القديم بمدينة فاس ما بين سنتي 1991 و 2011

المشاريع والبرامج	مصادر التمويل	مدة الإنجاز	التكلفة الإجمالية (م د)
السكنى	الجماعة الحضرية لفاس جهة فاس بولمان قرض البنك العالمي الوزارة المكلفة بالسكنى	2008-1993	60,14
البنية التحتية والمرافق	الجماعة الحضرية لفاس قرض البنك العالمي BAD – FADES- RADEEF	2011-1987	438,62
السياحة والمجال الحضري	قرض البنك العالمي الجماعة الحضرية لفاس عمالة فاس	2008-2001	54,99
تقوية إمكانات الصناعة التقليدية	وزارة الصناعة التقليدية العمران – وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس	2005-1994	87,29
المآثر التاريخية	وزارة الثقافة الوزارة المكلفة بالسكنى وزارة الأحياس عمالة فاس إدارة الدفاع الوطني – FADES – المانحين	2008-1989	156,65
مجموع الاستثمارات			797,69

المصدر: وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس، 2015.

ويلاحظ من خلال الجدول رقم 7، أن المشاريع المنجزة خلال هذه المرحلة والتي قاربت 20 سنة، همت مجموعة من مكونات النسيج القديم، كما يلاحظ أيضا تعدد المساهمين والمتدخلين في هذه البرامج، وكذا أهمية الغلاف المالي المرصود لهاته المشاريع والذي يقارب 800 م.د. وقد استطاعت هذه البرامج في إيقاف النزيف والتدهور الذي تعاني منه المدينة القديمة لفاس، وأيضا تحسين المشهد الحضري بها.

1- 2 - 1 - البنيات التحتية والمرافق العمومية

كان الهدف من إنجاز البنيات التحتية والمرافق العمومية، هو تخفيف العبء عن أحياء المدينة القديمة، وتيسير وصول الخدمات العامة في الحالات الطارئة؛ بالإضافة إلى تحسين مستوى المرافق العامة (الجدول رقم 8).

الجدول رقم 8: مشاريع وبرامج البنيات التحتية والمرافق العمومية

المشاريع والبرامج	التكلفة (م) (د)	مصادر التمويل	مدة الإنجاز
شبكات (التطهير، الماء، الكهرباء)	274.33	قرض البنك الدولي، RADEEF, BAD	2006/1987
ترميم الشبكة التقليدية	10	FADES	1996/1993
مدخل بين المدن وواد الزحون	17.89	قرض البنك الدولي	2005/2001
مدخل الرصيف	18.8	عمالة فاس	2011/2009
الطرق الاستعجالية	16.39	قرض البنك الدولي	2005/2001
ترصيف الأزقة	50	بلدية فاس	2010/2005
تنظيم السير	3.71	قرض البنك الدولي	2005/2001
تهيئة ساحة بوجلود	11.34	قرض البنك الدولي	2005/2001
المركب التجاري بوجلود	9	صندوق التجهيز الجماعي	1998/1993
تجديد شبكة الصرف الصحي	3.75	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية	-
تهيئة المركب الرياضي المدرسي البطحاء	6	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية	-
تزليج أزقة المدينة	0.89	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية	-
رد الاعتبار للمدارس	5.77	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية	-
ترميم بريد المغرب بالبطحاء	1.25	بريد المغرب	-
إعادة مركز إدماج المرأة في وضعية صعبة	8.5	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية	-
تجهيزات سوسيو اقتصادية	6.00	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية	-
تغطية واد اشراشر	1	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية	-
المجموع	438.62		-

المصدر: وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس، 2015.

ومن أهم المشاريع والبرامج، يمكن ذكر ما يلي:

أ - تهيئة ساحة بوجلود

تعتبر ساحة بوجلود من أشهر الساحات والمواقع بمدينة فاس، تشبه إلى حد كبير ساحة جامع الفنا بمدينة مراكش. تم البدء في تهيئتها سنة 2002 من طرف الجماعة الحضرية لفاس تحت إشراف وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس بتكلفة مالية بلغت 11.34 مليون درهم، وممولة من طرف قرض من البنك الدولي، وقد انتهت الأشغال بها سنة 2003 (الصورة رقم 54).

الصورة رقم 54: ساحة بوجلود بعد تهيئتها



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

ب - تهيئة مدخل الرصيف وضفتي واد الجواهر

انطلقت عملية تهيئة ساحة الرصيف سنة 2003 من طرف الجماعة الحضرية لفاس، تحت إشراف ودعم تقني لوكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس، وبتكلفة مالية قدرت ب 6.75 مليون درهم، ممولة عن طريق قرض من البنك الدولي، استمرت عملية التهيئة سنتين (2003 و 2004).

كما عرفت الساحة عملية تهيئة ثانية من طرف الجماعة الحضرية لفاس سنة 2009 و 2010، وبتنويل من طرف عمالة فاس وبغلاف مالي قدر ب 18 مليون درهم، وتحت إشراف وكالة التنمية ورد الاعتبار بفاس (الصورة رقم 55).

واندرج ضمن هذه المشاريع أيضا مشروع رد الاعتبار لسوق الرصيف تحسينا للمشهد الحضري، وقد قدرت كلفة الأشغال ب 1.26 مليون درهم، بتمويل من البنك العالمي، وبالمساعدة التقنية للوكالة، ونفذ هذا المشروع سنة 2003.

بالإضافة إلى ذلك تمت تهيئة ضفتي واد الجواهر - الممول من طرف عمالة فاس- ضمن المشاريع الرامية لتحسين البيئة الحضرية في المدينة القديمة؛ يتكامل هذا المشروع مع تهيئة ساحة للايدونة، خاصة في الشق المتعلق بتنقية الواد، وذلك بمبلغ مالي قدر ب 35.6 مليون درهم، وانتهت أشغال التهيئة به سنة 2016، إلا أن تغطيته كما كان مقررا لم تتم بعد (الصورة رقم 56).

الصورة رقم 56: أشغال تهيئة ضفتي واد الجواهر



الصورة رقم 55: ساحة الرصيف بعد تهيئتها



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

1-2 - المشاريع السياحية والمناظر العمرانية

يعد تحسين واجهات الأبنية من الخطوات الأساسية للنهوض بالمشهد الحضري، خاصة وأنها تعد من مكوناته الأساسية، التي تضفي طابعاً خاصاً على المجال المستهدف (الجدول رقم 9). توخت وكالة التخفيض من الكثافة من وراء ذلك، النهوض بالنشاط السياحي داخل النسيج الحضري القديم، وإنعاش الحرف التقليدية.

ومن ضمن المشاريع التي أنجزت في هذا الإطار، مشروع رد الاعتبار لحديقة رياض المقرئ، بتمويل من طرف البنك الدولي ما بين 2003 و2004؛ بالإضافة إلى ترميم ما يناهز عشرة مضاءات أو مراحيض تقليدية، ومنها مضاءة الرصيف، والشرابيلين، والأندلس.

الجدول رقم 9: البرامج والمشاريع السياحية وتحسين المجال الحضري

البرامج والمشاريع	التكلفة (م د)	مصادر التمويل	مدة الإنجاز
تحسين المجال الحضري	3.26	قرض البنك الدولي	2005/2001
رد الاعتبار للمثلث التاريخي (القرويين، مولاي ادريس، سيدي احمد التيجاني)	18	الوزارة المكلفة بالسكنى	2008/2006
تهيئة المسارات السياحية	20.71	قرض البنك الدولي	2005/2001
تقوية المسارات السياحية (الشرط الأول)	10.5	عمالة فاس	2007/2006
تحسين المنظر العمراني للواجهات	1.5	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية	2006
إعادة تهيئة الدور في إطار مشروع (الإقامة عند الساكنة)	0.8	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية	2008
تهيئة المجال الأخضر	0.22	المبادرة الوطنية للتنمية البشرية	2007
المجموع	54.99		

المصدر: وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس، 2015.

كما قامت الوكالة في إطار تنشيط الحركة السياحية بإرساء 700 لوحة للإرشاد السياحي مرفوقة بمجموعة من التفسيرات المختلفة، وعملت على تحديد المسارات السياحية محاولة منها لمقاربة المدينة والإطلاع على إرثها العمراني والمعماري والفني والثقافي، لعملية تجول السياح داخل النسيج القديم. وتتواجد ست مسارات سياحية، كل مسار يتميز بلون خاص وبرزم مصور يشير إلى موضوع وخاصة المسار، وهذه المسارات هي: مسار الأسوار والحصون، ومسار فاس الجديد، ومسار عدوة الأندلس، ومسار القصور والحدائق الأندلسية، ومسار المعالم والأسواق، ومسار الحرف التقليدية.

1- 2 - 1 - 3 - مشاريع ترحيل الصناعات الملوثة بمدينة فاس القديمة

أ- ترحيل الصناعة الملوثة خارج أسوار المدينة القديمة

لم تعد الصناعة التقليدية كما كانت على سابق عهدها آلية من آليات البناء والتعمير، بل أصبحت آلية تخل بجودة الإطار المبني وجودة الحياة، خصوصا الصناعة الملوثة منها؛ كما تساهم في تشويه المشهد السكني الذي ظل متعايشا معها، والذي اقتحمته اليوم وبغف كبير، بإدخال آلات ومواد لم يأخذها مصمموا السكن في الحسبان¹.

¹ - اليزيد حمودني علمي، (2004): التمدين والبيئة الحضرية بمدينة فاس، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرار، فاس، ص 146.

ويعد نقل الحرف الملوثة خارج الأسوار من ضمن الإنجازات الكبرى بالمدينة القديمة لفاس؛ توخى هذا المشروع ترحيل الحرف الملوثة خارج أسوار المدينة القديمة، ومنه مشروع عين النقيبي الذي استهدف نقل أنشطة النحاس الملوثة من ساحة للايدونة وبين المدن وباقي مجالات تموقع صناعة النحاس، إلى عين النقيبي الواقعة شمال شرق مدينة فاس على الضفة اليمنى من وادي الجواهر (الجدول رقم 10). واندرج المشروع المذكور ضمن برنامج الصناعة التقليدية بمدينة فاس، الذي تموله مؤسسة تحدي الألفية بمنحة تصل إلى 5.697 مليون دولار، بموجب اتفاقية بين حكومتي المغرب والولايات المتحدة الأمريكية في 31 غشت 2007، ويتضمن تهيئة وتجهيز منطقة خصصت لمنتجي النحاس الذين يمارسون أعمالهم بساحة لالة يدونة.

الجدول رقم 10: مشاريع وبرامج الصناعة التقليدية

مدة الإنجاز	مصادر التمويل	التكلفة (م د)	
2005/1994	صندوق الحسن الثاني، الجماعة الحضرية لفاس، وزارة الصناعة التقليدية، ADER، المستفيدون	20.93	ترحيل الأنشطة الملوثة لقطاع النحاس إلى عين النقيبي
2005/2001	صندوق الحسن الثاني، الجماعة الحضرية لفاس، وزارة الصناعة التقليدية، جهة فاس بولمان، المستفيدون	23.19	ترحيل أنشطة الفخارين إلى بن جليق
2005/1987	وزارة الصناعة التقليدية، غرفة الصناعة التقليدية، اليونسكو، عمالة فاس، وزارة التعاون الألمانية	40.17	مشاريع وتدخلات مختلفة في قطاع الصناعة التقليدية
		87.29	المجموع

المصدر: وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس، 2015.

أعد الحي الصناعي عين النقيبي الواقع على بعد 4 كلم من مدينة فاس، لاستقبال وحدات إنتاج النحاسيات المرحلة من ساحة للايدونة، والدباغة المرحلة من الزنجفور، بهدف حماية المدينة القديمة من التدهور البيئي، وحماية واد سبو من التلوث الناتج عن الصناعات التقليدية الملوثة. أقيم على مساحة تتجاوز 6 هكتار، بتكلفة إجمالية بلغت 332.53 مليون درهم، منها 139.82 ممنوحة من طرف البرنامج الأمريكي لتحدي الألفية.

استفاد من هذا الحي الحرفيون الذين كانوا يشتغلون بالفنادق الكائنة بساحة للايدونة. أما الحرفيون المعروفون بصناع المناولة والذين يعملون بباقي فنادق المدينة (حوالي 26 فندقا)، فقد أجريت عملية توزيع مفاتيح المحلات الجديدة عليهم في دجنبر 2016 والتي اكتمل بناؤها بحي عين النقيبي.

ب- تهيئة ساحة للايدونة

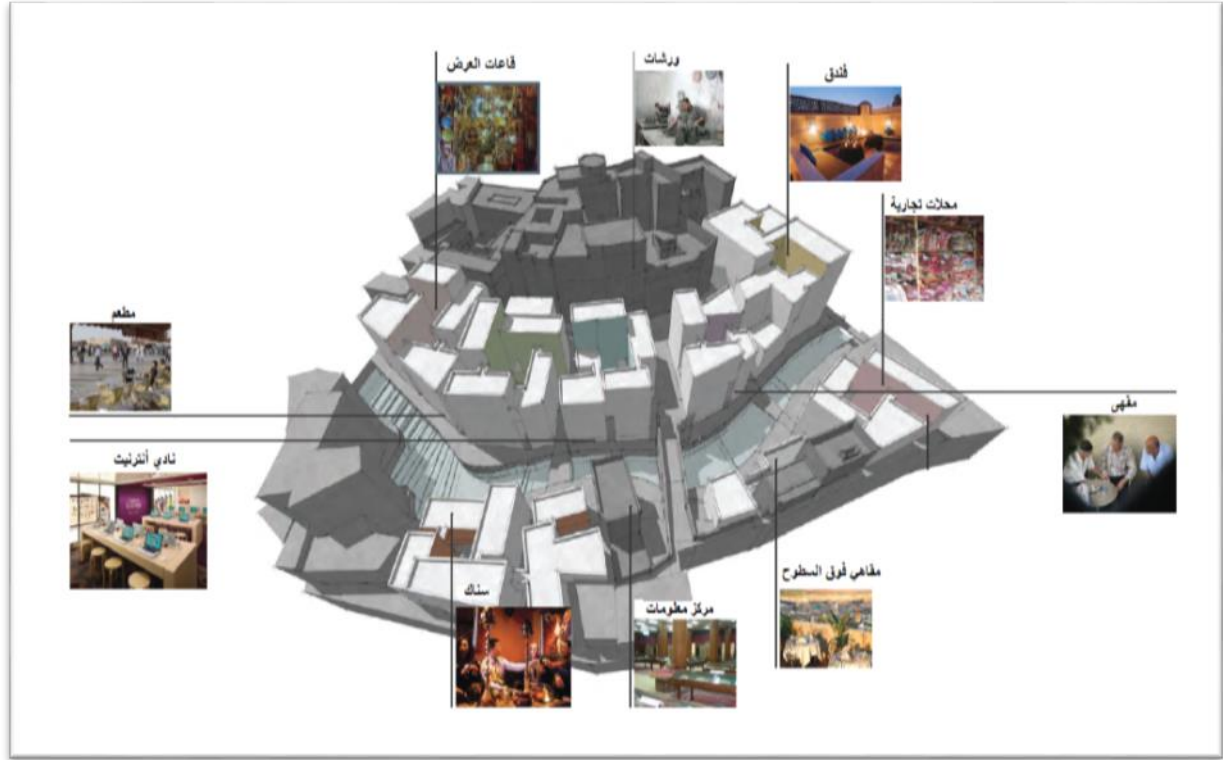
تصل مساحة للايدونة 7000 متر مربع، تتواجد بموقع استراتيجي يضم مباني تراثية ذات قيمة تاريخية ومعمارية، من قبيل المدارس والجوامع والفنادق، ما يعزز أهميتها التراثية والتاريخية، ويكرس ضرورة الاهتمام بها لصالح النسيج الحضري القديم لفاس بكل مكوناته المعمارية والعمرانية.

وقعت في 31 غشت 2007 بين مؤسسة تحدي الألفية الأمريكية والحكومة المغربية (اتفاقية شراكة لتمويل مشروع للايدونة بتكلفة مالية 322.32 مليون درهم) المنضوية تحت مشروع شامل للنهوض بالصناعة التقليدية في مدينة فاس، فيما تولت وكالة التنمية ورد الإعتبار مهمة الإشراف والتنسيق. بدأت الأشغال بالساحة سنة 2014، وتوخى هذا المشروع تحقيق الأهداف التالية:

- النهوض بالصناعة التقليدية وتحسين أساليب الإنتاج؛
 - الارتقاء بالتراث المادي وتجديد المواقع ذات الأهمية الاستراتيجية، من قبيل المواقع التراثية والمعمارية في أفق تحسين المشهد الحضري؛
 - تنويع العرض السياحي واستقطاب السياح بمنطقة بين لمدن¹.
- أدرجت ساحة للايدونة ضمن قائمة المزارات السياحية، التي بإمكان السياح ولوجها واستكشاف عرضها السياحي، حيث تضم فندقا مصنفا ومطاعم، ومحلات لعرض منتجات الصناعة التقليدية ومراكز للمعلومات. وتوخى هذا المشروع النهوض بالمشهد الحضري وتحسين صورة المدينة لدى ساكنتها وزوارها وإغناء الإشعاع السياحي وتحقيق التنمية في مدينة فاس ككل (الشكل رقم 33).

¹ - ADER-Fès, (2013): Lala Ydouna, Description du projet. Gouvernement du Royaume du Maroc. p 2.

الشكل رقم 33: الأنشطة المرتقب إحداثها بساحة للايدونة بعد عملية ترحيل الصناعات النحاسية الملوثة



المصدر: وكالة التنمية ورد الإعتبار لفاس، 2015.

1- 2 - 1 - 4 - مشاريع وبرامج رد الاعتبار للمآثر التاريخية

يعد تنمين المساجد والأسوار، والمدارس العتيقة باعتبارها موارد تراثية ورافعة أساسية للتنمية، وبلغ عدد المعالم التراثية التي شملت مشاريع الترميم ورد الاعتبار حوالي 18 معلمة (الجدول رقم 11). تتميز تمويل هذه المآثر بانخراط ممولين خواص فعلى سبيل المثال تولت عائلة مزيان بنجلون مهمة تمويل مشروع ترميم ورد الاعتبار للمدرسة البوعنانية سنة 2004، والتي تمت تحت إشراف وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس، فيما تم ترميم مدرسة الشراطين بين سنتي 2006 و2007 بتمويل من عائلة الهروشي قدر ب 6 مليون درهم. ومن ضمن المشاريع الكبرى أيضا التي أنجزت في هذا الإطار وبإشراف وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس، مشروع ترميم جامع القرويين بين سنتي 2006 و2008 بكلفة مالية بلغت 3.1 مليون درهم.

الجدول رقم 11: مشاريع وبرامج رد الاعتبار للمآثر التاريخية

مدة الإنجاز	مصادر التمويل	التكلفة (مليون درهم)	
1996/1990	صندوق محمد كريم العمراني	18	مجمع النجارين
2005/200	صندوق مزيان بنجلون	10	المدرسة البوعنانية
1998	عائلة التيجاني	4	سيدي أحمد التيجاني
2000/1998	وزارة الأوقاف	13	جامع الأندلس
2004/2002	وزارة الثقافة	3.5	ترميم مكتبة القرويين
1998/1993	الحكومة الإيطالية/اليونيسكو	5	ترميم دار اعديل
2005/2003	إدارة الدفاع الوطني	7	ترميم البرج الجنوبي
2005/2003	إدارة الدفاع الوطني	8	ترميم البرج الشمالي
2002/200	وزارة الثقافة	1.62	ترميم دار البطحاء (المتحف)
1998/1997	جمعية ترميم المعابد	1	ترميم بيعة بندنان
1993/1992	ملكة النرويج/ADER	0.68	ترميم دار المؤقت
1998/1996	FADES	9.45	ترميم مركب باب الماكينة
1991/1989	البنك الشعبي	3	ترميم باب المحروق
2007/2005	وزارة الأوقاف	20	ترميم جامع القرويين
2007/2006	وزارة السكنى	6	ترميم مدرسة الشرطين
2008/2006	FADES	8.5	ترميم مدرسة العطارين
2008/2007	عمالة فاس	33.4	ترميم الأسوار التاريخية (الشرط الأول)
		156.65	المجموع

المصدر: وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس، 2015.

يلاحظ من خلال الجدول رقم 11، العدد المهم للمآثر العمرانية التي تم ترميمها خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1990 و2008، وكذا أهمية الغلاف المالي الذي قارب 160 م د؛ كما يلاحظ تنوع وتعدد المتدخلين بين القطاع العام والقطاع الخاص، وخصوصا بعض العائلات المغربية.

أ- ترميم ورد الاعتبار لمجموعة النجارين

تم ترميم ورد الاعتبار لمجموعة النجارين (السقاية، السوق، الفندق)، من طرف السيد محمد كريم العمراني، الذي قام بتمويل المشروع سنة 1996 تحت إشراف وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس، على أساس أن تستفيد مؤسسة كريم العمراني من عائدات المشروع، الذي تحول إلى متحف لفنون الخشب سنة 1998. وقد بلغت قيمة التمويل 18 مليون درهم، وتولت إدارته شركة معمار إيكوريس.

ب - ترميم الأسوار التاريخية بمدينة فاس القديمة

عرف المظهر العام للأسوار التاريخية عدة تشوهات بسبب ممارسة مجموعة من الأنشطة التجارية بجوارها، مما جعلها عرضة للتخريب والضياع، إضافة إلى تواجد مواقف الحافلات والسيارات¹ أو ما فتح فيها من أعشاش أو حوانيت، بجوار باب الفتوح أو باب سيدي بوجيدة، كما فتحت فيها أبواب جديدة لتسهيل مرور السيارات في ساحة بوجلود وباب الحمراء على سبيل المثال، وأصبحت تستغل مرافق أهم الأبواب كباب السمارين وباب الفتوح وباب الكيسة كمقرات للأمن والسكن.

بالإضافة إلى المنازل الملاصقة للأسوار، والتي تتمركز بالخصوص بمحاذاة السور الشرقي من فاس الجديد قرب باب الجياف، وباب الحديد في حي الزيات وباب سيدي بوجيدة وباب المحروق²، حيث تتسبب في ظهور بعض التشققات الخطيرة، بسبب عدم تلأئم مواد البناء العصرية مع الطابية التقليدية للأسوار.

تم ترميم هذه الأسوار من طرف عمالة فاس بمساعدة وإشراف تقني لوكالة التخفيض من الكثافة السكانية وإنقاذ فاس، بغلاف مالي إجمالي 33.4 مليون درهم على جزئين، هم الجزء الأول مسافة 9026 متر، في حين وصل طولها في الجزء الثاني حوالي 6157 متر، انطلقت الأشغال سنة 2007 وانتهت سنة 2010.

وهمت الأعمال المنجزة، تقوية الأجزاء المتداعية، وتقوية الأساسات، بالإضافة إلى التبليط، والشرفات وممرات المراقبة، ويتجلى الهدف من الإصلاحات في رد الاعتبار لمدينة فاس وتقوية نسيجها العمراني التراثي.

ج - ترميم باب المحروق

يعد باب المحروق من أهم الأبواب بالمدينة القديمة لفاس، نظرا لحمولته التاريخية، ثم ترميمه بهبة مالية من البنك الشعبي قدرت ب 3 مليون درهم سنة 1989، وانتهت الأشغال به سنة 1991 تحت إشراف وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ فاس. ورغم إنتهاء أشغال ترميمه وإعطائه حلة جديدة ورائعة إلا أنه لم يفتح أمام الزوار.

¹- منير أقصيبي، (2009): ترميم أسوار مدينة فاس بين أصول الفن وإكراهات الواقع مجلة التراث المغربي/ العدد 2، ص 11.

²- نفس المرجع السابق، ص 12.

1-2-1-5- عملية رد الاعتبار بالمدينة القديمة فاس خلال مرحلة 1991 - 2011، أي

حصيلة

مكننت عملية رد الاعتبار بالمدينة القديمة خلال هذه المرحلة من:

- تحسين الظروف الصحية وتوفير السلامة في المدينة القديمة (ترصيف الطرق والإنارة العمومية، وتدبير النفايات الصلبة وتوفير مواقف وقوف السيارات، ثم تحسين البيئة المعيشة، وتعزيز قيمة العقارات)؛
- المحافظة على المباني التاريخية والثقافية للمدينة القديمة منها الدور العريقة والمؤسسات الدينية؛
- التخفيف من حدة الفقر، عن طريق توفير فرص الشغل؛ إذ تشير التقديرات إلى أن عدد مناصب الشغل التي وفرتها المشاريع بلغ 10 آلاف منصب شغل موزعة على الشكل التالي: البناء غير الرسمي وخدمات الدعم لعمليات البناء، حيث أن 50 % من المهن تطلبت مهارة أقل، وتوظيف بعض العمال الذين كانوا عاطلين عن العمل؛
- صيانة المجال المبني من خلال تدعيم البنايات المتهاكة؛
- هدم الخرب التي شكلت نقطا سوداء داخل المدينة؛
- إلا أن هذه المشاريع كانت لها انعكاسات سلبية تجلت أساسا في:
- تدهور النسيج العتيق؛
- إدخال تحسينات على الطرق على حساب بعض المباني ذات القيمة التاريخية؛
- هدم المباني التي تعيق عملية المرور على طول شبكة التدخلات الاستعجالية مع إجراء تعديلات طفيفة؛
- تحول الدعامات الخشبية إلى عامل يعيق الأنشطة اليومية للساكنة.

1-2-1-6 - برامج التدخل لمعالجة البنايات السكنية المهددة بالانهيار بالنسيج العمراني

القديم لمدينة فاس

أ- الفاعلون المتدخلون

تمت معالجة المباني المهددة بالانهيار بالنسيج العمراني القديم بمدينة فاس، تحت إشراف وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس، في إطار برنامج شمولي هدف إلى رد الاعتبار لهذه المدينة. وتضمن هذا البرنامج مجموعة من المشاريع، توخت الحفاظ على الطابع التاريخي للمدينة.

لذلك فإن معالجة ظاهرة البناء المهدد بالانهيار بالنسيج التاريخي، كانت موضوع اتفاقيات مبرمة بين وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية، وعمالة فاس والمجلس الجماعي لفاس وجماعة المشور فاس الجديد، ووكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس.

ب- الاتفاقيات المتعلقة ببرنامج معالجة البناء المهدد بالانهيار

- بالنسبة للمقاطعة الحضرية فاس المدينة

- اتفاقية شراكة من أجل تمويل برنامج معالجة البنايات المهدة بالانهيار بفاس المدينة وإنجاز التجهيزات الأساسية بمنطقة القرويين- ضريح مولاي ادريس - الزاوية التيجانية الموقعة في شتنبر 2004؛
- اتفاقية مارس 2007 من أجل تمويل برنامج معالجة إشكالية البنايات المهدة بالانهيار بفاس المدينة وملحقها التعديلي في فبراير 2009.

- بخصوص المقاطعة الحضرية المشور فاس الجديد

- اتفاقية شراكة من أجل الاضطلاع ببرنامج أولي لمعالجة أوضاع البنايات المتدهورة المهدة بالانهيار بجماعة المشور فاس الجديد في ماي 2002؛
- اتفاقية شتنبر 2004 من أجل تمويل برنامج معالجة إشكالية البنايات المهدة بالانهيار بالجماعة الحضرية المشور فاس الجديد؛
- اتفاقية مارس 2007 من أجل تمويل برنامج معالجة إشكالية البنايات المهدة بالانهيار بالجماعة الحضرية المشور فاس الجديد وملحقها التعديلي في فبراير 2009.

ج- استراتيجية التدخل لمعالجة المباني المهدة بالانهيار بالنسيج العتيق لفاس ما بين سنتي

1993 - 2012

ارتكزت استراتيجية معالجة إشكالية المباني المهدة بالانهيار بالنسيج العتيق بمدينة فاس، على مجموعة من المحاور الأساسية، تلخصت في:

❖ **التدخل الاستعجالي:** هم المباني التي على وشك الانهيار من أجل درء الخطر عن السكان والمجال العمومي بشكل عام، وتم هذا النوع من التدخل بشكل فوري، لتدعيم أو هدم الأجزاء المهدة بالانهيار، مع إزالة الأتربة والبقايا الناتجة عن هذه العمليات.

❖ **التدخل بواسطة برنامج المساعدة بنسبة 50 %:** برنامج تساعد به الدولة سكان النسيج العتيق بنصف أتعاب الترميم، مع إعفائهم من تكاليف الدراسات والخبرة، وهم كل مباني الملك الخاص.

❖ **التدخل بواسطة برنامج المساعدة بنسبة 100 %:** وهو برنامج قامت فيه الدولة بتقوية هياكل المباني المهددة بالانهيار التي امتنع مالكوها عن تقويتها بواسطة برنامج المساعدة 50 % سواء الغائبين منهم أو الحاضرين، مع إعداد لوائح لهؤلاء المالكين قصد تمكين المصالح الجماعية من القيام بالإجراءات القانونية تجاه أصحاب البنايات المعنية.

ويوضح الجدول الموالي طبيعة التدخلات.

الجدول رقم 12: برامج التدخل لمعالجة المباني المهددة بالانهيار بالمدينة القديمة بفاس فيما بين سنتي 1993 و 2012

المجموع	2012 - 2004		2004 - 1993	طبيعة التدخل
	اتفاقية 2007	اتفاقية 2004		
1886	402	1484	-	التدعيم والتدخلات الاستعجالية
140	133	07	-	الاعانة ب 50%
462	178	27	257	التدخل 100%
134	-	-	134	الاعانة ب 30%
132	-	-	132	إصلاح السقوف
50			50	تنقية الخرب
2804	713	1518	573	المجموع

المصدر: وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس، 2015.

بلغت تكلفة البرامج حوالي 129.46 مليون درهم مولت من طرف وزارة الإسكان ووكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس، وبلغ عدد العمليات حوالي 2804 خلال الفترة الممتدة بين 1993 و 2012. واهتمت هذه التدخلات بالإضافة إلى الإعانات المقدمة (50% أو 30% أو في إطار التدخل ب 100%) أيضا إصلاح السقوف وتنقية الخرب.

1-2-1-7- برامج التدخل في المباني المهددة بالانهيار خلال المرحلة 2013-2017

امتد العمل بهذا البرنامج من 2013 إلى 2017، وبلغت تكاليفه المالية حوالي 330 مليون درهم؛ شارك في تمويله كل من وزارة الداخلية (110 مليون درهم)، ووزارة الاقتصاد والمالية (110 مليون درهم) ووزارة السكنى (110 مليون درهم)، واعتمد على آليتين للتتبع والتقييم ترأسها وزير السكنى الذي هتم بصرف الاعتماد. كما تم اعتماد لجنة محلية ترأسها والي الجهة، الذي أشرف على إنجاز المشاريع وإعداد

تقارير سنوية حول تقدم الأشغال. وقد تم إسناد مهمة صاحب المشروع المنتدب لوكالة التنمية ورد الاعتبار لفاس التي أشرفت على إنجاز الأشغال.

أما نوعية التدخل في هذا البرنامج فكانت على الشكل التالي:

- الدراسات والتأطير التقني؛
- إعانة الإصلاح بنسبة 50 % لفائدة 1586 بناية؛
- هدم 143 بناية؛
- التدخل المباشر بنسبة 100 % لفائدة 300 بناية؛
- التدخل في 1937 بناية مصنفة ضمن الدرجة الثانية والثالثة من الخطورة.

1-2-2 - برامج ومشاريع التدخل 2013-2017 بالنسيج العمراني القديم بمدينة فاس

1-2-2-1 - مكونات برنامج 2013-2017 لرد الاعتبار للنسيج العمراني القديم بفاس

شكلت مرحلة 2013-2017 الشراكة الوطنية الموسعة من خلال الاتفاقيتين اللتين وقعتا خلال شهر مارس الماضي بكلفة وصلت إلى 616 مليون درهم. همت الأولى التدخل لإنقاذ المباني المهددة بالانهيار بكلفة تقدر ب 330 مليون درهم، بينما هدفت الاتفاقية الثانية إلى ترميم المعالم التاريخية بكلفة 285.5 مليون درهم.

هم هذا البرنامج ترميم المعالم التاريخية، وبرنامج معالجة البناء المهدد بالانهيار بالنسيج التاريخي لمدينة فاس، الذي خصص لهما غلاف مالي فاق 615 مليون درهم، وامتد على خمس سنوات، وشمل ترميم 27 معلمة من المعالم والمآثر الحضارية والمواقع التاريخية داخل الأسوار، بالإضافة إلى معالجة التدهور الذي طال حوالي 4000 بناية مهددة بالانهيار، من بينها 1729 كانت في مراحل متقدمة من التدهور والتردي، بالإضافة إلى ترميم مجموعة من المدايح التقليدية، والقناطر، والفنادق، والمدارس القديمة، التي يعود تاريخ بنائها إلى القرنين 13 و 14م.

ارتكز هذا البرنامج على إنقاذ مآثر فاس التاريخية والعمرانية، وفق مقاربة مندمجة اهتمت بالنسيج العمراني القديم في شموليته، سواء تعلق الأمر بالبنايات التاريخية أو بالفضاء الحضري بكل مكوناته، الأسوار والمواقع التاريخية، والتجهيزات الأساسية، والأسواق التاريخية، والمدارات السياحية.

1- 2 - 2 - 2 - ترميم ورد الاعتبار للفنادق 2013-2017

شيدت بمدينة فاس على مر القرون الماضية العشرات من الفنادق القديمة المعمولة للدواب والبشر وحتى للعيش الدائم بالنسبة لبعض الأشخاص، إلا أن عددا كبيرا منها أصبح في وضعية جد متدهورة بل إن البعض منها تحول إلى أطلال، وهو ما جعلها تحظى باهتمام خاص بالترميم ورد الاعتبار خلال البرنامج الأخير ل 27 معلمة، ومنها على الخصوص فنادق أعشيش والقطانين والصاغة. وعملت في هذا الإطار وكالة التنمية ورد الاعتبار بمدينة فاس، على ترميم هذه الفنادق خلال الفترة الممتدة من 2014 إلى 2016 بتمويل من طرف الحكومة المغربية قدرت تكلفتها حوالي 41.85 مليون درهم.

1- 2 - 2 - 3 - ترميم ورد الاعتبار للمدارس العتيقة بفاس 2013-2017

أضحت العديد من المدارس العتيقة التاريخية في فاس بحاجة ماسة إلى عمليات ترميم بسبب تآكل مكونات بنائياتها، وعلى الرغم من بدء عملية إصلاحها وترميمها، إلا أن العديد منها لازال مغلقا بسبب تداعي بنيانها.

خضعت هذه المدارس لعمليات ترميم وتجديد وإعادة تأهيل واسعة في إطار برنامج ترميم وإعادة تأهيل المآثر التاريخية للمدينة القديمة بفاس، ومنها خمسة مدارس عتيقة، وهي المدرسة المحمدية، ومدرسة الصهريج، ومدرسة الصباغين، ومدرسة الصفارين، ومدرسة المصباحية. وقد بلغت تكلفة ترميم هاته المدارس الخمس حوالي 69.58 مليون درهم، بتمويل من الحكومة المغربية، واستمرت عملية الأشغال خلال الفترة ما بين 2014-2016.

1- 2 - 2 - 4 - ترميم الأبراج والأسوار التاريخية 2013-2017

اندرجت عملية ترميم وصيانة هذه الأبراج والأسوار في إطار برنامج ترميم المعالم التاريخية بالمدينة القديمة لفاس، بالنظر إلى الأهمية التاريخية لهاته الأسوار والأبراج، والتي تشهد على حقبة مختلفة من حكم المغرب.

تطلبت هذه العملية تعبئة موارد مالية مهمة، بالإضافة إلى العديد من المتدخلين والشركاء، من بينهم الطبوغرافيين والمؤرخين سواء على الصعيد المحلي أو الوطني وحتى الدولي.

وبلغت التكلفة المالية التي رصدت لتمويل عمليات ترميم هذه المواقع والفضاءات التاريخية 29.47 مليون درهم، واهتمت الأشغال تدعيم وتقوية البناءات، والعمل على صيانة هذه المآثر ورد الاعتبار لها، مع تأهيل جنباتها وفضاءاتها الخارجية وإقامة المنشآت الخاصة (الصورة رقم 57).

الصورة رقم 57: برج الكوكب بعد الترميم



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

كما خضعت مقاطع من الأسوار، لعمليات ترميم وصيانة واسعة، همت بالأساس موقع جنان الدردار، وسور باب الماكينة الذي يعتبر أحد مكونات منطقة المشور، وقد بلغت تكلفة هذه المشاريع 4.2 مليون درهم مولت من طرف الحكومة المغربية، واستغرقت فترة الإنجاز ما بين 2014 و 2016.

1- 2 - 2 - 5 - ترميم الأسواق 2013-2017

شملت عملية ترميم الأسواق في إطار برنامج 2013-2017، ترميم سوق الصباغين الخاص بحرفة الدباغة، الذي اشتهر بأرضيته الملونة، والتي نتجت عن الألوان التي يستعملها الصباغون على البلاط؛ قدرت تكلفة ترميمه بحوالي 7.2 مليون درهم، وابتدأت به الأشغال سنة 2014 وانتهت سنة 2016.

كما تم ترميم جزء من قيسارية الكفاح (الصورة رقم 58)، بتكلفة مالية بلغت حوالي 7.1 مليون درهم، خلال الفترة الممتدة بين 2014 و 2016.

الصورة رقم 58: قيسارية الكفاح



المصدر: تصوير شخصي، 2016.

1- 2 - 2 - 6 - ترميم المدابغ 2017-2013

اندرجت عملية إعادة ترميم المدابغ التقليدية بالمدينة القديمة لمدينة فاس، وهي مدبغة سيدي موسى، ومدبغة عين أزيلتن، ودار الدبغ شوارة، التي عاد إليها الدباغون، لممارسة أعمالهم بعد فترة توقف فسحت المجال أمام عملية الإصلاح.

تمت عملية الترميم من طرف وكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس، بتمويل من طرف الدولة المغربية بمبلغ مالي وصل إلى 75.37 مليون درهم، وذلك خلال الفترة الممتدة من 2014 إلى 2016.

1- 2 - 2 - 7 - ترميم مكتبة القرويين 2017-2013

خضعت مكتبة القرويين لعملية ترميم، بعد أن تضررت المخطوطات الثمينة التي تعود إلى القرن السابع الميلادي بفعل الرطوبة، وبلغت كلفة الترميم حوالي 8.5 مليون درهم، وامتدت فترة إنجاز أشغال الترميم ما بين 2014-2016.

1- 2 - 3 - برامج ومشاريع التدخل 2018 - 2022 بالنسيج العمراني القديم بمدينة فاس

1- 3 - 2 - 1 - مكونات برامج التدخل في مرحلة 2018-2022 بالنسيج العمراني القديم بمدينة

فاس

تتدرج هذه المشاريع في إطار البرنامج التكميلي لتنشيط المدينة القديمة لفاس 2018-2023، الذي يعبئ استثمارات بقيمة 583 مليون درهم. يعتبر هذا المشروع ورشا مفتوحا للمحافظة على جزء ثمين من التراث الوطني، يشمل ترميم 11 موقعا تاريخيا، و10 أماكن للعبادة، و37 مكانا للاستجمام، وإعادة تأهيل

39 موقعا تاريخيا للأنشطة الاقتصادية والصناعة التقليدية، بالإضافة إلى تحسين المشهد العمراني للإطار المبني، وكذا ترميم دار الماكينة (الجدول رقم 13).

كما يتعزز هذا البرنامج بمشاريع تهم تهيئة مواقف السيارات ورد الاعتبار للمجالات العمومية ووضع نظام تعريفي للمدينة العتيقة لفاس. كما ينضاف إليها الشطر الثالث لبرنامج المباني الآيلة للسقوط.

وتروم هذه البرامج المستقبلية، بالنظر إلى قيمة مكوناتها وأهميتها داخل النسيج العمراني القديم بمدينة فاس، تحسين ظروف عيش ساكنة المدن العتيقة والمحافظة على الموروث العمراني، المادي واللامادي، والنهوض بثرائها الثقافي الأصيل.

الجدول رقم 13: المشاريع والبرامج المقترحة خلال الفترة الممتدة بين 2018-2022

السنة الخامسة	السنة الرابعة	السنة الثالثة	السنة الثانية	السنة الأولى	الميزانية ب م د	العدد	المشاريع والبرامج
23	32	32	12	7	106	10	المعالم التاريخية والأماكن الرمزية
16	30	30	10	5	91	15	أماكن العبادة
42	60	60	20	10	192	39	الصناعة التقليدية والتجارة
5	6	6	2	1	20	28	المرافق الاجتماعية (الحمامات، الصحية، والسقايات)
14	15	15	5	3	52	13	إعادة تأهيل المباني
28	39	39	14	7	127	1	ترميم وإعادة تأهيل دار الماكينة
128	182	182	63	33	588		المجموع

المصدر: وكالة التنمية ورد الاعتبار فاس، 2018.

يتضح من خلال الجدول رقم 16 أهمية المآثر والمواقع المراد ترميمها وإعادة الاعتبار لها، ومما يبرر هذا الاهتمام هو القيمة المالية المرصودة والتي تقارب 600 مليون درهم، ومن شأن هذا البرنامج الذي يأتي تنمة لمجموعة من المشاريع، أن يساهم في إيقاف نزيف التدهور والحفاظ على الإطار المبني بالمدينة القديمة لفاس.

1- 2 - 3 - 2- المعالم التاريخية والأماكن الرمزية

يضم هذا البرنامج مجموعة من المعالم التاريخية والأماكن الرمزية، منها سوق السمارين، والموزع المائي التقليدي بباب بوجلود، والساعة المائية، والمتحف الثقافي اليهودي، ومتحف البطحاء، وسينما

بوجود، والأسوار، وإضاءة المعالم التاريخية، وماريستان سيدي فرج، وناعورة مولاي عبد الله بجنان سبيل...، ويتم تنفيذ هذه المشاريع على مدى خمس سنوات بغلاف مالي قيمته حوالي 106 مليون درهم.

وفيما يلي تعريف بمكونات هذا البرنامج:

أ - الساعة المائية

أنشئت هذه الساعة خلال القرن الرابع عشر ميلادي، ويتكون مشروع ترميم الساعة المائية المتواجدة بالطالعة الكبرى قبالة مدرسة البوعنانية، من ترميم الساعة المائية وإعادة نظام تشغيلها، بالإضافة إلى اقتناء المنزل الذي تتواجد به هذه الساعة، وتستغرق مدة هذا المشروع سنة ونصف بكلفة مالية حوالي 5 مليون درهم (الصورة رقم 59).

الصورة رقم 59: الساعة المائية المتواجدة بالطالعة الكبرى بالمدينة القديمة لفاس



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

ب - المتحف الثقافي اليهودي

يمتد هذا المشروع على مساحة 430 متر مربع، يهتم عملية هدم وإزالة متحف صغير ومدرسة قديمة، وتعويضهم بمبنى من ثلاث مستويات، تمتد الأشغال على مدى سنة ونصف، وبتكلفة مالية تقدر ب 10 مليون درهم (الصورة رقم 60).

الصورة رقم 60: المتحف اليهودي المتواجد بفاس الجديد



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

ج- مشروع إعادة الاعتبار للموزع المائي التقليدي ببوجلود

أنشئ هذا الموزع في القرن الحادي عشر الميلادي، ويمتد على مساحة 163 م²، ويتواجد في ملكية الأملاك المخزنية؛ يشتمل هذا المشروع على تنظيف وصيانة الموقع وإنشاء دائرة مغلقة للمياه، وغطاء، ومعرض للأنظمة الهيدروليكية بالمدينة القديمة، بالإضافة إلى اقتناء المباني المجاورة من أجل التوسيع والتهيئة. تصل مدة إنجاز هذا المشروع ستة أشهر وبغلاف مالي حوالي 7 مليون درهم (الصورة رقم 61).

الصور رقم 61: للموزع المائي ببوجلود



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

د - ماريستان سيدي فرج

يمتد هذا المستشفى الذي أنشئ في القرن الثالث عشر الميلادي على مساحة 425 متر مربع، ويهم هذا المشروع ترميم هيكل البناية، وتهئية البيئة أو المجال المحيط به، كما سيتم تحويل الأنشطة التجارية المتواجدة بسوق الحنة إلى فندق تجاري مجاور؛ تصل مدة إنجاز هذا المشروع حوالي 30 شهرا بقيمة مالية 17 مليون درهم.

هـ - مشاريع إضاءة المآثر التاريخية

سيمكن هذا المشروع الذي يمتد إنجازه على مدى سنة ونصف وبتكلفة مالية 10 ملايين درهم، من إنجاز وإضاءة حوالي مائة موقع، تتوزع على مختلف المآثر التاريخية المتواجدة بمدينة فاس، سواء على مستوى الأبواب التاريخية، والأسوار، والمآذن، والساحات، وكذا الواجهة الخارجية للمآثر التاريخية.

1- 2 - 3 - 3 - مشاريع رد الاعتبار لأماكن العبادة

تشمل هذه الأماكن مجموعة من المساجد، كمسجد الأندلس ومسجد الرصيف، وجامع سيدي أحمد الشاوي، وجامع الأنوار...؛ بالإضافة إلى مجموعة من الكتاتيب القرآنية أو المسيد، ومقابر المرينيين، بالإضافة إلى مقبرة الملاح باب محروق ومقبرة الشرطين، تبلغ تكلفة هذه المشاريع حوالي 91 مليون درهم.

أ - ترميم ورد الاعتبار للمساجد

تشمل هذه العملية ترميم 6 مساجد، وهي مسجد الأندلس، ومسجد الرصيف، وجامع سيدي أحمد الشاوي وجامع الأنوار، جامع الواد، وجامع الزهر، تتبع هذه المساجد والجوامع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ويمتد المشروع على مدى أربع سنوات، وبغلاف مالي يقدر ب 72 مليون درهم.

ب - رد الاعتبار لمقابر المرينيين

تمتد هذه المقابر على مساحة 2000 متر مربع، أنشئت خلال القرن الرابع عشر م، ويتضمن هذا المشروع ترميم بقايا هذه المقابر، وتهئية الفضاء المحيط بها، وينجز هذا المشروع على مدى سنة ونصف وبتكلفة مالية حوالي 3 مليون درهم (الصورة رقم 62).

ج - ترميم ورد الاعتبار للمقابر الملاح والشراطين وباب المحروق

يشمل هذا البرنامج ثلاث مقابر، مقبرة الملاح، والشراطين، وباب المحروق، تمتد على مساحة 18 هكتار، ويشمل هذا البرنامج تهيئة المجال الداخلي لهذه المقابر بكلفة مالية حوالي 13 مليون درهم، تصل مدة الإنجاز سنتين (الصورة رقم 63).

الصورة رقم 63: مقبرة باب محروق



الصورة رقم 62: بقايا مقابر المرينيين



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

1- 2 - 3 - 4 - مشاريع وبرامج الصناعة التقليدية والتجارة

هي مجموعة من المشاريع تبلغ كلفتها 192 مليون درهم، تخص ترميم الفنادق والدرازات وسوق العطارين، وتأهيل واجهة بوخصيصات بزقة الملاح، يتعلق الأمر إذن ب:

❖ **ترميم ورد الاعتبار للفنادق:** يتعلق الأمر بترميم 19 فندق (فندق قاعة السمن، وفندق سيدي يوسف النخالين، وفندق مولاي حسن، وفندق العطارين، وفندق دروج الأندلس، ...)، بكلفة مالية تقدر ب 113 مليون درهم، وتصل مدة الإنجاز 5 سنوات، يشمل المشروع ترميم الهياكل والديكور والتهيئة الداخلية للفنادق.

❖ **ترميم 15 دراز وهي درازات الرميطة، والبليدة، وواد الزحون، ودرب كيلى، ودرب المشاطين، ...؛** وهي تتبع إلى الأحباس، يمتد إنجازها على مدى أربع سنوات وبكلفة مالية تبلغ 29 مليون درهم. ويهم المشروع ترميم الهياكل الموجودة، وتحسين شروط عمل الصناع التقليديين.

2 - برامج ومشاريع رد الاعتبار للنسيج العمراني القديم لمدينة مكناس

شهدت مكناس العديد من مشاريع رد الاعتبار للمدينة القديمة، اقترحت لتثمين التراث بصفة عامة، وقد حظيت العناية المدينة القديمة لمكناس بالعناية منذ الفترة الاستعمارية، والتي همت ترتيب المعالم التاريخية وترميم بعضها، ورد الاعتبار وتهيئة أخرى.

سيحاول هذا البحث جرد أهم التدخلات التي عرفتتها مدينة مكناس التاريخية، انطلاقاً من القرن الماضي إلى الآن، ورصد وتقييم مدى ملائمة هذه التدخلات مع الخطاب العام الحالي حول رد الاعتبار للمدن التراثية.

2- 1 - التدخل في النسيج العمراني القديم لمدينة مكناس من خلال المخططات الجهوية وتصاميم التهيئة

2- 1 - 1 - المخطط التوجيهي لسنة 1979

أعطى هذا المخطط دوراً محورياً للمدينة العتيقة داخل المنظومة الحضرية لمكناس، حيث أفرد دراسة خاصة للحاضرة الإسماعيلية، وتطرق بشيء من التفصيل لمكوناتها السوسيو - اقتصادية، والعمرانية، ووضع المرافق والتجهيزات العمومية¹؛ وقد تبنى جملة من التوصيات توخت إنقاذ المدينة القديمة، وهمت بالأساس معالجة مشاكل النقل داخل النسيج العتيق، ورد الاعتبار للبنى التحتية التقليدية، وإحداث مرافق عمومية جديدة، ووضع تصور حول تطورها الحضري لتجاوز الاختلالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويمكن تفصيل هذه الإجراءات على الشكل التالي²:

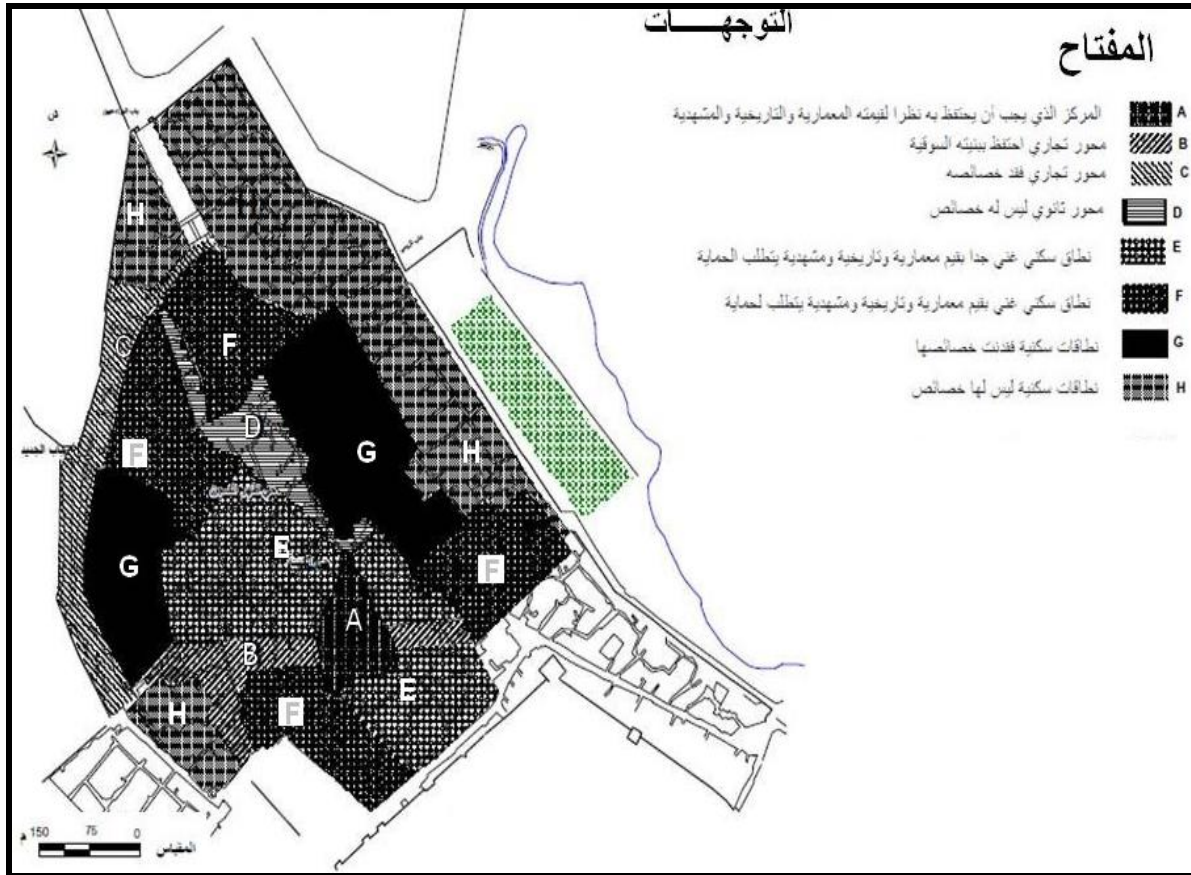
- اقترحت الدراسة القطاعية بالنسبة لمشكل التنقل والحركة، منهجية جمعت بين التنمية وحماية المدينة القديمة، من خلال تحسين الولوج عبر الأبواب التاريخية، وفتح بعض المنافذ الجديدة دون المساس بتنظيمها الداخلي، وربطها بالمدينة الجديدة، وباقي المحاور التجارية الحضرية؛
- كما سجل بالنسبة للمرافق العمومية، تمييز واضح بين التجهيزات العصرية والتقليدية، وأن إشكالية إحداث تجهيزات حديثة مثل المدارس والمستوصفات، وكيفية إدماج بناياتها العصرية داخل النسيج العتيق، كالمساجد والأفرنة؛
- شكلت حماية بعض التجهيزات العمومية الأخرى كالفنادق والسقايات، أمر يتطلب تغيير دورها الوظيفي؛

¹- مصطفى كنكورة، (2010): مرجع سابق، ص 274.

²- وزارة الإسكان، 1979، المخطط التوجيهي لمدينة مكناس، ص 31.

- تطلبت المناطق التجارية الحماية ورد الاعتبار في جل المحاور والساحات التجارية، بحكم ديناميتها، وللحيلولة دون تدهورها؛
- تم التأكيد على ضرورة ترميم الإطار المبني للمدينة القديمة، والحفاظ على طابعها الأصيل، وإجبار البنايات الجديدة على احترام المميزات الخاصة بالنسيج القديم، مع تخصيص الأراضي الفارغة لإنشاء تجهيزات غير موجودة.

الخريطة رقم 30: المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية لمدينة مكناس (المدينة العتيقة) 1979



المصدر: 1979 , SDAU de Meknès (document sectoriel-Medina)

وقد بينت هذه الوثيقة القطاعية (المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية) أهمية المدينة القديمة لمكناس على المستويات السوسيو-اقتصادية، والمشاكل المعقدة التي تطرحها عمليات إنقاذ البنايات الأصلية. ومن أهم القضايا التي حاول المخطط اقتراح حلول لها، مسألة التنقل والحركة داخل المدينة القديمة، حيث اقترح منهجية جمعت بين التنمية وبين حماية المدينة القديمة، وتقوية الولوجية داخلها، مع إدماجها وربطها بالمدينة الجديدة وبمحاور التجارية الحضرية¹.

¹ -Ministère de l'habitat et de l'aménagement du territoire (1979) , schéma Directeur et de l'urbanisme, secteur médina, p. 32

2 - 1 - 2 - المخطط التوجيهي لسنة 1994

حاول هذا المخطط الذي تمت المصادقة عليه سنة 2001 تشخيص الإشكالات الكبرى التي كانت تعاني منها المدينة القديمة، مع التمييز مجاليا ما بين المدينة الوسيطة والقصبة الإسماعيلية، مؤكدا على ضرورة القيام بعملية حقيقية لإنقاذ المدينة العتيقة، قصد تحسين البيئة العامة للتجمع العمراني لمكناس، والحفاظ على تراثها المعماري، عبر إعداد تصميم تهيئة خاص لتأهيل التراث العمراني للمدينة القديمة والقصبة الإسماعيلية.

اعتبر هذا المخطط المدينة القديمة مجالا حيويا، يجمع بين أربعة وظائف أساسية، تتمثل في التجارة والسكن، والخدمات، والإنتاج، وأكد على التحولات السوسيو-ثقافية التي شهدتها النسيج القديم، والتحولات الوظيفية التي عرفتتها التجهيزات والمرافق العمومية التقليدية. كما أشاد المخطط بمقاومة المدينة القديمة لميكانيزمات التدهور عكس مدن قديمة أخرى بالمغرب، فقد حافظت النواة القديمة على أهم الخصائص العمرانية والتاريخية، ويرجع الفضل لقطاع التجارة في الإبقاء على المكانة المحورية لمدينة مكناس العتيقة¹.

ومما يلاحظ على هذا المخطط إغراقه في العمومية، حيث لم يقدم دراسة دقيقة للمدينة القديمة، ولم يقترح توجيهات واضحة لإنقاذ.

2 - 1 - 3 - المخطط التوجيهي لسنة 2004

يعد هذا المخطط مرجعا للتدخلات الهادفة إلى رد الاعتبار للمدينة العتيقة، خاصة وأن الدراسات القطاعية المرفقة به والمتعلقة بالمدينة القديمة، شكلت أرضية برمجت وفقا لها مختلف التدخلات، ومن توصياته²:

- رد الاعتبار للمعالم ذات القيمة التاريخية، ومن بينها المساجد والمدارس والسقايات والفنادق؛
 - ترميم المنشآت المهددة بالانهيار، خاصة المرافق الأكثر استعمالا من طرف الساكنة؛
 - إعادة النظر في الوظيفة التي يجب أن تقوم بها المدينة القديمة داخل محيطها الحضري.
- لم يستطع هذا المخطط عموما أن يقدم دراسة دقيقة لمدينة مكناس القديمة بمرافقها ومكوناتها المعمارية، واكتفى بالعموميات، وعجز نسبيا عن بلورة تصور لتنميتها في إطار مكناس الكبرى¹، وقد أصبحت هذه الوثيقة شبه متجاوزة في الوقت الحالي.

¹ - المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية، 1994، وزارة الداخلية، مديرية التعمير، مذكرة تقديمية، ص 3.

² - مصطفى كنكورة، (2010): مرجع سابق، ص 284.

إذا كانت المخططات التوجيهية التي استقادت منها العديد من المدن المغربية، منذ نهاية السبعينات وحتى بداية التسعينات من القرن الماضي، قد شكلت الآليات الوحيدة في ميدان التخطيط الحضري، التي اهتمت بالمدن القديمة، وساهمت توصياتها في الحفاظ عليها، فإن وزارة الإسكان والتعمير اتجهت منذ مطلع القرن الحالي إلى إطلاق دراسات تصاميم الإنقاذ ورد الاعتبار، التي مثلت الإطار القانوني والتنظيمي لمجمل التدخلات.

2 - 1 - 4 - تصميم التهيئة لسنة 2006

بحكم أن تصميم التهيئة يصنف في خانة وثائق التعمير التنظيمي، فقد شكل وسيلة فعالة لحماية ورد الاعتبار للنسيج القديم، نظرا لارتكازه على مبدأ "التنظيف" القائم على تقسيم المناطق حسب وظائف معينة؛ فهو يميز بين الأحياء السكنية، والمواقع الحرفية، والأسواق التجارية، والمناطق الخضراء، ويحدد الضوابط المطبقة عليها لحماية الطابع الأصيل للنسيج القديم².

ركز تصميم التهيئة لمدينة مكناس القديمة على إبراز قيمتها التاريخية، وعلى رد الاعتبار لمكوناتها، حيث برمج العديد من المشاريع خصت فك العزلة بفتح مداخل عبر الأسوار، وترميم مجموعة من المرافق العمومية والدور ذات القيمة الأثرية، وحاول تخفيض الكثافة، واتجه إلى منع رخص البناء، والاكتفاء فقط بمنح رخص الإصلاح، كما نص التصميم على ضرورة خلق تراتبية ما بين الأحياء الحرفية والتجارية والسكنية، ودعا إلى إعادة توظيف بعض البنايات لاحتضان أنشطة ثقافية وسياحية، وعلى حماية البيئة الحضرية والطبيعية³.

وجدير بالذكر أن هذا التصميم لم تتم المصادقة على كل مقتضياته بشكل نهائي، نظرا لتعرض المفتش الجهوي لوزارة الثقافة على بعضها، وبسبب عدم احترامه ضوابط الارتفاقات في البناء، مما جعل العديد من المشاريع المتعلقة ببناء بعض التجهيزات العمومية في المساحات الفارغة معلقة، حتى يتم الحسم في شأن مسافة ارتفاق المحيط عن الأسوار والمحدد في 250 متر، وارتفاق التعلية المحدد في 12 مترا.

2 - 1 - 5 - تصميم التهيئة 2015 للمدينة القديمة لمكناس

جاء هذا التصميم في إطار استراتيجية إدماج انشغالات رد الاعتبار للمدينة القديمة في صلب السياسة العمرانية، وإخضاع النسيج القديم لمنطق التعمير الوقائي ضد مخاطر التدهور وكل أشكال

¹- مصطفى كنكورة، (2010): مرجع سابق، ص 286.

²- عبد الرحمان البكوي، (1993): التعمير بين المركزية واللامركزية. ص 49.

³- مصطفى كنكورة، (2010): مرجع سابق، ص 292.

الاستغلال غير العقلاني لتجهيزاته العمومية؛ فقد أصبح توفر المدينة القديمة على تصميم تهيئة خاص ضرورة ملحة فرضتها عدة التزامات، أبرزها تصنيفها تراثا إنسانيا عالميا، والرغبة في سد الفراغ القانوني الذي خلفه عدم المصادقة على التصميم السابق.

نص التقرير التشخيصي لتصميم التهيئة على عدد من التدابير، يمكن استعراضها حسب طبيعتها ضمن النسيج العمراني القديم، كالتالي:

- **التجهيزات العمومية:** أكد على ضرورة توفير مساحات جديدة من خلال تملك العقارات الآيلة للسقوط، والعمل على تحويلها إلى مرافق عمومية تلبي الحاجيات المتزايدة لمختلف الفئات العمرية، وجعل من الفراغات المحاذية للأبواب الكبرى (باب السبية، باب البرادعيين، باب الخميس، باب تزيمي) محطات لوقوف السيارات ووسائل النقل العمومي، وفتح منطقة باب السبية، ومقبرة لالة الجميلة لبناء المساكن والمرافق العمومية¹.

- **الأنشطة الصناعية والاقتصادية:** فقد شدد التقرير على ضرورة حماية البيئة من التلوث، والعمل على ترحيل الحرف الملوثة نحو الأحياء الصناعية خارج الأسوار، كما أوصى بإعادة تنظيم الحرف في شكل تعاونيات مهنية يعهد لها استغلال بعض الفنادق بعد ترميمها وإصلاحها حسب الحاجة².

- **القطاع السياحي:** دعا التقرير إلى تشجيع وتأهيل المستثمرين السياحيين، لأجل توظيف المباني التاريخية كرمز لأصالة العمارة المغربية، ووضع علامات التشوير تدل على أسماء الأزقة والدروب والمآثر التاريخية وأهم التجهيزات العمومية، واختيار السياحة التضامنية التي تمكن الساكنة المحلية من خلق الثروة³.

- **البنيات الآيلة للسقوط:** اقترح اعتماد سياسة تحسيسية تجاه الساكنة المحلية، تقوم على التعريف بأسباب تدهور الإطار المبني، مع تقديم الدعم التقني والمالي لإعادة البنيات المتدهورة إلى طبيعتها الأصلية، ووضع آليات مراقبة فعالة ضد كل عمليات البناء العشوائي، وحث على التجديد المعماري لدار الدباغة، وإيلاء عناية أكبر للأحياء الناقصة التجهيز، مثل سيدي أحمد بن خضرة، والنجارين، والصباغين، وجناح الأمان، وتزيمي، وبريمة، وفران النوال⁴.

¹- Agence Urbaine de Meknès, (2015), Plan d'aménagement de la médina de Meknès, Rapport justificatif, p 23.

²- Agence Urbaine de Meknès, (2015), Ibid, p, p 24.

³Agence Urbaine de Meknès, (2015), Ibid, p, 25.

⁴- Agence Urbaine de Meknès, (2015), Ibid, p, 27.

وإذا كان التصميم قد توحى تثنين الفضاء القديم، وتحسين إطار العيش به، من خلال تأهيل وتجديد القطب التاريخي لمدينة مكناس، والمصالحة بين التنمية الحضرية والحفاظ على المقومات التراثية للمدينة القديمة، إلا أنه لم يسلم من مجموعة من الملاحظات همت بالخصوص عدم إشراك كل الفاعلين في إعداد، والاعتماد على معطيات لم تراعى الوضع الحالي للمدينة القديمة، وإغفال العنصر البشري الذي يمثل محور كل مشاريع رد الاعتبار؛ إضافة إلى كونه مس بأمالك الغير من خلال دعوته إلى هدم بعض المنازل وإحداث مكانها ساحات عمومية.

2-2 - مشاريع رد الاعتبار للنسيج العمراني القديم بمدينة مكناس

2-2-1 - التأهيل العمراني لمحور البرادعيين - باب عيسى (2007)

يعتبر محور البرادعيين-باب عيسى من أهم محاور مدينة القديمة، يبلغ طوله 034 م، ويحتوي على مقاطع تراثية عمرانية، تعكس مختلف الحقب التاريخية التي عرفها (تكوينه)، مما أضفى عليه ميزة عمرانية ومعمارية خاصة.

يحتضن هذا المحور مجموعة من المآثر التاريخية تتجلى في تسعة مساجد وثلاثة زوايا وست أضرحة وسبع سقايات وحمامات وثلاث فنادق وثلاث مدارس ورياضات وبیمارستانات ومعصرة¹، بالإضافة إلى مجموعة من البنايات المهددة بالانهيار، ونظرا للاختلالات والتدهور الكبير الذي يعرفه هذا المحور، فقد حظي بأولوية خاصة اتخذت طابعا استعجاليا، حيث رصد للمشروع الخاص به غلاف مالي قدر بـ 20 مليون درهم، أعطيت انطلاقته في أبريل 2008.

قسمت الدراسة التقنية للمشروع محور البرادعيين-باب عيسى إلى أربع وحدات مجالية، روعي فيها

وحدة النسيج العمراني والأهمية الوظيفية وهي:

- ✓ ساحة باب البرادعيين؛
- ✓ باب وساحة مسجد البرادعيين؛
- ✓ مسجد سيدي أحمد بن خضراء؛
- ✓ ساحة سوقة جبالة.

¹ - مصطفى كنكورة، (2010): مرجع سابق ص:420.

ثم قسمت كل وحدة إلى ستة مقاطع تضمنت تشخيصا ترايبا لحالتها الراهنة وطرق التدخل فيها. وقد صنفت هذه العمليات حسب الأولوية؛ إلى عمليات تدخل مستعجلة على مدى القريب وأخرى على المدى المتوسط والبعيد.

أسفر هذا المشروع عن تجديد البنية التحتية في المقاطع الأكثر تضررا، وتبليط الطرق وتزيين وتكسية واجهات المباني علاوة على تحديث الأثاث الحضري¹ عبر تجديد وتوحيد نوافذ وأبواب المحلات التجارية.

وتقاطع هذا المشروع مع مشاريع تنمية أخرى تتعلق بالتأهيل الحضري للمدينة القديمة، التي أعطى انطلاقها صاحب الجلالة الملك محمد السادس سنة 2007؛ ومنها مشروع تقوية شبكة الإنارة العمومية باعتمادات مالية قدرت ب 5 مليون درهم، ثم مشروع تبليط مجموعة من الأزقة والدروب الذي رصدت له حوالي 6.5 مليون درهم².

2- 2 - تجديد القطب التاريخي لمدينة مكناس

يشمل هذا القطب التاريخي مجموع الجماعة الحضرية للمشور الستينية والمناطق المجاورة لها، ويمتد على مساحة 375 هكتارا، تقطن به ساكنة عددها 4385 نسمة. يوجد به 579 وحدة سكنية، 89 منها عبارة عن بناية هشة يقع معظمها بجنان السواني.

يحتضن هذا القطب المآثر التاريخية المتواجدة بجماعة المشور: ساحة الهديم ومنتزه الرياض وشارع الديغوسي المتجه نحو المحطة الطرقية، وساحة باب الخميس، والشارع الرابط بين باب الخميس وزين العابدين، وباب المنصور، وساحة لالة عودة، وضريح مولاي اسماعيل، وساحة حي تازة، والكولف الملكي. بالإضافة إلى الشارع المتجه نحو جنان السواني وصهريج السواني ثم جنان بن حليمة³.

اعتمد تجديد القطب التاريخي لمدينة مكناس على دراسات ميدانية هدفت إلى⁴:

- تبني صورة جديدة لهذا القطب، هدفها تقوية هويته الحضارية، من خلال إبراز وتثمين تراثه التاريخي والعمراني؛

- إعادة تأهيل هذا القطب التاريخي، بإعطائه وظيفة اقتصادية وحضرية ملائمة تمكن من تطوير المؤهلات وإنعاش الاقتصاد؛

¹ -ALOMRANE Meknè, (2008), Mise à niveau de la ville de Meknès, exposé, p.24

² -مصطفى كنكورة، (2010): مرجع سابق: ص. 423.

³ - نفسه: ص. 417.

⁴ - نفسه: ص. 416-417.

- المساهمة في الرفع من جودة الإطار المبنى والمجالات العمومية.
- رصد للمشروع 297.04 مليون درهم شملت تغطية تكاليف العمليات التالية:
- فك العزلة عن بعض الأحياء والأسوار والمآثر الرئيسية (لمجال الدراسة)؛
- حل مشكل المتعلق بحركة المرور والتنقل ووقوف السيارات؛
- تخفيض نسبة السكن الهش المتواجد داخل القصبة أو إزالته كلياً بترحيل بعض التجهيزات الاجتماعية - الجماعية إلى خارج القصبة؛
- ترحيل وتنظيم بعض الأنشطة التجارية؛
- إعادة تهيئة مدخل المدينة عبر باب الخميس، قصد تسهيل قراءة حضرية تتماشى مع إبراز القيمة الحقيقية للمواقع التاريخية؛
- تطوير منطقة سياحية مرتبطة بطبيعة وخصائص الموقع بصهرج السواني وجنان بن حليمة؛
- إحداث مدارات أو مسالك سياحية بين الوحدات الرئيسية لمجال الدراسة.

2- 2 - 3 - مشاريع الترميم بالمدينة القديمة لمكناس

2- 2 - 3 - 1 - ترميم باب منصور 1994 - 1995

- أدت عمليات الإصلاح المتوالية التي عرفها باب المنصور منذ فترة الاستعمار، إلى طمس أحد معالمه التاريخية والمعمارية، ويتعلق الأمر بالبراح¹، وهو مكان الاستقبال، ويتكون من قبة من القرميد كانت على يسار الواجهة الخارجية للباب.
- وقد شهدت هذه الباب سنة 1994 عملية ترميم في إطار برامج رد الاعتبار للمعالم التاريخية لمدينة مكناس، تكفلت به عمالة الإسماعيلية والمفتشية الجهوية للمباني التاريخية، ومول من طرف وزارة السياحة بغلاف مالي قدر ب 500.000.00 درهم قصد تحويله إلى رواق للعروض، وقد انتهت الأشغال به سنة 1995، وشملت الترميم العمليات التالية:
- ترميم الأجزاء المتدهورة من الباب وخصوصاً الداخلية منه؛
 - ترميم وتجديد الواجهة الرئيسية للباب؛
 - تعويض البابين الأصليين للواجهة ببابين خشبيين جديدين؛
 - تبليط الأرضية الداخلية والخارجية بفسيفساء الفخار، وتلبيس الجدران الداخلية.

¹ - أنشأها السلطان عبد الرحمن ابن هشام.

2-2 - 3 - 2 - ترميم باب البطيوي وسور الهديم 2013

أ - باب البطيوي

شهدت باب البطيوي عملية ترميم بعد التدهور الذي لحق بها نتيجة الإهمال الذي تعرضت له مدة طويلة، وبسبب التدهور الناجم عن مرور وسائل المواصلات الحديثة عبره، وذلك بتمويل من الجماعة الحضرية بغلاف مالي وصل إلى 877.248,00 درهم، وبدعم من المفتشية الجهوية للمباني التاريخية. شملت عمليات الترميم باب البطيوي:

- معالجة السقوف العمودية التي كانت تخترق الباب؛
- تنقية سطح الباب من الأشجار والأثرية المترسبة، والتي وصل سمكها إلى حوالي نصف متر مع التبليط؛
- ترميم جوانب الأقواس المتضررة من مرور وسائل النقل الحديثة عبر التلبيس بالآجر؛
- تدعيم القاعدة التي تآكلت عن يمين الباب (من الجهة الخارجية)؛
- تبليط الواجهة الداخلية والخارجية مع تبليط الأقواس والقبب الداخلية...

2-2 - 3 - 3 - رد الاعتبار لساحة الهديم

شهدت ساحة الهديم خلال سنة 2006 عمليات تهيئة شاملة¹ في إطار مشروع التأهيل الحضري لمدينة مكناس ورد الاعتبار للمدينة القديمة، حيث استعادت وظيفتها التاريخية كفضاء للترفيه والتمتع بفن الحلقة وملتقى للسكان والسياح على حد سواء. وقد شملت العملية:

- ترصيص الأرضية بالزليج البلدي، وإزالة النافورات المستحدثة التي خربت؛
 - تبليط الأسوار المحيطة بالساحة؛
 - إزالة مرآب السيارات الذي كان يشوهها...
- كما تم ترميم سور الهديم نتيجة التدهور الذي عرفه، بفعل تسرب المياه من المساكن الملامسة له، وبفعل حالة التدهور الخطير الذي تعرض له الجزء الملامس لزواوية سيدي عمر بوعودة، حيث أصبح مهددا بالإنهيار. وقد شمل المشروع الممول من طرف الجماعة الحضرية لمكناس، ونظارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمكناس، القيام بالأشغال التالية:
- تبليط السور؛

¹ - عرفت الساحة تهيئة واسعة خلال الثمانينات من القرن الماضي، لكنها لم تلق استحسان المهتمين لتشويهها الجوانب التاريخية والعمرانية مما نتج عنه إهمال وتخريب لمنجزات هذه التهيئة.

- إزالة الشرفات التي أضيفت له في مراحل سابقة من تاريخ المدينة؛
- الحفاظ على النوافذ والفتحات التي توجد به لأنها أصلية.

2- 2 - 3 - 4 - رد الاعتبار لقصر هري المنصور 2005

عانى هذا القصر من التدهور الشديد بسبب انهيار بعض أجزائه المتمثلة في الهري الضخم (التحت أرضي) على شكل قبب، وذو المنافذ في الأعلى التي كانت تستعمل لتفريغ المواد المراد تخزينها كالحبوب والعدة العسكرية في عهد الحسن الأول.

شكلت وضعية التدهور الذي أصبحت عليه هذه المعلمة، مصدر مخاطر كبيرة للمواطنين، نتيجة الانهيارات المتتالية لبعض أجزائه، خاصة وأنه كان محاطا بدور الصفيح، ولذلك خضع لعمليات إعادة بناء الأجزاء المنهارة وترميم ما بقي صامدا، بفضل تدخل وزارة الثقافة التي خصصت اعتمادات مالية مهمة وصلت إلى 2.2 مليون درهم وبدعم من عمالة مكناس بحوالي 1.5 درهم لإتمام الأشغال¹.

2- 2 - 3 - 5 - رد الاعتبار للأحواض المائية والمساحات الخضراء بالمدينة القديمة

جاء هذا التدخل في إطار الاهتمام بالتراث الطبيعي، المتمثل في الأحواض المائية والمساحات الخضراء، الذي انخفض معدلها بالنسبة للفرد الواحد، وعليه كان لزاما على الجهات المعنية، كعمالة مكناس، والوكالة الحضرية، وشركة العمران...، التدخل لرد الاعتبار لهذه المجالات.

أ - رد الاعتبار للأحواض المائية

❖ وادي بوفكران

يعتبر واد بوفكران مجال تقاطع تصاميم التهيئة لكل من مكناس الزيتون، ومشور الستينية، والإسماعيلية وحمرية. أنجزت حوله مجموعة من الدراسات منذ 1992² كان آخرها التصميم والميثاق المشهدين للوادي (2008-2010م).

تمت برمجة مجموعة من المشاريع، أنجز عدد من المشاريع الاستعجالية كمحاربة التلوث والقضاء على دور الصفيح، وإحداث التجهيزات الأساسية، والاهتمام بالمجال الأخضر، رافقها اتخذت بعض الإجراءات الاحترازية من قبيل:

- منع البناء داخل مجال الوادي؛

- منح طرح النفايات أو مواد البناء والأتربة؛

¹- مصطفى كنكورة، (2010): مرجع سابق، ص. 406.

²- بعد الخطاب الملكي 27 يوليوز 1992 الذي أكد على ضرورة عودة واد بوفكران إلى حالته الأولى. مما أسفر على تنظيم جامعة مولاي إسماعيل والجمعية الإسماعيلية الكبرى سنة 1993 ندوة واد بوفكران: البيئة والتاريخ وأفاق التهيئة أيام 25 و26 نونبر.

-مراقبة ومنع تصريف المياه الصناعية مباشرة في الوادي وتوجيهها لشبكة التطهير المبرمجة؛

-حماية المناطق الخضراء؛

-هدم دور الصفيح وترحيل سكانها (إعادة الإسكان)؛

-تثبيت التربة بالمقالع من خلال التشجير وإحداث منتزه عمومي...

❖ صهريج السواني

شرع في مشروع تهيئة صهريج السواني منذ سنة 1997، وقد أنجز عبر شطرين؛ حيث تمت خلال الشطر الأول تقوية جنبات الحوض وإرساء أركان السور المحيطة بالحوض، بالإضافة إلى بناء سياج وقائي حوله وبناء جدران وناפורات ومرافق عمومية مع تطهير الموقع، وذلك بتكلفة مالية قدرت بحوالي 5.3 مليون درهم.

أما الشطر الثاني الذي بلغت تكلفته المالية 7.1 مليون درهم، فقد خصص لتتقية المياه الراكدة بالحوض وتغذيته بروافد جديدة وإعادة توظيفها في ري الحدائق المجاورة، وتم إنجاز خلال هذا الشطر بناء مركز للشرطة ومرفق صحي وأربعة أكشاك تجارية، والاهتمام بمحيط الحوض عن طريق ترميم أسوار باب مراح وتجهيز الأحياء بالإضاءة العمومية وتعبيد الأرضيات.

وفي سنة 2006، اختير الموقع لاحتضان المعرض الدولي للفلاحة، لذلك يشهد تهيئة شاملة لكلفتها 8.8 مليون درهم خصصتها الولاية كشرط أول لتأمين تزويد الصهريج بالماء، في ما أنجز الشطر الثاني سنة 2007 بتكلفة بلغت 6.5 مليون درهم...

ب - رد الاعتبار للمساحات الخضراء

❖ جنان بنحليمة نموذج للحدائق التاريخية 1995

أشرفت عمالة مكناس ومصالح الوكالة الحضرية وشركة العمران على هذا المشروع، فيما قامت المفتشية الجهوية للمباني التاريخية والمواقع بتهيئته، لإرجاع قيمته التاريخية عبر تهيئة فضاء الحديقة، وترميم المعالم المعمارية القريبة منه، وتهيئته منتزه "على مساحة 3 هكتار وفقا لتصميم المهندس "هنري بروس" ، بلغت تكلفة المشروع 5 ملايين درهم. امتدت الأشغال ما بين فبراير 2007 ومارس 2008 تحت إشراف شركة العمران¹ وتم خلال هذه العملية:

-ترميم الحوض المائي والسقاية التي كانت تزود الحديقة بالمياه من واد بوفكران؛

¹ - مصطفى كنكورة، (2010): مرجع سابق، ص 438.

- ✓ ترميم السور وقبتي الخيمة والمنزه والأبواب بعدها؛
- ✓ إصلاح الطرقات وإحداث ممرات للراجلين وتبليطها؛
- ✓ حفر بئر ووضع نظام للسقي.

وبذلك أعيد للحديقة بريقها كمعلمة تاريخية ارتبطت بالقصر في عهد السلطانين عبد الرحمان بن هشام والحسن الأول.

❖ تهيئة حديقة لحبول (1981)

- عدت أكبر عملية تهيئة دفعت السلطات إلى إغلاق الحديقة في وجه العموم، لتشهد إنجاز عدة ترميمات وإصلاحات، يمكن إجمالها في الآتي:
- غرس مجموعة كبيرة من الأشجار النادرة وصيانة المواقع التي تعرضت للتلف؛
 - تشييد حديقة للحيوانات وفتحها للعموم بمقابل رمزي؛
 - تخصيص مساحة 400م² لإقامة ألعاب للأطفال؛
 - إعادة تهيئة مسرح للهواء الطلق بطاقة استيعابية تصل إلى 300 فرد؛
 - بناء مقهى.

غير أنه مع مرور السنوات تعرضت هذه الحديقة للإهمال، بسبب ضعف الصيانة وقلة الموارد المالية والبشرية، قبل أن تشهد تدخلا لولاية مكناس، تمثل في تجديد السور المحيط بها، وتبليط الممرات، وإعادة تشجير المساحات الخضراء بتكلفة بلغت 1,5 مليون درهم¹.

2- 3 - 6- ترميم السقايات بالمدينة القديمة لمكناس

تتوفر المدينة القديمة لمكناس على عدد كبير من السقايات، سواء في المدينة الوسيطة أو في القصبة الإسماعيلية، ومن أشهرها: سقاية التوتة، وسقاية جناح لمان، وسقاية سيدي قدور العلمي، وسقاية العدول، وسقاية الحدادين، وسقاية القرسطون... يرجع بناؤها إلى مراحل حكم الدولة الموحدية والدولة المرينية والدولة العلوية. ونظرا للإهمال والتدهور الذي عرفته هاته السقايات، شرع المجلس الجماعي منذ عقد التسعينيات من القرن الماضي في رد الاعتبار لبعض السقايات المعطلة، كسقاية الهديم وسقاية باب منصور التي زودت بالصهريج والقوس، إضافة إلى تجديد سقاية الحبول، وإصلاح سقاية العدول القريبة من المسجد الكبير.

¹ - ولاية جهة مكناس- تافيلالت، عمالة مكناس، قسم الصفقات 2009.

كما عمل المجلس الجماعي على إصلاح سقاية جامع الزيتونة وسقاية سيدي حماموش، وسقاية مسجد زروق وسقاية التوتة، حيث همت الأشغال إصلاح الزليج المكسر، وتبليط الواجهات وإصلاح وإعادة تركيب الأجزاء الخشبية، وإصلاح القرميد وتركيب الصنابير وتكسية الأرضيات، ووضع سياج وقائي من الحديد التقليدي¹.

ولم تقتصر عملية الترميم على المتدخلين العموميين فقط، انخرط المجتمع المدني بشكل كبير في ترميم السقايات، حيث عملت جمعية إنقاذ المدينة والمآثر التاريخية بمكناس على تنظيم تظاهرة تحسيسية حول الأوضاع المزرية للسقايات المكناسية، توجت بتحمل البنك الشعبي مصاريف ترميم مجموعة من السقايات، من خلال تكسيتهما بالزليج الفاسي، وتبليط أرضيتهما. هذه العملية سقايات باب المنصور، والعدول، وسوق السباط، والبيمارستان.

وفي سنة 2004، قدمت مشروعا بشراكة مع برنامج مذكرة 21 المحلية، تضمن ترميم أربع سقايات لكنه لم ير النور؛ وخلال سنة 2007، تولت الجمعية بتنسيق مع فعاليات أخرى ترميم سقاية سبع عنانب، وسقاية الحبس القديم، وسقاية براكاة، وجناح لمان، وسيدي أحمد بن خضرة، وسقاية سيدي عبد القادر العلمي.

2- 2 - 3 - 7 - القرية النموذجية للصناعة التقليدية "الرميكة"².

إنطلق إنجاز هذا المشروع سنة 2004 في منطقة الرميكة على الطريق الوطنية رقم 6، المؤدية إلى مدينة سيدي قاسم ومولاي ادريس زرهون، فوق أرض في ملكية الجماعة الحضرية تقدر مساحتها بـ 86110 متر مربع، لفائدة 220 صانع تقليدي واكسابه صفة المقاول الصغير والمتوسط. بلغت التكلفة المالية للمشروع 33.580.000.00 درهم.

استهدف المشروع خلق 2000 منصب شغل، بالإضافة إلى محاربة التلوث الذي تحدثه حرف الفخار والخزف، وعصرنة وسائل وطرق الإنتاج، والمساهمة في الإنعاش السياحي.

يعد المشروع قرية مندمجة للصناعات التقليدية، تضم الحرف الفنية الانتاجية كالزليج التقليدي، والفخار، والخزف، والخياطة التقليدية، والنسيج، والنقش على الزجاج، والمصنوعات الجلدية، والجبس، والحدادة التقليدية، والحديد المرصع بالفضة، والنجارة الفنية.

¹ -Préfecture d'Al ismailia, (1990) commune d'Al ismailia, projet de restauration des Fontaines dans la Medina de Meknès, Fiches Techniques.

² - منشورات غرفة الصناعة التقليدية بمكناس، الصناعة التقليدية تراث وحضارة، صوت مكناس 2007، الصفحات من 59 إلى 91.

ويتيح للصناع والزوار إمكانية الاستفادة من مرافق مشتركة: قاعة لعرض المنتج، ومحطة لمعالجة الطين، ومسجد، ومطعم، ومقهى، ومرافق للسيارات، ومساحات خضراء، وقاعة للترفيه، ومخادع هاتفية، وحديقة لألعاب الأطفال.

2- 3 - برامج ومشاريع ترميم المدينة القديمة لمكناس 2019 - 2023

تندرج هذه المشاريع في إطار برنامج ترميم المدينة القديمة لمكناس 2019 - 2023، بقيمة مالية تبلغ 800 مليون درهم. وترتكز هذه المشاريع حول تحقيق الأهداف التالية:

- ترميم وصيانة التراث العمراني والحضاري لمدينة مكناس التاريخية؛
- حماية ورد الاعتبار للمشاهد الحضرية التاريخية، وفقا لتوصيات اليونسكو حول المدن التاريخية المسجلة على قائمة التراث الثقافي الإنساني؛
- تهيئة وتأهيل المجالات الحضرية التاريخية بالمدينة القديمة؛
- توظيف التراث العمراني والحضاري لمدينة مكناس القديمة في خلق دينامية سياحية واجتماعية وإدماجها في الدورة الاقتصادية للمدينة.

ويشتمل هذا البرنامج على المحاور التالية:

- ترميم وإعادة تأهيل التراث العمراني التاريخي؛
- تحسين الولوج والسير بالمدينة القديمة؛
- تحسين الجاذبية السياحية والاقتصادية للمدينة القديمة.

الجدول رقم 14: مشاريع برنامج ترميم المدينة القديمة لمكناس بين سنتي 2019/2023

المشاريع والبرامج	العدد	الميزانية ب م د
ترميم وإعادة توظيف التراث التاريخي للمدينة القديمة لمكناس	10	594
تحسين الولوج والسير بالمدينة العتيقة لمكناس.	15	40
تحسين الجاذبية السياحية والاقتصادية للمدينة العتيقة.	39	166
المجموع		1052

Source: Préfecture De Meknès, 2016: Programme de Réhabilitation et de Mise à niveau de l'ancienne Médina de Meknès.

ترتكز محاور ترميم وتأهيل التراث العمراني للمدينة القديمة لمكناس، على مجموعة من المآثر ذات القيمة التاريخية بالمدينة. فنجد ترميم المعالم التاريخية المتميزة مثل: قصر المنصور، صهريج وهري

السواني، معلمة حبس قارة، ثم ترميم الأسوار على طول 12 كلم. بالإضافة إلى ترميم 4 أبراج تاريخية و14 بابا أهمها باب منصور وباب البرادعين وباب الخميس.

وكذلك يشمل البرنامج ترميم الساحات التاريخية مثل لهديم والمشور، وخصصت له 594 مليون درهم كتكلفة مالية لتنفيذه.

الجدول رقم 15: مشاريع تأهيل المآثر التاريخية بالمدينة القديمة لمكناس

الميزانية المتوقعة ب م د	العدد	الأثار التاريخي
162	5	القصور والمرافق التاريخية
24	2	الساحات التاريخية
27	6	الأبراج والقصبات
60	18 كلم	الأسوار
40	17	الأبواب
31	4	المساجد والمدارس
30	9	الفنادق والقيساريات التاريخية
20	12	الزوايا والأضرحة
3.6	5	السقايات التاريخية
397.6	المجموع	

Source: Préfecture De Meknès, 2016: Programme de Réhabilitation et de Mise à niveau de l'ancienne Médina de Meknès.

أما فيما يخص محور تحسين الولوجية والسير بالمدينة القديمة، فتتمثل في إحداث مرآب تحت أرضي بباب الرحي، وإحداث مرآب آخر بساحة زين العابدين بقيمة مالية تقدر ب 40 مليون درهم.

وبالنسبة لتقوية الجاذبية السياحية والاقتصادية، يشمل البرنامج تأهيل فندق النجارين وقيسارية الحرير، وخلق أربعة مسارات سياحية: مسار المدينة القديمة على طول 3 كلم، مسار الدار الكبيرة على طول 7,1 كلم، ومسار الملاح- السكاكني-الشيخ الكامل على طول 4 كلم، وأخيرا مسار الحافلات على طول 15 كلم.

أما بالنسبة للتجهيزات القرب فسيتم تأهيل فندق الحنة والنادي النسوي باب كناوة والانبعاث وتأهيل دار الشباب عبد الكريم الخطابي بتكلفة 166 مليون درهم.

الجدول رقم 16: التكلفة المالية والمساهمون في مشاريع ترميم المدينة القديمة لمكناس 2019 - 2023

المساهمون	التكلفة المالية
صندوق الحسن الثاني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية	300 مليون درهم
وزارة الداخلية	100 مليون درهم
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية	56 مليون درهم
وزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان وسياسة المدينة	100 مليون درهم
وزارة السياحة والنقل الجوي والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي	40 مليون درهم
وزارة الشباب والرياضة	20 مليون درهم
وزارة الثقافة والاتصال	34 مليون درهم
مجلس جهة فاس مكناس	50 مليون درهم
مجلس عمالة مكناس	10 مليون درهم
جماعة مكناس	50 مليون درهم
جماعة مشور السطينية	40 مليون درهم

Source: Préfecture De Meknès, 2016: Programme de Réhabilitation et de Mise à niveau de l'ancienne Médina de Meknès.

2-4- برنامج معالجة السكن المهده بالانهيار

لمعالجة المباني المهدة بالانهيار بمكناس، تم التوقيع سنة 2006 على اتفاقية جمعت وزارة السكنى والتعمير ووزارة المالية، وولاية جهة مكناس - تافيلالت بقيمة 57.2 مليون درهم¹. خصت عمليات هي:

- انجاز الدراسات؛
- عادة إيواء 178 أسرة؛
- هدم المباني المهدة بالانهيار والتي شكلت خطرا على المارة والمباني المجاورة؛
- تقوية 480 بناية متأثرة بعمليات الهدم؛
- ترميم وتقوية 217 بناية.

¹ -Groupe de Recherche Géographie, société et Aménagement (GREGSA), Evaluation des politiques publiques en matière de résorption de l'habita insalubres de Meknès, Minbar Al JAMIAA, Mai 2012, p.133 - 139

إلا أن هذا البرنامج اعترضته اكرهات كثيرة¹:

- ضعف الغلاف المالي الذي رصد لهذا البرنامج مقارنة مع حجم الظاهرة؛
- قيمة مساهمة الأسر كانت أكبر من مساهمة الدولة ب 100.000.00 درهم للأسرة مقابل 40.000.00 درهم كمساهمة للدولة (بالنسبة لعمليات إعادة الإسكان مثلا)؛
- غياب المصاحبة الاجتماعية سواء خلال مرحلة التشخيص أو خلال مرحلة تنفيذ البرنامج، فالبطاقة التقنية ركزت على الأوضاع الفيزيائية للمباني، بينما أهملت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لأرباب الأسر، (من حيث حجم الأسرة، وضعية الأنشطة والمداخل)، وبالتالي غيبت معلومات حول ما إذا كانت الأسرة قادرة على الانخراط ماديا في البرنامج أم لا؛
- تعقد أوضاع المباني المهددة بالسقوط، إذ يمكن التمييز بين المباني ذات القيمة المعمارية والتاريخية والمباني العادية، حيث تختلف تبعا لذلك، طرق ومساطر التدخل، كما تختلف الاستثمارات المرصودة لكل منها. فقد وصل سقف المساعدات بالنسبة للمباني ذات القيمة المعمارية والتاريخية إلى 45.000.00 درهم مما استدعي مساهمة فاعلين آخرين، مثل المبادرة الوطنية للتنمية البشرية L'INDH والمنظمات غير الحكومية (ONG)، والمستفيدين.
- شملت هذه العملية 40 بناية² شملتها التقوية، و44 في طور الدراسة، في حين سجلت 178 أسرة في إعادة الإسكان، في المساكن ذات القيمة 140.000.00 درهم بمساعدة 40.000.00 درهم من الدولة.
- وظل الهدم إلى غاية نهاية أكتوبر 2010 محدودا، فمن بين 10 مبان 6 فقط تلقى أصحابها قرارات الهدم والإفراغ موقعة من رئيس الجماعة ومؤشر عليها من طرف الوالي.
- وعلى إثر انهيار مسجد باب البرادعيين في 19 فبراير 2010 ونظرا للخسائر البشرية والمادية الثقيلة³، تم إحصاء كل المباني المهددة بالانهيار بالتجمع الحضري مكناس- زرهون من طرف ست لجان أفضت إلى الآتي:

¹- GREGSA. Ibid. p. 135- 136.

²-GREGSA. Ibid. p. 139.

³- والذي خلف 41 قتيلًا و 81 جريحا لانهيار المسجد وقت صلاة الجمعة.

الجدول 17: توزيع المباني المهددة بالانهيار في التجمع الحضري لمكناس إلى غاية 24 أبريل 2010

المقاطعة أو الباشوية	عدد المباني المحصاة	الحالات الاستعجالية
الإسماعيلية	3084	1692
مكناس الزيتون	191	88
المشور الستينية	410	104
المجموع	3685	1794

المصدر: بتصرف Division de l'urbanisme et de l'environnement, Préfecture de Meknès

وتجدر الإشارة هنا، إلا أن البحث اقتصر على ذكر الإحصائيات الخاصة بمجال الدراسة، أي المدينة القديمة والقصبة الإسماعيلية؛ بينما شملت الدراسة السابقة 4104 مبنى، ضمنها 2144 عبارة عن حالات استعجالية، لذا تتبين خطورة حجم الظاهرة بالنسبة لمجال المدينة القديمة عموماً، والتي مست إلى جانب المباني السكنية المباني التاريخية: كالمساجد والأضرحة، الأسوار، الأبواب، والقصبات...

كما شهدت سنة 1997 انهيار أجزاء من البرج والصور المحيط بقصر المنصور، وفي سنة 1998 انهيار سور باب الأنوار، أما سنة 2003 شهدت انهيار السور المتصل بباب الخميس، جارفاً معه العديد من المنازل المجاورة. نفس الحادث تكرر سنة 2008 بحي الروى وبريمة، مما تسبب في تصدعات بالمنازل الموالية للمقبرة اليهودية، ثم تلاه انهيار صومعة مسجد باب البرادعيين سنة 2010، الذي دق ناقوس الخطر لدى المسؤولين، دون أن يوقف ذلك سلسلة الانهيارات، التي كان آخرها انهيار برج باب المرس الذي انهار في مارس 2013 رغم حادثة ترميمه¹.

بالإضافة إلى هذه البرامج؛ هناك برنامج آخر لمعالجة المباني المهددة بالانهيار امتد على مدى ثلاث سنوات (2016-2019)، وبتكلفة مالية ناهزت 252 مليون درهم، يشمل معالجة 3500 بناية موزعة كالتالي: 3000 بناية بجماعة مكناس، و350 بناية بجماعة المشور الستينية.

ويتكون هذا المشروع من²: - هدم 520 بناية في حالة متدهورة جداً ولا يمكن إصلاحها؛

- تدعيم وتقوية 520 بناية من الدرجة الأولى من التدهور؛

- تدعيم وتقوية 2900 بناية من الدرجة الثانية والثالثة من التدهور؛

- المواكبة الاجتماعية للسكان المباني التي يشملها هذا البرنامج.

¹ - الانهيار كان بسبب إدخال مواد حديثة (اسمنت وحديد) مما أعاق تسرب مياه الأمطار بشكل طبيعي.

² - Préfecture De Meknès, 2016: Programme de Réhabilitation et de Mise à niveau de l'ancienne Médina de Meknès.

خاتمة الفصل الخامس

يعتبر الحفاظ على التراث العمراني والمعماري، إحدى أكثر المسائل تشابكا وتعقيدا، نظرا لاختلاف وجهات النظر حولها، وتعدد الجهات المساهمة فيها، وتعامل كل منها مع المعطيات الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة، لذلك قامت الهيئات الدولية والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية بالمدينتين القديمتين بفاس ومكناس بوضع وتنفيذ مجموعة من مشاريع رد الاعتبار، بهدف الحفاظ على هذين النسيجين العمرانيين الأصليين أولا، وكيفية استغلال هذا الموروث العمراني الغني والمتنوع في تحقيق التنمية المحلية ثانيا.

وقد تعددت وتنوعت البرامج والمشاريع التي ابتدأت من نهاية القرن الماضي خصوصا على مستوى مدينة فاس، لمعالجة هذين النسيجين في إطار شمولي يأخذ بعين الاعتبار الإطار المبنى التاريخي والسكني، وكذلك الاهتمام بالأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، لجعل هذا المجال فضاء نشيطا وحيويا الهدف منه هو تحقيق التنمية المحلية لساكنته.

ويظهر من خلال جرد كل المشاريع المنجزة، مدى الاهتمام الذي أصبحت تحظى به الموارد التراثية بالمدينتين القديمتين لفاس ومكناس، فهي تجسد مدى الإرادة لدى الجميع في النهوض بالنسيجين والاستفادة منهما، بالإضافة إلى ذلك اقترح مجموعة من المشاريع والبرامج المستقبلية التي نتوخى منها المساهمة في تثمين تراث هذين المدينتين التاريخيتين، ليصبح موردا تراثيا يساهم في التنمية المحلية الشاملة.

هاته البرامج والمشاريع كان لها الوقع الإيجابي واستطاعت أن توقف نزيف تدهور النسيجين، وبالتالي بعث الحياة فيهما من جديد من أجل تأدية وظيفتهم الحقيقية، وهي رد الاعتبار لهذا المجال وتوظيفهما من أجل تحقيق التنمية المحلية.

وبالرغم من المجهودات التي بذلت ولازالت تبذل قصد حماية المدينتين، فإنها لازالت لا ترقى إلى المستوى المطلوب، حيث لازالت بعض التدخلات متأخرة ومحتشمة في بعض الحالات، خصوصا على مستوى المدينة القديمة لمكناس.

إن، هل استطاعت هاته البرامج والمشاريع في رد الاعتبار، وتوقيف نزيف التدهور بالمدينتين القديمتين لفاس ومكناس؟

بعد هذه البرامج، كيف سيتم توظيف المآثر التاريخية بالمدينتين في تحقيق التنمية المحلية؟

الفصل السادس:

توظيف المعالم التاريخية في التنمية المحلية بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس

مقدمة:

يعتبر إعادة إحياء التراث المبني التاريخي وإعادة توظيفه واستعماله من جديد، من بين الطرق الحديثة للحفاظ عليه واستدامته. فعملية إعادة تأهيل واستخدام المبنى التاريخي وتهيئته ليؤدي الدور الوظيفي الأصلي، أو أي نشاط آخر ملائم لطبيعته يضمن استمراريته، باعتباره كيان ينقل روح وتاريخ الأجداد إلى الأحفاد.

كما تخدم عملية إعادة توظيف التراث، إنقاذ التراث نفسه والحفاظ عليه وصيانته، مما يساعد في الحفاظ على طابعه المعماري والعمراني، وبالتالي الارتقاء بالبيئة العمرانية المحيطة به وبالمدينة ككل، ولكن تكمن الصعوبة في توظيف المبنى، أو استخدامه استخداما جديدا لم يألفه من قبل.

وتعد المباني والمآثر التراثية من أهم الموارد الرئيسة للسياحة الثقافية، وموردا اقتصاديا أساسيا تعتمد عليه الكثير من الدول. وانطلاقا من هذا تبلورت فكرة استثمار المباني التراثية، حيث يمكن الاستثمار في بعض منها، مثل: الأبراج، والقصور، والمنازل التقليدية، والمدارس التاريخية. ويمكن استغلال هذه المباني أيضا في استقبال السياح والزوار، والاستفادة منها كوحدات للإيواء والضيافة السياحية.

وبناء على ذلك، سنتطرق خلال هذا الفصل إلى بعض نماذج إعادة توظيف المباني التاريخية بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس، واستغلالها كمورد اقتصادي تساهم في تحقيق التنمية المحلية؛ بالإضافة إلى تشخيص الموارد التراثية التي تتوفر عليها المدينتين، وإبراز نقاط القوة والضعف، وكذا الفرص والتحديات بالمجال، مع تقييم مشاريع وبرامج الترميم ورد الاعتبار، سواء من طرف الساكنة، أو من طرف زوار المدينتين ومختلف الفاعلين.

1- إعادة توظيف المآثر التاريخية بمدينتي فاس ومكناس القديمتين

أثبتت مختلف التجارب أن إعادة التوظيف المباني التراثية هو أفضل وسيلة للحفاظ عليها، فإسناد وظيفة للمبنى دون المساس بقيمته وخصوصيته التاريخية تضمن بقاءه واستمراريته. كما أن إعادة توظيفه يجب أن تتسجم مع خصوصيات البيئة الحضرية، وأن لا تؤثر التعديلات على المبنى أو المباني المجاورة، وأن تكون الهدف الأول من إعادة التوظيف هو المحافظة على التراث العمراني.

1 - 1 - القوانين والمواثيق المؤطرة لإعادة التوظيف

دعت أغلب المواثيق الدولية إلى ضرورة الحفاظ على التراث العمراني، وإلى إعادة توظيفه واستغلاله اقتصاديا ليدر عائدات مالية تف بصيانتة دوريا، ومن هذه المواثيق:

❖ **ميثاق أثينا 1931:** نص على صيانة المباني التاريخية، وعلى احترام نسيجها الأصلي في جميع مراحل بناءه، ونبه إلى ضرورة استخدام المباني التاريخية في الوظائف التي لا تنقص من قيمته التاريخية ضمانا لصيانتة المستمرة¹.

❖ **ميثاق البندقية 1964:** الصادر عن المؤتمر الدولي الثاني للمهندسين المعماريين والفنيين والتقنيين المتخصصين في الآثار، الذي شدد في الفقرة الخامسة من توصياته على وجوب إعادة توظيف المباني التراثية، حيث نصت على²:

- أن استخدام المعلمة (الأثرية)، في وظيفة تفيد المجتمع، يساعد في عملية الحفاظ عليها، لكن يجب ألا يغير ذلك من توزيع الفراغات أو في شكل المبنى، وكل التغييرات بسبب الاستخدام يجب أن تبقى ضمن هذه الحدود؛

- أن تستفيد المحافظة على المعالم الأثرية، من الوظيفة التي ستخصص لها، على أن تكون وظيفة صالحة للمجتمع، دون أن يغير ذلك من نظام المباني أو من زخارفها؛

- أن يستعان في صيانة وترميم وتوظيف المباني التاريخية من كل العلوم والأساليب التقنية المساهمة في دراسة وحماية هذا التراث العمراني؛

- أن الغرض من الصيانة والترميم والتأهيل هو حماية المباني التاريخية، باعتبارها أعمالا فنية وشواهد تاريخية؛

- أن تأهيل المباني التاريخية، يتم دائما عن طريق الاستفادة منها لبعض الأغراض المفيدة، وأن مثل هذه الاستفادة مستحسنة، ولكن يجب عدم تغيير مخطط أو زخرفة المبنى؛

- أن أي مبنى تاريخي لا يمكن فصله عن التاريخ الذي يقف شاهدا عليه، وعن المكان الذي يوجد فيه.

❖ **الاتفاقية الدولية لحماية التراث الثقافي والطبيعي 1972:** نصت هذه الاتفاقية في بند الحماية

الوظيفية والحماية الدولية للتراث الثقافي والطبيعي على³:

¹ ميثاق أثينا، حماية المعالم التاريخية والطبيعية في العالم، اليونان، 1931 م، ص ص 1-4.
² Roselli, p, 1991, Restoration of the City this Day (trans), Alliena, Firenze, p: 28.

³ اليونسكو، اللجنة الدولية الحكومية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، النصوص الأساسية...، المرجع السابق، ص 11.

- تأمين واتخاذ تدابير فعالة ونشطة لحماية التراث الثقافي والطبيعي؛
- المحافظة على التراث الثقافي والطبيعي، بحيث تعمل الدول في هذه الاتفاقية على اتخاذ سياسة تستهدف جعل التراث الثقافي والطبيعي يؤدي وظيفة في حياة المجتمع، وإدماج حماية هذا التراث في مناهج التخطيط العام.

1 - 2 - أشكال إعادة توظيف مكونات التراث العمراني

- يعتبر العامل الاقتصادي الهدف الأساسي من عملية إعادة التوظيف، وذلك من أجل تحقيق التنمية المحلية أولاً، وصيانة المبنى وحمايته ثانياً؛ ومن أشكال إعادة التوظيف للمباني التراثية نذكر:
- ❖ **توظيف المنازل التقليدية مكان سكني:** يعتبر توظيف مباني التراث العمراني أماكن سكنية من أفضل الطرق للمحافظة على التراث من الزوال، إذ يتم استغلالها إما بصفة دائمة من قبل المالك أو كدور للضيافة من قبل المستثمر؛ وهو ما تم فعلاً في النسيج العمراني بمدينة فاس ومكناس القديمتين.
 - ❖ **توظيف مباني التراث العمراني كمتاحف وطنية:** من خلال صيانة المباني التراثية وترميمها، حيث تصبح جاهزة لعرض التراث العمراني والثقافي والشعبي من منتجات حرفية أثرية ومخطوطات؛ ومن هذا المنطلق عملت الدولة بمدينة فاس ومكناس القديمتين، على ترميم بعض المآثر العمرانية المهمة وإسناد وظيفة لها (متحف النجارين - دار الجامعي - ...).
 - ❖ **توظيف مواقع التراث العمراني لمزاولة الصناعة والحرف التقليدية:** يرتبط غالبية الصانع والحرفيين العاملين في صناعة المنتجات التقليدية والتراثية بأنواعها، بمزاولة مهنتهم في أورش ومعامل يكون مقرها أحياناً في الأنسجة العمرانية القديمة، مما يشكل تكاملاً وترابطاً بين الحرفي والمكان الذي يتم فيه صناعة المنتجات الحرفية (مجموعة من الفنادق بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس).
 - ❖ **توظيف مباني التراث العمراني معاهد فنية وثقافية:** يقوم الموسيقيون والفنانون بمزاولة أعمالهم الفنية في مواقع التراث العمراني، ويتم عرضها في هذه المباني التي يرتادها الزوار (باب الماكينة - متحف البطحاء - ...).
 - ❖ **توظيف مباني التراث العمراني مطاعم:** يعمل المستثمرون الخواص بترميم وصيانة المباني التراثية القديمة، بهدف تحويلها إلى مطاعم تقدم فيها الأكلات المحلية.

❖ **توظيف مواقع التراث العمراني قساريات وأسواق:** تستخدم كمواقع لعرض المنتجات التقليدية، يتوافد عليها الزبناء من عدة أماكن (مجموعة من الأسواق بالمدينتين).

❖ **المراكز الخدمية والتجارية في الساحات التاريخية:** يعتبر الاستثمار بإقامة الكثير من المراكز الخدمية الترفيهية والتجارية في الساحات البيئية مطلباً ملحا من مرتادي تلك المواقع، كي تتوافق مع حاجيات وطلبات الساكنة بصورة دائمة. لذلك فإن استثمارها يعتبر من أفضل الفرص المتاحة للقطاع الخاص، خصوصا أن تكاليف إنشائها منخفضة نسبيا (ساحة أبي الجنود - الهديم).

1 - 3 - نماذج من إعادة توظيف المآثر التاريخية بمدينة فاس القديمة

تطور الحفاظ على المآثر التاريخية، وتحول من عمليات تفاعلية انعكاسية تركز على تجنب التغيير في البنية التاريخية، إلى عمليات مرنة متكيفة تساعد المجتمع على فهم وإدراك بيئته التاريخية، وعليه فعملية الحفاظ المستدام على التراث، لم تعد تقتصر على الترميم والإصلاح والصيانة فقط، بل أصبحت تشمل إعادة توظيف مناسب له، واعتبار ذلك وسيلة لحمايته.

1 - 3 - 1 - متحف البطحاء 1915

أمر ليوطي سنة 1915 بجمع مختلف التحف التي تعكس نمط عيش أهل فاس وعاداتهم وثقافة محيطها القروي، ودراستها وعرضها بقصر البطحاء، والذي أعطاه إسم متحف الفنون والعادات¹. وبذلك تعتبر أقدم عملية توظيف معلمة تاريخية بفاس في عهد الحماية الفرنسية، حيث شكل قصر البطحاء فضاءا رئيسيا، لتنفيذ بعض مشاريع السياسة الفرنسية في التعامل مع التراث المحلي، ذي البعد الرمزي والحضاري للساكنة المتشبثة بتقاليدها ومقدساتها. يقع متحف البطحاء في أقصى غرب ضفة القرويين، أمر ببنائه السلطان المولى الحسن الأول سنة 1885 واستكمل تزيينه خلفه السلطان المولى عبد العزيز.

تبلغ مساحة المتحف حوالي الهكتار، ويتوفر على جناحين: جناح غربي يقدم مظاهر من فنون العيش الحضرية والقروية، ويضم 10 غرف؛ وجناح شرقي يبرز فنون الطين والنار ويتكون من 5 غرف، كما يضم المتحف حوالي 7000 قطعة متحفية منها 500 معروضة والباقي محتفظ به، وهي عبارة عن مخطوطات، وقطع نحاسية وخشبية وجبسية، إضافة إلى الرخاميات، والمسكوكات، والحلي، والألبسة، والمنسوجات، والزليج، والخزف،... إلخ (الصورتان رقم 64 و 65).

¹ - VICAIRE, V. (2012), Souvenirs du Maroc, éditions, Afrique-Orient, p 52

الصورتان رقم 64 و65: متحف البطحاء



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

يعتبر متحف البطحاء بمثابة حافظ للهوية الثقافية وللحضارة التاريخية، التي ميزت البلاد بشكل عام ومدينة فاس بشكل خاص.

وبناء على ذلك، فمتحف البطحاء يشكل عصاراة للتاريخ والحضارة والفنون المغربية. فإذا كانت مدينة فاس متحفا حيا يزخر بالصنائع والحرف والفنون والتقاليد، فإن متحف البطحاء عصاراة لما يوجد بهذه الحاضرة الفريدة من نوعها.

وبذلك، يعتبر متحف البطحاء من الوجهات المفضلة أمام السياح الذين يقصدون مدينة فاس، لكونه يقدم لهم الفرصة لاكتشاف الخبرة الثقافية المحلية لفاس.

ولإعطائه إشعاع سياحي وقدرة على جلب أعداد مهمة من الزوار، أدمج المتحف ضمن الأماكن التي تستضيف أمسيات مهمة لأكبر التظاهرات الثقافية المنظمة بالمدينة، على غرار مهرجان فاس للموسيقى العالمية العريقة، ومهرجان الثقافة الصوفية، وتقام هذه الفعاليات تحت ظلال شجرة السنديانة المعمرة بالمتحف.

ينظم المتحف أيضا مناظرتين مهمتين احتفالاً باليوم العالمي للمباني الأثرية، الذي يصادف 18 أبريل، وباليوم العالمي للمتاحف الذي يصادف 18 ماي. وفي إطار الاحتفال بهذه الأيام تنظم أمسيات تشهد حضورا مهما لزوار مغاربة أو سياح أجانب. وهذا يساهم في جذب أعداد مهمة من الزوار وتنشيط القطاع السياحي بمدينة فاس.

1 - 3 - 2- فندق النجارين

شهدت المدينة القديمة لفاس خلال تسعينيات القرن الماضي، ثالث تجربة ضمن إعادة توظيف معلمة تاريخية وتحويلها إلى متحف، وهي ثمرة شراكة غير مسبوقة بين القطاعين العام والخاص؛ حيث عرف فندق النجارين عملية ترميم شاملة، أخذت بعين الاعتبار منذ البداية مسألة تحويل وظيفته، خاصة وأن تصميم هذا النوع من البنايات المشكل أساسا من عدة غرف صغيرة لا يصلح لإنجاز معرض كبير. وبتفاق مع مصالح وزارة الثقافة، وكل الأطراف المعنية بهذا المشروع، رخص للمرممين بإزالة مجموعة من الأسوار الفاصلة بين الغرف حسب التصميم المفترض. في حين أسند تدبير هذا المتحف المخصص لفنون الخشب بموجب اتفاقية إلى مؤسسة كريم العمراني التي مولت للمشروع. وقد شهد فندق النجارين أنشطة عديدة قبل تحويله إلى متحف، حيث استعمل ما بين 1944 و1956 إبان الحماية الفرنسية كمخفر للشرطة، إذ اعتقل به عدد كبير من الوطنيين المغاربة. وتحول ابتداء من سنة 1956 إلى داخلية لإيواء طلبة القرويين، ومع نهاية السبعينات أصبح غير قابل للاستعمال وأغلق بسبب تداعي حالته للسقوط. يعكس متحف فنون وحرف الخشب الذي تحتويه هذه البناية، المصنفة كمعلمة تاريخية منذ 1916 ميلادية، أهم استعمالات الخشب في المغرب، وقد وزعت مجموعاته على الطوابق الثلاث المكونة للبناية حسب منهج تصاعدي، إذ يتم الانتقال تدريجيا من الأخشاب المستعملة في بعض الأغراض الدينية والفنية، كالمنابر، والآلات الموسيقية، والأبواب، والنوافذ، والرفوف صغيرة كانت أو كبيرة... إلخ (الصورتان رقم 66 و67).

الصورتان رقم 66 و67: متحف النجارين



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

مكننت هذه الشراكة بين القطاعين العام والخاص إذن، من إنقاذ معلمة تاريخية مهمة وترميمها وإعادة توظيفها بشكل احترم خصوصياتها وقيمتها التراثية، وفي الوقت نفسه ضمنت صيانتها باستمرار.

1 - 3 - 3 - متحف الأسلحة بالبرج الشمالي

أقدمت السلطات المحلية بعد الاستقلال وبالضبط سنة 1963 على تحويل البرج الشمالي، ذلك الصرح المعماري الضخم والمشرف على فاس البالي، إلى متحف كبير للأسلحة التقليدية والنارية¹. يوجد بالبرج الشمالي، ويشكل إلى جانب أبراج أخرى حزاما دفاعيا لحماية مدينة فاس من التهديدات الأجنبية. وتتعت بعض المصادر هذا البرج ببرج النار، لكونه كان مخصصا للعساكر الذين يستعملون الأسلحة النارية؛ كما استعمله السعديون لإطلاق طلقات المدفعية إيذانا بحلول شهر رمضان أو عيد الفطر، أو للإعلان عن مواعيد الإفطار والسحور خلال شهر الصيام². أسندت مسؤولية تدبيره للجنة المغربية للتاريخ العسكري، التي قامت بتجهيز هذه المعلمة ورد الاعتبار إليها، وقد خصصت الطابق الأرضي الذي يتكون من 15 قاعة للعرض الدائم لمختلف التحف، التي يصل عددها لحوالي 8000 تحفة منها 3000 قطعة صالحة للعرض، والباقي يخضع لترميم³. تم توزيع هذه التحف على سبعة محاور أساسية⁴، كل محور تخصص في نوع معين من الأسلحة التي تعود لتاريخ عريق ولحضارات مختلفة، تعاقبت على حكم مدينة فاس وكذا بلدان أخرى.

¹ - بني هذا البرج على عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي سنة 1582م.

² - فاطمة شكيب (2011): "دار السلاح بفاس أقدم متحف في العالم العربي شيده أسرى برتغاليون"، جريدة الشرق الأوسط، العدد 11744، 23 يناير، على الموقع الإلكتروني: www.classic.alwasat.com

³ - مقابلة حفيظ المقدم مدير متحف الأسلحة بتاريخ 11 دجنبر 2014.

⁴ - المرجع نفسه.

ويضم الجناح الأول ثلاث قاعات، مخصصة للأسلحة البيضاء وتطورها منذ العصور الحجرية إلى نهاية القرن 19م؛ فيما خصص الجناح الثاني بالقاعة رقم 4، لعرض تاريخ الدروع والأسلحة الدفاعية. أما الجناح الثالث فيعرض الأسلحة النارية الفردية، ويركز على التطور التقني لأنظمة إطلاق النار من القرن 16 إلى القرن 19م، في حين خصص الجناح الرابع لتاريخ المدفعية في المغرب خاصة، والعالم عموماً من القرن 14 إلى حدود القرن 19، فيما يبرز الجناح الخامس تطور الأسلحة الفردية خلال القرن 19م، ويركز هذا الجناح على إبراز تطور تقنيات وأنظمة الشحن، وبقاعة الجناح السادس يمكن الوقوف على نماذج من الأسلحة المغربية التقليدية وعلى مظاهر الفروسية في المغرب، والتي تم التركيز على جانبها الثقافي والجمالي (الصورتان رقم 68 و69).

الصورتان رقم 68 و69: متحف الأسلحة بالبرج الشمالي



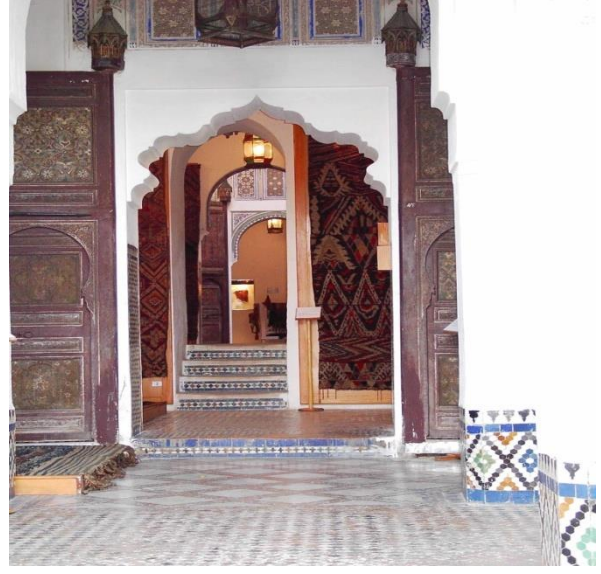
المصدر: تصوير شخصي، 2017.

1 - 4 - نماذج من إعادة توظيف المآثر التاريخية بمدينة مكناس

1 - 4 - 1 - متحف برج بلقاري

يعتبر أحد المتاحف الموضوعاتية بمكناس، هو معرض خاص للفخار بمنطقة الريف وتلال مقدمة الريف، فتحت أبوابه في عام 2004، للمساهمة في تعزيز البنية التحتية للمتاحف في مدينة مكناس، وتعزيز التراث الوطني للمتاحف (الصورتان رقم 70 و71).

الصورتان رقم 70 و71: متحف برج بلقاري بمدينة مكناس



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

يستمد المتحف اسمه من برج بلقاري، الحصن العلوي الذي يحتضنه والذي يعتبر جزءا من الأسوار الإسماعيلية الشهيرة المشيدة من طرف السلطان المولى إسماعيل.

يضم المتحف مجموعة متحفية مهمة من الخزف الريفي، تم تشكيلها بفضل التبادلات مع متاحف أخرى، بالإضافة إلى شراء التحف من ورشات صناعة الفخار، ويضم أيضا معروضات تعتبر تحف أثرية يعود تاريخها إلى ما قبل التاريخ أو العصور القديمة أو الحقبة الإسلامية، وتحف من القرنين التاسع عشر والعشرين، بالإضافة إلى معروضات إثنوغرافية تنتمي إلى مناطق مكناس وزرهون وزان وقرية بامحمد وقبائل التسول بتازة.

نظم المعرض وفق مسار موضوعاتي وزمني، حيث يمكن من إعطاء فكرة واضحة عن تطور تقنيات وأساليب صناعة الفخار الريفي من عصور ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا، ويبتدئ المعرض من الخزف الأثري، وينتهي بخزف أيامنا هاته.

يتسنى للزوار فرصة التعرف والاستئناس بخصائص خزفيات عصور ما قبل التاريخ، وذلك من خلال التحف المتعددة الأشكال والمصنوعة من عجينة الطين والغنية بالديكورات. بعد ذلك، ومن خلال القاعة الثانية، يمكن للزوار اكتشاف فخار فترة ما قبل الإسلام وأخيرا، في القاعة الثالثة، فخار الفترة الإسلامية.

1 - 4 - 2 - متحف دار الجامعي

شيد قصر "دار الجامعي" عام 1299 للهجرة الموافق ل 1882 م، ويعود الفضل في تشييد هذا القصر إلى الوزير الصدر محمد بن العربي الجامعي الذي عاصر السلطان المولى الحسن الأول. كان القصر في البداية يحتوي على حمام ومكان للذبائح وحوانيت وفندق، ويتميز بحديقته (الرياض)، ذات الطراز الأندلسي.

اشترى الفرنسيون الدار سنة 1912 من مالكيها الأخير، وتم استعمال جزء منها كمستشفى عسكري المعروف "بمستشفى لويس". أما القسم الآخر، فقد ضم محكمة عسكرية لمدة قصيرة قبل أن يتحول إلى مصلحة للفنون الأهلية.

وتحولت دار الجامعي سنة 1916 إلى مقر للفنون الجميلة، كما احتضنت بعض المصالح الإدارية المختلفة، قبل أن يتم وضع البناية سنة 1920 كلها رهن إشارة مفتشية الفنون الجميلة التي قامت بدورها بإنشاء النواة الأولى للمتحف، فأصبحت البناية تضم نواة متحفية ودار للصناعة التقليدية. وبعد ذلك تم تصنيف دار الجامعي كمبنى تاريخي بظهير 19-11-1920 تحت اسم "متحف الفنون الأهلية"، وأقيمت مدرسة لتعليم الطرز المحلي بمحاذاته.

أما بعد الاستقلال مباشرة، فانفصلت الصناعة التقليدية عن البناية سنة 1958 وتحولت نهائيا إلى متحف.

يعرض متحف دار الجامعي بشكل دائم الفنون والحرف التقليدية، ويهدف بالأساس حسب هذا التصور الجديد إلى إبراز غنى وتنوع المجموعات المتحفية التي تزخر بها هذه المؤسسة، اعتمادا على تحديد وظيفة كل قاعة في ارتباط وثيق بالهوية السوسيو-ثقافية لسكان المدينة. وهكذا يعرض الطابق السفلي للمتحف، والذي يتألف من فناء وقاعات ومطبخ، مختلف الحرف التقليدية التي تميز المدينة وتشمل:

- فن الخشب بنوعيه المنقوش والمصبوغ، وخشب الهندسة المعمارية، وخشب الأثاث المنزلي؛
- بعض النماذج الغنية من طرز مكناس، ومن اللباس التقليدي وبعض الأحزمة الحريرية النفيسة، والحلي الحضرية؛
- نماذج من خزف مكناس، وبعض الأواني النحاسية، والحدادة التقليدية، وبعض التحف المصنوعة وفق التقنية الدمشقية؛
- جناح خاص بفنون "الفروسية" التي اشتهرت بها مدينة مكناس لسنوات عديدة.

أما الطابق العلوي للمتحف، فيعتبر معرضاً نموذجياً لقاعة استقبال بأثاث تقليدي على النسق المتبع خلال أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومخطوطات يعود أقدمها إلى القرن السابع عشر.

الصورة رقم 72: متحف دار الجامعي بمدينة مكناس



المصدر: تصوير شخصي، 2018.

1 - 5 - دور الضيافة وسيلة أخرى للحفاظ على التراث العمراني وتحقيق التنمية السياحية

تتنافس مختلف الدول باستمرار في تقديم منتجاتها السياحية بهدف تحفيز تدفق السياح، وتماشياً مع هذا التطور في العرض السياحي، عمل المغرب على تنويع منتوجه السياحي لمنافسة العروض الأجنبية. وأصبح المستثمر يبحث عن خلق بعض المنتجات غير الاعتيادية ذات الخصائص المحلية المميزة لاستقطاب السائح؛ وهكذا برزت في السنوات الأخيرة ظاهرة تحويل المنازل القديمة إلى دور الضيافة، التي تقترح إقامة بسيطة تختلف عن خدمات الفنادق، لكن بتجربة مميزة وفريدة.

وقد أصبحت مع مرور الوقت عنصراً حيوياً، يدفع بقطاع السياحة نحو التطور، وجعله يلعب دوراً مهماً في تعزيز النشاط الاقتصادي والاجتماعي، من خلال خلق فرص الشغل وجلب العملة الصعبة. وقد شهدت المدينتين في العقدين الأخيرين ميلاد مشاريع سياحية مهمة، همت بالأساس تحويل بعض المنازل العتيقة إلى دور للضيافة بعد القيام بترميمها. ويتعلق الأمر هنا بمنازل تاريخية مهمة، تعد شاهداً على تطور البناء بالمغرب عموماً، وبالمدينتين على وجه الخصوص، من حيث تنظيمها المجالي وعناصرها الزخرفية والمعمارية، إلا أن استغلالها كدور للضيافة، يقتضي الاستجابة لعدة معايير ترتبط بمبادئ الرفاهية والسلامة والصحة والولوجية¹، مما يستدعي إجراء تغييرات في شكلها، ويشمل ذلك مثلاً

¹ - مرسوم رقم 1751.02 الصادر بتاريخ 23 شوال 1424 الموافق ل 18 دجنبر 2003.

الزيادة في علوها، وبناء أسوار فاصلة داخل غرفها الكبيرة، وتجهيزها بحمامات خاصة، وفتح أبواب ثانوية وممرات ومصاعد ومساح.

1 - 5 - 1 - دور الضيافة بالمدينة القديمة لفاس

تم خلق مشاريع سياحية بالمدينة القديمة، لتعزيز قدرة مدينة فاس الإيوائية، من خلال تحويل مجموعة من الدور التقليدية، التي تعبر عن روائع الهندسة المعمارية والتراثية العربية الإسلامية الأندلسية، إلى مجالات إيوائية مميزة وذات جودة عالية؛ حيث تم تحويل كل من قصر المقر، ودار الكلاوي، ودار با محمد الشركي إلى دور ضيافة لاستقبال السياح الراغبين في التعرف على خصوصيات المدينة القديمة. يوجد حاليا ما يقارب 116 دارا للضيافة بمدينة فاس، معظمها ذات ملكية مشتركة. ومع نجاح خيار السياحة العائلية، ازدادت المضاربات العقارية بشكل مهول، ومعها ارتفاع أسعار بيع المنازل التي تضاعفت عشر مرات خلال خمس سنوات (الخريطة رقم 31).

توفر اليوم دور الضيافة منتوجا سياحيا فريدا؛ إذ تعتبر وحدات فندقية متميزة بتموقعها وبطابعها الخاص في استقبال الضيوف الوافدين (الصورتان رقم 73 و74). وقد تم إنشاء أول دار للضيافة بفاس سنة 1997 (دار الزرقاء). وفي عام 2005 تجاوز العدد أكثر من 33 دارا للضيافة في المدينة القديمة لفاس.

الصورتان رقم 73 و74: نموذج لدور الضيافة بمدينة فاس



المصدر: تصوير شخصي، 2017.

1 - 5 - 2 - دور الضيافة بمدينة مكناس والقصبة الإسماعيلية

تعتبر مدينة مكناس متأخرة جدا في هذا المجال، ففي سنة 2007 شهدت المدينة ولادة أولى دور الضيافة، وفي سنة 2014 أصبح عدد هذه الدور 18 دارا، ليصل سنة 2017 إلى 29 دارا حسب البحث الميداني ومعطيات مندوبية السياحة. وتقع أغلب هذه الدور بالمدينة القديمة لمكناس (الخريطة رقم 32). وفي هذا الصدد، نشير إلى المجهودات المبذولة من طرف المستثمرين الخواص في ترميم وإصلاح عدد من الدور التقليدية، بعد ما كانت آيلة للسقوط، وتحويلها إلى دور راقية للضيافة، 16 منها أصبحت جاهزة و120 توجد في طور الإنجاز، وهي بعد كل هذه التجارب الرائدة تنير الطريق لمبادرات أخرى في أفق تسويق أفضل للمنتوج السياحي¹.

ويعتبر الوعاء العقاري أهم الأسباب التي شجعت المستثمرين سواء المغاربة أو الأجانب على انتشار دور الضيافة، وذلك بتحويل هذه الدور وتغيير وظيفتها الاجتماعية إلى وظيفة سياحية إيوائية ومؤسسات اقتصادية.

¹- سمية لحلو، 2002، تأهيل السياحة رهين بتصحيح عمران المدينة، مجلة البرج، عدد خاص، ص:2.

لقيت تجربة تحويل المنازل التقليدية إلى دور للضيافة نجاحا كبيرا، إذ أصبحت هذه الظاهرة تستقطب المستثمرين الأجانب على المغاربة، حيث تم تحويل عدد كبير من الرياضات التي تم شراؤها إلى دور ضيافة، وهو ما شجع المستثمرين في الخوض في هذه التجربة، فأغلب هذه الاستثمارات هي في ملك الخواص، الذين لهم دراية بالسياحة.

2 - تقييم عمليات التدخل ورد الاعتبار وإعادة التوظيف بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس

تعتبر أهمية تحسين المشهد الحضري، وعمليات رد الاعتبار بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس، إحدى أهم الإشكالات والتحديات الكبرى التي تواجه مختلف الفاعلين السياسيين والاقتصاديين على مستوى الوطني والمحلي، وذلك بالنظر للقيمة التراثية والمكانة التاريخية التي تحتلها المدينتين.

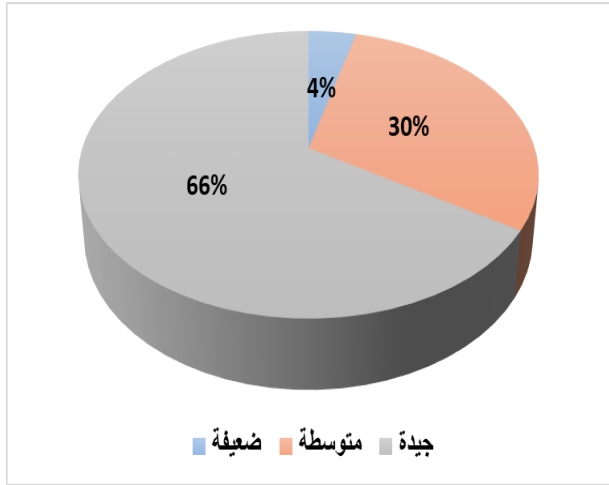
وعلى هذا الأساس تم القيام بمجموعة من المشاريع، همت إعادة الاعتبار وإعادة توظيف بعض مكونات التراث العمراني والمعماري. ومن أجل فهم واستخراج مدى فعالية هاته البرامج في تحقيق التنمية المحلية، قمنا بعمل ميداني تم من خلاله توجيه مجموعة من التساؤلات لساكنة المدينتين وزوراهما، سواء محليين أو أجانب، بالإضافة إلى تساؤلات تم توجيهها إلى الصناع التقليديين والحرفيين.

2 - 1 - تمثلات الساكنة لإعادة توظيف المباني التاريخية بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس

لمعرفة مدى رضى المستجوبين على مشاريع رد الاعتبار وإعادة التوظيف، قمنا أولا باستطلاع يهم ما مدى معرفة الساكنة بتراثهم العمراني المتواجد بالمدينتين؛ ويلاحظ من خلال الشكلين رقم 34 و35 أن معرفة الساكنة ووعيتها بالتراث العمراني المتواجد بالمدينتين، معرفة جيدة تصل حوالي 66 % بفاس، في حين نجد نسبة ضعيفة لا تتجاوز 4 % ليست لها دراية بهذا التراث المتواجد بالمدينة القديمة لفاس؛ في حين ترتفع هذه النسبة بمدينة مكناس حيث بلغت 20 %، وحوالي نصف الفئة المستجوبة هي من لها علم ووعي بالتراث العمراني المتواجد بالمدينة القديمة لمكناس.

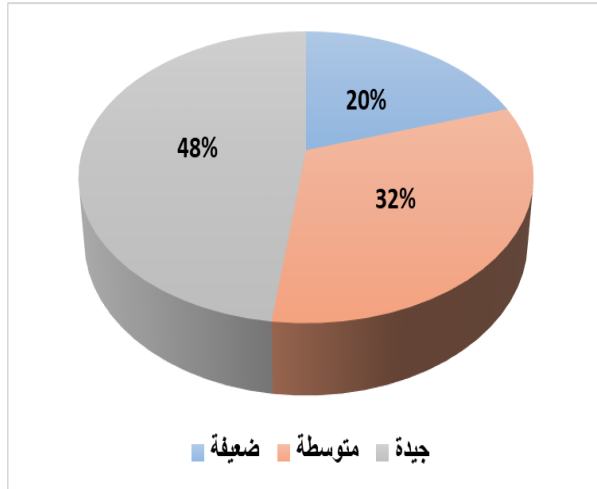
الشكل رقم 34: مدى معرفة الساكنة بالتراث العمراني

بفاس



الشكل رقم 35: مدى معرفة الساكنة بالتراث العمراني

بمكناس

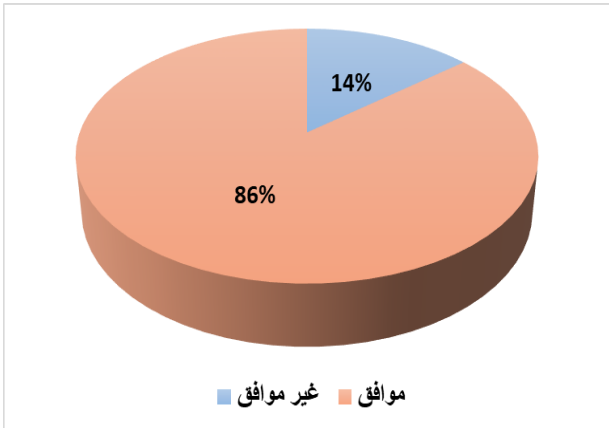


المصدر: العمل الميداني، 2016.

أما فيما يخص عمليات إعادة توظيف بعض مكونات التراث العمراني بالمدينتين، فمن خلال العمل الميداني يتضح أن البرامج التي عرفتھا المدينتين القديمتين قد حققت المبتغى منها ورضى المواطنين، وهو ما يتأكد لنا من خلال ارتفاع نسبة الفئة المستجوبة التي أبدت موافقاتها ورضاها حيث بلغت 86 % بالمدينة القديمة لفاس، و80 % بالمدينة القديمة لمكناس (الشكلين رقم 36 و37).

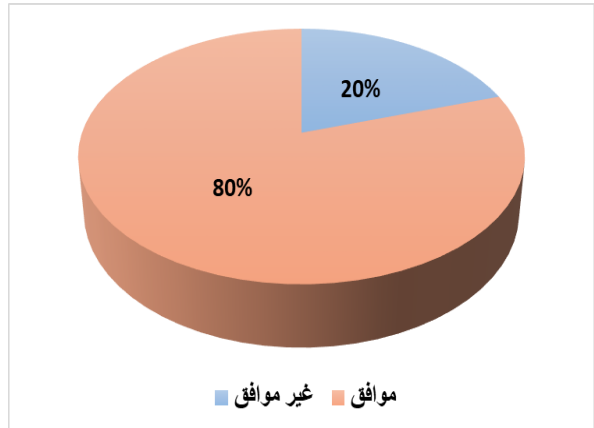
الشكل رقم 36: تمثلات الساكنة حول رضاها على مشاريع

إعادة التوظيف بالمدينة القديمة لفاس



الشكل رقم 37: تمثلات الساكنة حول رضاها على

مشاريع إعادة التوظيف بالمدينة القديمة لمكناس



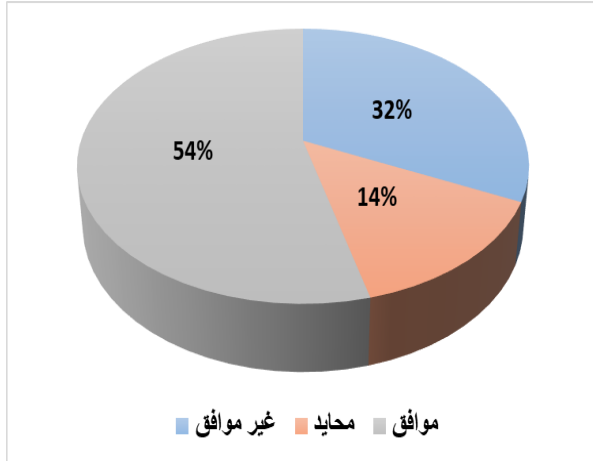
المصدر: العمل الميداني، 2016.

ويستدل على ارتفاع هذه النسب من خلال عملية الإصلاح والترميم التي استفادت منها مجموعة من المآثر والمباني التي كانت على درجة متقدمة من التدهور، وبعد عملية التدخل زال الخطر الذي كان يهددها، ووظفت في مشاريع بدأت تحقق جزءا من التنمية المحلية.

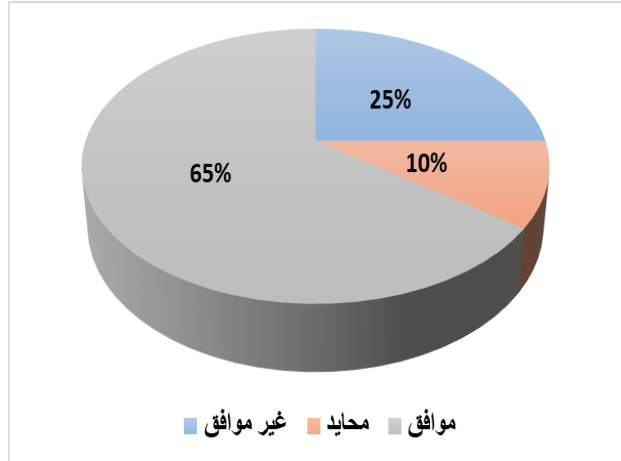
2-2- توظيف المباني التراثية في التنمية المحلية

تلعب المآثر العمرانية دورا مهما في تطوير وتنمية السياحة بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس، من خلال استقطاب عدد متزايد من السياح الذين يتوافدون عليهما، سواء فيما يتعلق بالسياحة الداخلية أو الخارجية؛ وقد ساهم التراث العمراني المتنوع المتواجد بالمدينتين في تحقيق التنمية إلى حد كبير، وهو ما يتضح من خلال رد فعل الساكنة المحلية المستجوبة، التي أبدت فكرة كون المآثر التاريخية تساهم في خلق التنمية المحلية، فقد أبدى 65 % منهم تأييدهم للفكرة بالمدينة القديمة لفاس و54 % بالمدينة القديمة لمكناس، في حين نجد 25 % و32 % على التوالي بمدينتي فاس ومكناس القديمتين غير موافقة على هذه الفكرة (الشكلين رقم 38 و39).

الشكل رقم 39: تمثلاث الساكنة حول دور المباني التراثية في تحقيق التنمية بالمدينة القديمة لمكناس



الشكل رقم 38: تمثلاث الساكنة حول دور المباني التراثية في تحقيق التنمية المحلية بالمدينة القديمة لفاس



المصدر: العمل الميداني 2016.

إن ارتفاع نسبة المستجوبين التي تؤيد فكرة دور المباني التراثية في تحقيق التنمية، يؤشر على مدى وعي الساكنة بأهمية هذا التراث، وهو ما سينعكس على كيفية التعامل معه، وستزداد معه أيضا الوعي بضرورة المحافظة عليه.

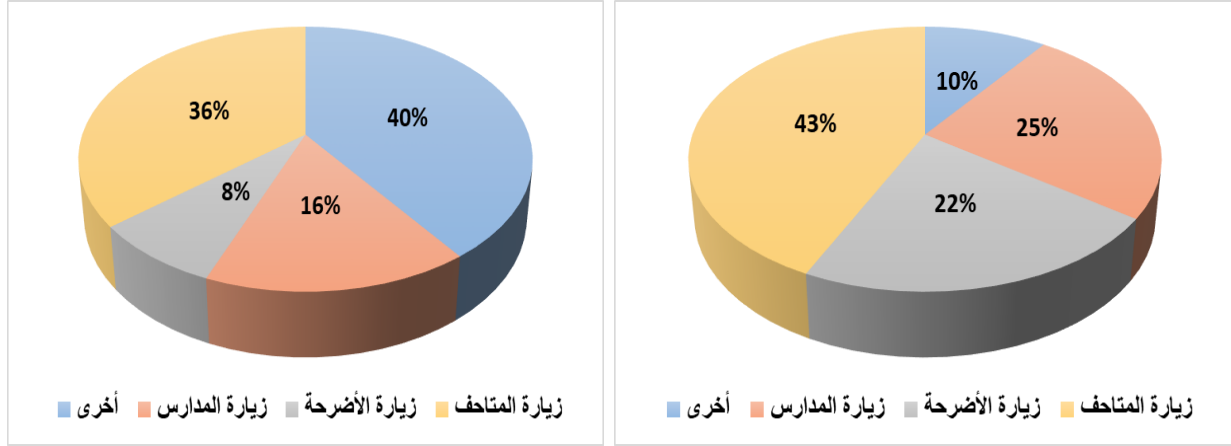
2-3- الأنشطة الممارسة من طرف السياح خلال زيارتهم للمدينة الأصيلة

2-3-1- تنوع البرنامج السياحي لزوار المدينتين القديمتين فاس ومكناس

يتقاطر السياح، مغاربة كانوا أو أجانب، لزيارة مدينتي فاس ومكناس والاستمتاع بسحرهما الذي يعكسه موروثنهما الغني عبر قرون من الزمن؛ فالمدينتين القديمتين لفاس ومكناس تشكل اليوم متحفا حيا يجذب هؤلاء السياح من مختلف البقاع.

ويتنوع البرنامج السياحي الممارس من طرف السياح عند زيارتهم، ويسجل تباين واضح بين أماكن الزيارة ما بين فاس ومكناس، وهذا ما يوضحه الشكلين رقم 40 و 41:

الشكل رقم 40: تنوع البرنامج السياحي لزوار المدينة القديمة بفاس
الشكل رقم 41: تنوع البرنامج السياحي لزوار المدينة القديمة بمكناس



المصدر: العمل الميداني 2016.

إن ما يثير الانتباه من خلال الشكلين رقم 40 و 41، هو الحضور القوي للزوار الأجانب بالمتاحف حيث عبر عن ذلك 43 % بالمدينة القديمة لفاس، في حين تقل هذه النسبة بالمدينة القديمة لمكناس وتصل فقط 34 %. بينما الزوار الذين تستهويهم زيارة الأضرحة تقدر ب 22 % بالمدينة القديمة لفاس و 8 % فقط بالمدينة القديمة لمكناس، وترتفع نسبة الزوار بالمدينة القديمة لمكناس إلى مجموعة من الأماكن غير الأضرحة والمتاحف، ويتعلق الأمر بساحة الهديم وصهريج السواني وسجن قارا وتصل هذه النسبة حوالي 40 %.

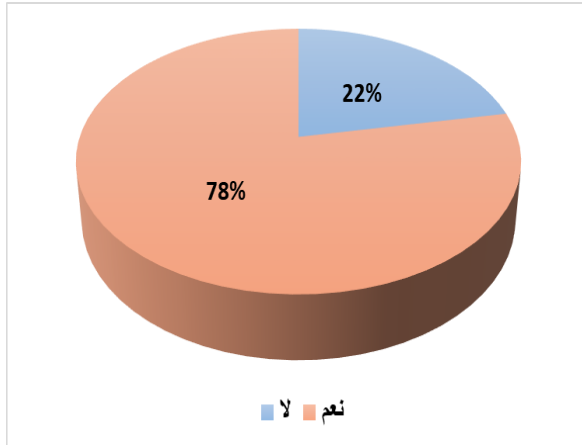
وبالرغم من كون دور الأسواق التقليدية بدأ يضمحل شيئاً ما في ظل وجود الأسواق التجارية الكبرى، إلا أن المحلات التجارية وبعض الأسواق التي أعطت لدروب المدينة صبغة خاصة لا تزال تنبض بالحياة، وتمثل الإطار الأنسب للممارسة السياحية، كما عبرت عن ذلك فئة قليلة من زوار المدينتين.

2-3-2- موقف ورغبة زوار المدينتين القديمتين فاس ومكناس من تكرار الزيارة

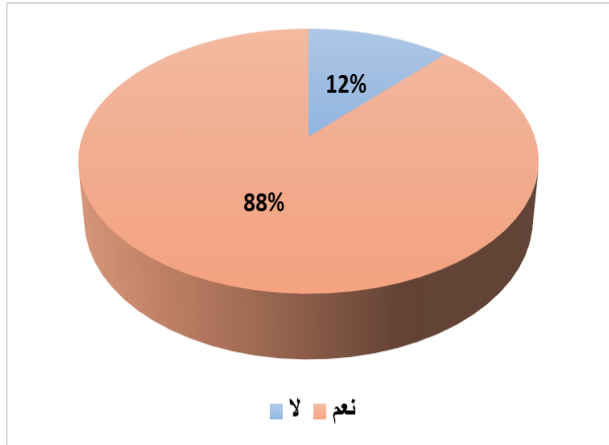
إن غنى المدينتين بمختلف المؤهلات التراثية، ساهم بشكل كبير في رغبة الزوار والسياح في تكرار زيارتهم، وهو ما عبر عنه 88 % ممن زاروا المدينة القديمة لفاس، و 78 % بالمدينة القديمة لمكناس، وذلك لانبهارهم وإعجابهم بما تتوفر عليه المدينتين (الشكلين رقم 42 و 43).

في حين عبرت نسبة 12 % من الزوار بفاس، و22 % بمكناس عن استيائهم من بعض تصرفات بعض المرشدين السياحيين، ومن احتيال بعض التجار عليهم، فضلا عن تخوفهم من المرور بمحاذاة المباني الآيلة للسقوط.

الشكل رقم 43: توزيع الزوار حسب رغبتهم في تكرار الزيارة للمدينة القديمة لمكناس



الشكل رقم 42: توزيع الزوار حسب رغبتهم في تكرار الزيارة للمدينة القديمة لفاس



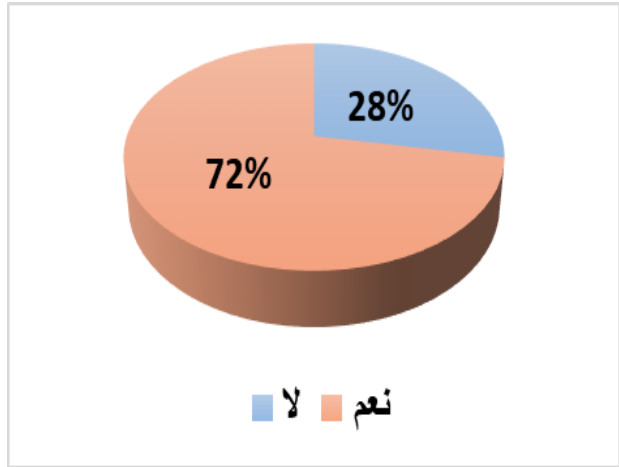
المصدر: العمل الميداني، 2016.

من المؤكد أن ارتفاع نسبة الزوار الذين يرغبون في تكرار زيارتهم للمدينتين القديمتين فاس ومكناس، سيساهم في زيادة إشعاع المدينتين على المستوى الدولي. كما أن ارتفاع هذه النسب يؤشر على مدى رضى هؤلاء الزوار للخدمات الموفرة لهم، وعلى كون المدينتين تتوفران على مؤهلات تراثية مهمة تستحق الزيارة مرة ومرتين وأكثر، شريطة معالجة بعض السلوكات الممارسة من طرف بعض التجار والمرشدين السياحيين، وكذلك معالجة إشكالية الدور المهددة بالانهيار.

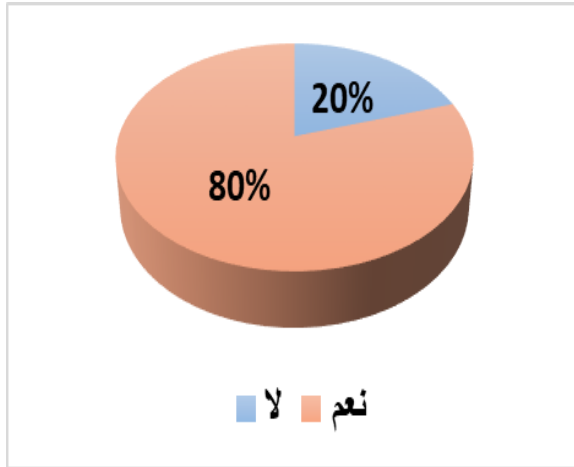
2-4- الآثار الإيجابية لعمليات الترميم على المستوى والاقتصادي

ساهمت مشاريع رد الاعتبار وإعادة التوظيف التي عرفها النسيج القديم بالمدينتين القديمتين في خلق فرص عمل دائمة؛ بالإضافة إلى كونها وفرت فرص شغل مؤقتة في مجال أعمال البناء، والنجارة، والنقش على الجبس...، كما وفرت فرص شغل دائمة لبعض الفئات، كالموظفين داخل المعالم التاريخية، أو الذين يشتغلون داخل دور الضيافة وكذا الصناعات التقليدية.

الشكل رقم 44: توزيع الساكنة حسب تمثلاتها للآثار الاقتصادية لعملية رد الاعتبار بالمدينة القديمة لفاس



الشكل رقم 45: توزيع الساكنة حسب تمثلاتها للآثار الاقتصادية لعملية رد الاعتبار بالمدينة القديمة لمكناس



المصدر: العمل الميداني، 2016.

يتضح من خلال الشكلين رقم 44 و 45، أن الصبغة الطاغية على شهادات الساكنة حول وقع عمليات الترميم، تتمثل في البعد الإيجابي للانعكاسات الاقتصادية لعملية الترميم، حيث نجد نسبة 72 % بالمدينة القديمة لفاس و 80 % بالمدينة القديمة لمكناس، في حين نجد نسبة 28 % و 20 % على التوالي بفاس ومكناس هم فقط من لهم رؤية سلبية للانعكاسات الاقتصادية لعمليات رد الاعتبار.

ويرجع السبب في ارتفاع هذه النسب، لكون المستجوبين على يقين تام بكون الشكل الحالي للمدينتين بعد عمليات الترميم ورد الاعتبار، ستساهم بشكل كبير في جلب المزيد من السياح والزوار للمدينتين، وهو ما سيحقق التنمية المحلية، وبالتالي تحسين وضعية ساكنة المدينتين والعاملين بها.

2-5- تمثلات السكان بالنسبة للآثار الاجتماعية لمشاريع رد الاعتبار بالمدينتين القديمتين

فاس ومكناس

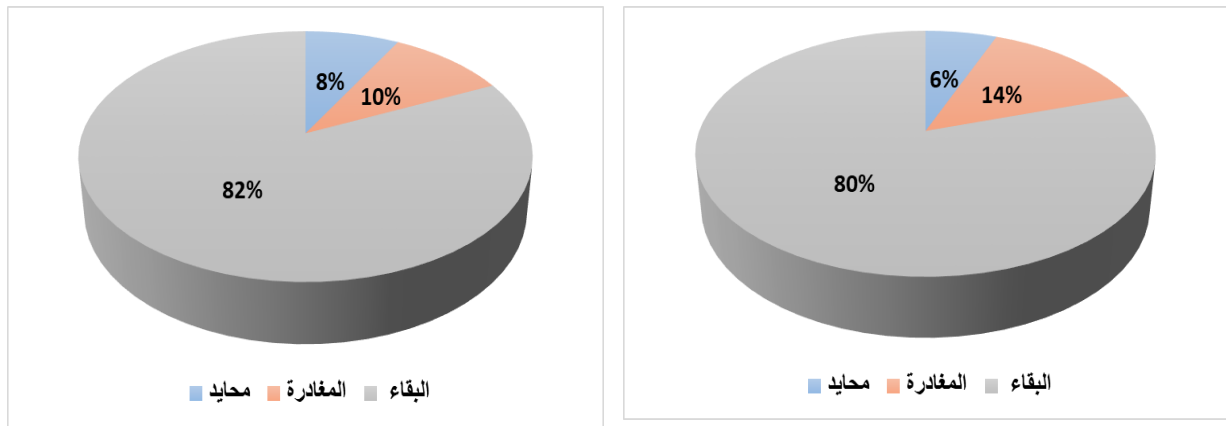
يتضح من خلال البحث الميداني أن السكان المحليين للمدينتين القديمتين فاس ومكناس، عبروا عن رضاهم وإعجابهم بالتغيرات التي طرأت على المدينتين من خلال مشاريع رد الاعتبار وإعادة التوظيف، وعن تشبثهم الشديد بالتواجد ضمن هذا الإصلاحات، حيث نجد 80 % منهم عبروا عن رغبتهم في البقاء داخل النسيج القديم لمدينة فاس، و 82 % بالنسيج القديم لمدينة مكناس.

ويرجع السبب في ارتفاع هذه النسب، لكون هؤلاء المستجوبين زال عنهم الشعور بالخوف من خطر الانهيارات ودرجات التدهور المباني التي كانت تهدد حياتهم.

في حين نجد 14 % بالمدينة القديمة لفاس و 10 % بالمدينة القديمة لمكناس مصرين على مغادرة هذا النسيج متى سنحت لهم الفرصة، بينما نجد 6 % و 8 % على التوالي بالنسيج القديم لفاس ومكناس لا يبالون بالبقاء أو مغادرة هذا النسيج (الشكلين رقم 46 و 47).

كما عبرت نسبة كبيرة جدا من التجار والحرفيين بالمدينتين وصلت لأزيد من 90 % عن إعجابهم ورضاهم عن مشاريع الترميم التي شهدتها المدينتين، خصوصا بالمدينة القديمة لفاس (قيسارية الكفاح) بعد انتهاء الأشغال والجمالية التي أصبحت عليها واجهات المحلات والأزقة، بعدما كانوا في وقت سابق رافضين للأشغال.

الشكل رقم 46: توزيع السكان حسب رغبتهم في البقاء بالمدينة القديمة لفاس
الشكل رقم 47: توزيع السكان حسب رغبتهم في البقاء بالمدينة القديمة لمكناس



المصدر: العمل الميداني، 2016.

ويرجع تشبث الساكنة بالبقاء في النسيج العمراني القديم على مستوى المدينتين وعدم مغادرته، لنجاح برامج ومشاريع التدخل ورد الاعتبار، وخصوصا برنامج معالجة المباني المهددة بالانهيار، الذي ساهم في الحد من تدهور الإطار المبنى والحد من خطورة انهياره.

2-6- تقييم الساكنة بالمدينتين القديمتين بفاس ومكناس للعمليات التقنية التي شهدتها

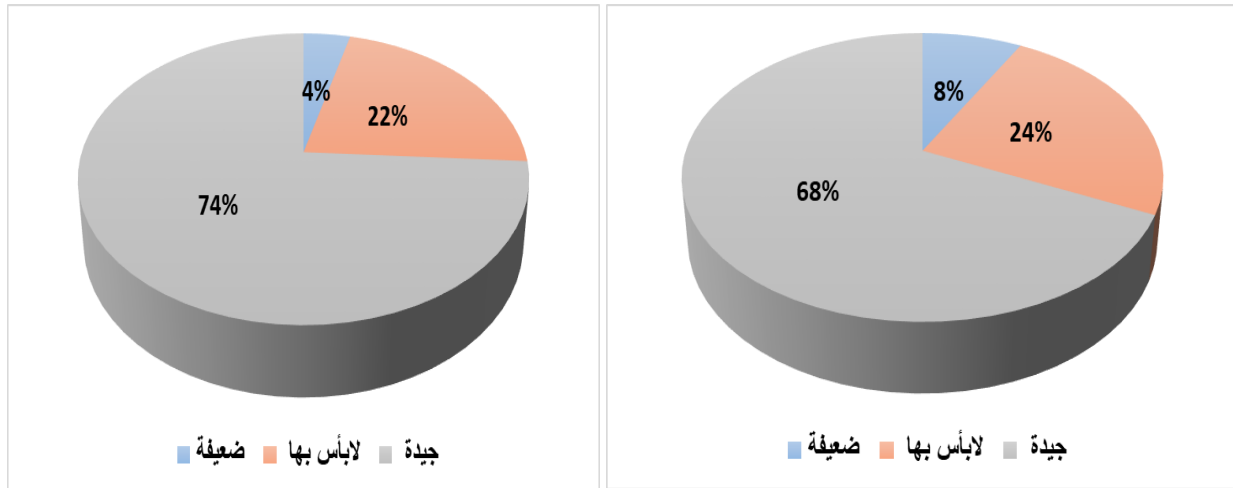
المباني المهددة بالانهيار

شكل تفاقم وتطور السكن المهدد بالانهيار خلال العقود الأخيرة، والخطورة التي شكلتها على الساكنة المحلية وزوار المدينتين، عوامل أساسية لتدخل الدولة والفاعلين بهذا المجال، بغية التقليل من خطورة هذه الظاهرة.

وهكذا تمت برمجة مجموعة من البرامج في إطار الشراكة بين جميع الفاعلين على المستوى الوطني وعلى مستوى المدينتين، لتقليل من خطورة هذه الإشكالية. هاته البرامج استطاعت إلى حد ما

الحد من تداعياتها الخطيرة، ولقيت استحساننا من طرف الساكنة، وهو ما يتضح من خلال آراء الساكنة بالمدينتين القديمتين (الشكلين رقم 48 و 49).

الشكل رقم 48: تقييم الساكنة لبرامج معالجة السكن المهدد بالانهيار بالنسيج القديم لفاس
الشكل رقم 49: تقييم الساكنة لبرامج معالجة السكن المهدد بالانهيار بالنسيج القديم لمكناس



المصدر: العمل الميداني، 2016.

يلاحظ من الشكلين رقم 48 و 49، أن حوالي 68 % من السكان بالمدينة القديمة لمكناس يعتبرون تدخل الدولة تدخلا جيدا، و 74 % بالمدينة القديمة لمكناس، في حين نجد نسبة ضعيفة من السكان يعتبرونه ضعيفا (8 % بالمدينة القديمة لفاس و 4 % بالمدينة القديمة لمكناس)، أما نسبة الساكنة التي تعتبر تدخل الدولة تدخلا لا بأس به ويحتاج فقط إلى إشراكهم، نجد 24 % بالمدينة القديمة لفاس و 22 % بالمدينة القديمة لمكناس.

هاته النسب المرتفعة والتي تؤشر على رضى الساكنة بهاته البرامج، تؤكد وبالملموس نجاح هذه المشاريع في إيقاف نزيف الإنهيارات، والحيلولة دون وقوع ضحايا جدد، وبالتالي عودة الروح إلى المدينة القديمة وبعث الطمأنينة في صفوف ساكنتها وزورها.

إلا أنه وبالرغم من هذه المجهودات، فلا زالت العديد من البنايات مدعمة وتستوجب تدخلا سريعا، وهو ما يستوجب الإسراع في إتمام هاته البرامج، والقضاء على هذا النوع من السكن والحد من خطورته.

3 - التراث العمراني والتنمية السياحية بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس

يشكل غنى وتنوع التراث المغربي دعامة أساسية في الترويج للمغرب كوجهة سياحية، وقد اعتبر المغرب قطاع السياحة، قطاعا ذو أهمية ضمن اختياراته الاقتصادية منذ نهاية الستينيات، ويعد بذلك

وجهة متوسطة رائدة في السياحة الجديدة آنذاك، متجاوزا باقي دول الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، لكنه لم يستفد إلا قليلا من الاستثمار المبكر في السوق السياحية الدولية¹. ويساهم التراث بمختلف أشكاله في التنمية السياحية، التي ترتبط بالمكان ارتباطا وثيقا من حيث القيمة والأهمية والخصائص البيئية والجمالية؛ وللوصول إلى هذه التنمية لا بد من تثمين التراث والحفاظ عليه.

3 - 1 - أهمية القطاع السياحي بمدينة فاس ومكناس ورهانات التنمية

تتوفر المدن القديمة ومن ضمنها فاس ومكناس على جميع مقومات الجذب السياحي، فإلى جانب الموارد التراثية التاريخية المهمة التي تزخر بها الجهة، نجد المقومات الطبيعية والبشرية، التي تتنوع ما بين الموقع الجغرافي، المناخ، التضاريس، الأنهار والعيون...، والتي تعتبر من أهم الركائز التي تزيد من قوة الجذب السياحي، بحيث كلما تنوعت هذه المقومات، كلما شكلت عامل جذب سياحي هام، والتي تستوجب التفكير والعمل على كيفية استغلاله على أحسن وجه.

مكنت المؤهلات التاريخية والبشرية التي تتمتع بها مدينة فاس من استقبال عدد مهم من السياح على مدار السنة، فقد عرف القطاع السياحي بفاس حركة مهمة في عدد السياح الوافدين، فقد سجلت سنة 2010 توافد 176351 سائح قضوا 85491 ليلة، ليبلغ في سنة 2014 حوالي 176351 قضوا 92095 ليلة، ثم ارتفع سنة 2015 إلى 190184 سائح قضوا 94337 ليلة. وقد استقبلت المدينة سنة 2018 حوالي 587418 سائح، مقابل 502748 سائح سنة 2017 أي بنسبة نمو 17%².

وعلى غرار مدينة فاس، استقبلت مدينة مكناس عددا مهما من السياح، حوالي 128067 سائح سنة 2016 قضوا 199461 ليلة، في حين استقبلت المدينة سنة 2017 حوالي 151626 سائح قضوا 227199 ليلة، فيما عرفت سنة 2018 استقبال ما مجموعه 165829 سائح بنسبة نمو بين سنتي 2017 و2018 نسبة 9%³.

¹- جون فرانسوا تروان (2006): المغرب مقارنة جديدة في الجغرافية الجهوية، ترجمة علي ابتاحماد وإدريس اليوشاري، مطبعة طارق للنشر، ص 317.

²- مرصد السياحة <http://www.observatoiredu tourisme.ma>

³- نفسه.

3-2- دور المشاريع السياحية في رد الاعتبار للمدينتين القديمتين فاس ومكناس

يعد القطاع السياحي قاطرة للتنمية وعاملا من عوامل التطور الاقتصادي، فهو يعتبر أحد أهم مصادر الدخل للاقتصاد الوطني، حيث يساهم في الناتج المحلي الإجمالي، كما يساهم في زيادة إيرادات العملة الصعبة وجلب رأس مال المستثمرين.

تعتبر مدينتا فاس ومكناس القديمتان من الوجهات السياحة بامتياز، سواء على المستوى الدولي أو الوطني، نظرا لما تزخر به من مكونات عمرانية غنية راكمتها على مر السنين، وجعلهما تحظيان بالاهتمام والتمويل المطلوب من طرف جميع المتدخلين من مختلف القطاعات في ترميم وتأهيل تراثهما العمراني. وهو ما مكن من خلق إشعاع حضاري إضافي ومتواصل لهما، وساهم في دمج مكوناتهما التراثية في إطار مشروع سياحي إنتاجي، يهدف إلى حماية هذا التراث واستغلال جوانبه الإيجابية، وإحداث منافع وقيم إضافية تفيد المدينتان وساكنتهما.

3-2-1 - دور الضيافة ودورها في تحقيق التنمية السياحية

تعتبر السياحة أداة للتنمية والانتعاش الاقتصادي من خلال جلب الاستثمار الأجنبي، فلا يمكن للمرء أن ينكر ما تدره السياحة على المدينة بشكل عام، وللمدينة القديمة على وجه الخصوص، سواء على المستوى الاقتصادي والاجتماعي.

إن التنمية السياحية بمدينتي فاس ومكناس، ينبغي أن تتحقق انطلاقا من توفير منتج سياحي متنوع ومتكامل، يمكن تسويقه كمنتج سياحي قائم بذاته، قادر على الانتقال بالمدينتين من سياحة العبور إلى سياحة الإقامة.

3-2-1-1 - الآثار الاقتصادية لدور الضيافة بمدينتي فاس ومكناس

ساهمت دور الضيافة إلى جانب باقي المشاريع السياحية الأخرى في إنعاش التنشيط السياحي بمدينتي فاس ومكناس القديمتين، من خلال تنويع المنتج المقدم للسياح وزوار المدينتين، كتنظيم الحفلات الموسيقية، وفنون الطبخ المغربي الأصيل.

وقد استطاعت دور الضيافة تحقيق مجموع من النتائج الإيجابية، على مستوى تحقيق التنمية المحلية بمدينتي فاس ومكناس، من خلال مجموعة من المؤشرات، منها:

أ - زيادة الاستثمارات في هذا القطاع بالمدينتين

ساهم ظهور دور الضيافة في زيادة عدد الاستثمارات لا سيما الأجنبية منها، فأصحاب دور الضيافة ليسوا من المغاربة فقط، بل يوجد من ضمنهم أيضا أشخاص أجانب، فضلوا الاستقرار بالمدينتين من أجل الاستثمار في هذا النوع من وحدات الاستقبال التقليدية.

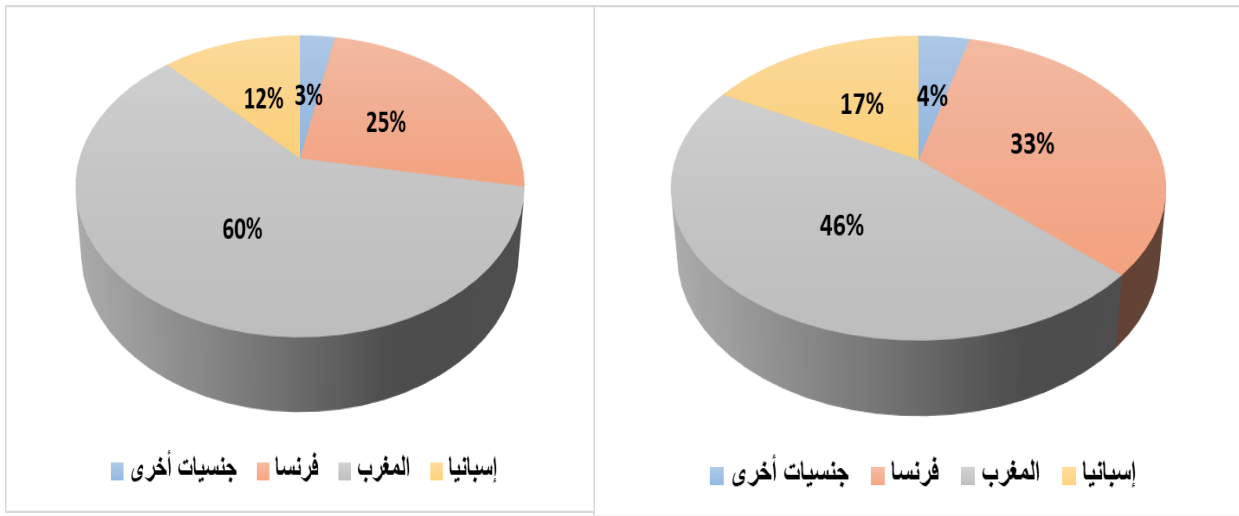
اقتصرت ملكية هذه الدور فيما قبل على المغاربة فقط، لكنها اليوم أضحت في ملكية مختلف الجنسيات وخاصة الفرنسيين والإسبانيين (الشكلين رقم 50 و 51).

الشكل رقم 50: توزيع مالكي دور الضيافة المصنفة بمدينة

الشكل رقم 51: توزيع مالكي دور الضيافة المصنفة

بمدينة مكناس حسب جنسياتهم

فاس حسب جنسياتهم



المصدر العمل الميداني، 2016.

يلاحظ من خلال الشكلين السابقين رقم 50 و 51 أن نسبة دور الضيافة التي توجد في ملكية المغاربة تقترب من النصف 46 % في مدينة فاس، وتتجاوز النصف بمدينة مكناس 60 %، متبوعة بالفرنسيين الذين تصل نسبتهم إلى 33 % بمدينة فاس و 25 % بمكناس، في حين نجد الإسبان في المرتبة الثالثة بنسبة 17 % و 12 % على التوالي بمدينتي فاس ومكناس القديمتين، في حين نجد نسبة ضعيفة من دور الضيافة لا تتجاوز 4 % و 3 % على التوالي في ملكية جنسيات أخرى خاصة الإيطاليين منهم.

وتؤكد هذه الأرقام، أهمية الرأس مال الأجنبي إلى جانب المغربي في هذا المجال، وخصوصا الاستثمارات الفرنسية والإسبانية، كما يتضح أيضا هو بروز جنسيات أخرى تستثمر في هذا القطاع، وهو ما يؤكد أهميته ودوره الواعد في تحقيق التنمية السياحية بالمدينتين.

ب- تحسين مستوى معيشة السكان

مكنت دور الضيافة السكان المحليين من الاستفادة من النمو الاقتصادي الذي تولده، شريطة أن تدمج هذه الأخيرة في جزء كبير من الأنشطة التي تتطور هناك. بالإضافة إلى ذلك انفتاح وتواصل الساكنة على ثقافات أخرى، الذين ظلوا لفترة طويلة منغلقيين على أنفسهم بين جدران المدينة القديمة. كما ساهمت هذه الظاهرة في كبح تيار الهجرة في صفوف الشباب.

وتعتبر دور الضيافة والسياحة العائلية مشروعا بديلا من خلال المبادرات المحلية وتنمية المشاريع السياحية الأخرى؛ وبالتالي يتم تحسين مستوى معيشة السكان الفاسيين والمكناسيين بشكل كبير، مما يسمح لهم بممارسة بعض الأنشطة، لا سيما السياحة.

بالإضافة إلى ذلك تخلق دور الضيافة العمل للمهندسين المعماريين والمقاولين، من خلال عملية الترميم، والتي تشكل آلاف ساعات العمل أيضا للشركات والحرفيين وبعض الوظائف التي لا تتطلب مستوى عال من التعليم أو متخصصة في صناعة الفنادق.

كما يشكل تطوير نشاط رياض أو دور الضيافة، الأثر الإيجابي على القطاعات الأخرى المتعلقة بالسياحة (المطاعم، البازارات، المحلات التجارية، النقل ...).

3- 2 - 1 - 2 - الانعكاسات الاجتماعية لدور الضيافة بمدينة فاس ومكناس القديمتين

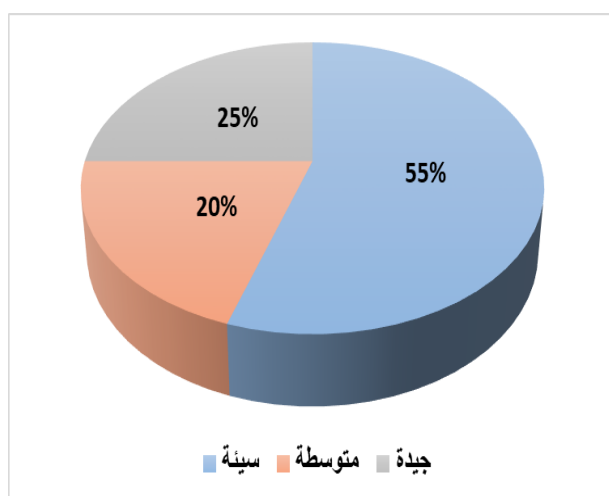
تطورت دور الضيافة بمدينة فاس ومكناس بسرعة كبيرة، وتم فرضها على الساكنة المحلية بشكل فجائي وبدون إعداد مسبق، مما أدى إلى العديد من الايجابيات والسلبيات. فإدخال وظيفة جديدة لهذه الرياضات تخل بطبيعة الوظيفة الاجتماعية من العادات والممارسات. فهي تعتبر عنصرا دخیلا لا تبت بتاتا بصلة إلى البيئة الاجتماعية والثقافية المحلية.

كما أن الحركية التي تعرفها دور الضيافة لم تكن نتاج تفاعلات اجتماعية وطنية ومحلية، بقدر ما هي ناتجة عن سلوكات غريبة ودخيلة. فهذا النشاط يخالف في بعض الأحيان الضوابط الاجتماعية التي توطر السكان، كاستغلال السطوح التي تخضع لعادات وأعراف تقليدية تمنع الرجال من الصعود إليها، في حين يفكر صاحب المشروع (دار الضيافة) في إنشاء مقهى أو مسبح لتعزيز مرافق مؤسسته السياحية.

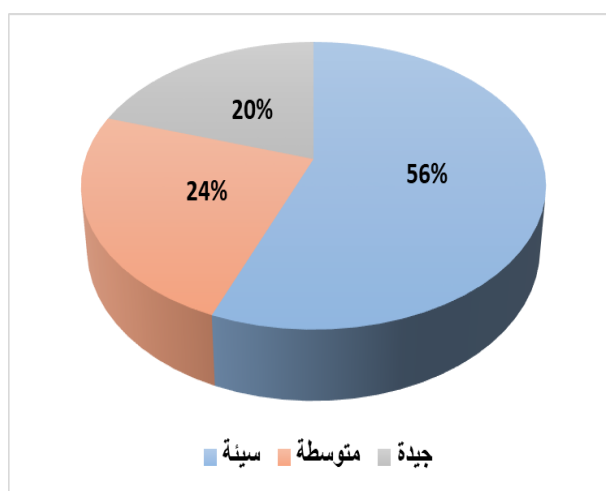
كما لا ننسى طبيعة التصرفات التي تتم داخل هذه الدور، وهذا ما يتعارض مع الدين وكذا مع العادات والتقاليد الفاسية والمكناسية، والتي تتنافى تماما مع ما هو محلي: الخمر، المجموعات الموسيقية، سهرات ليلية،

ومن خلال بحثنا الميداني حول هذه الانعكاسات، تمكنا من ملاحظة العديد من الآثار الاجتماعية، بسبب توافد السياح للمدينتين القديمتين، فقد كسرت هذه الظاهرة التساكن الاجتماعي الموجود في المدينة القديمة، من تعايش وتضامن وتأزر بين جميع الطبقات الاجتماعية. وعلى العموم، وانطلاقا من البحث الميداني يبقى تقبل الساكنة المحلية لظاهرة دور الضيافة ضعيفا كما يتضح من خلال (الشكلين رقم 52 و 53):

الشكل رقم 53: مدى تقبل فكرة دور الضيافة بالمدينة القديمة لمكناس



الشكل رقم 52: مدى تقبل فكرة دور الضيافة بالمدينة القديمة لفاس



المصدر العمل الميداني، 2016.

يتضح من خلال الشكلين السابقين 52 و 53، أن نسبة كبيرة من السكان بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس، تتجاوز على التوالي 56% و 55% غير راضين على دور الضيافة وغير متقبلين فكرة إحداث دور الضيافة بالنسيج القديم، في حين تبقى نسبة الذين يقبلون بوجود دور الضيافة لا تتجاوز 20% و 25% على التوالي بكل من المدينتين القديمتين فاس ومكناس. بالإضافة إلى ذلك عبر 65% من السكان المجاورون لدور الضيافة بالمدينة القديمة لفاس، و 60% بالمدينة القديمة لمكناس، عن عدم ارتياحهم لتحويل السطوح إلى مسابح ومقاهي ومطاعم، لكونهم يعتبرون هذا التحول تعد على خصوصياتهم.

ويفسر عدم رضى الساكنة، بمعاناتها مع الضوضاء والضجيج الناتج عن الموسيقى والأغاني الصاخبة وعن تصرفات بعض السياح، وعدم احترام مبدأ الحرمة والتعايش مع الساكنة.

كما يشتكي أيضا بعض ملاكي الدور، من انزعاجهم من الممارسات الطبيعية للسكنة المجاورة، والذين هم في حركية دائمة، كلعاب الأطفال في الأزقة والدروب، كما يشتكون من الآذان خاصة آذان الفجر.

3- 2 - 1 - 3 - دور الضيافة ودورها في المحافظة على الإطار المبني

كان لانتشار دور الضيافة بالمدينتين القديمتين لفاس ومكناس، دورا مهما في ترميم وإصلاح العديد من المنازل التقليدية، التي كانت إلى وقت قريب معرضة في غالبيتها للانحيار، خاصة في ظل الإمكانيات المادية المهمة التي تتطلبها، والتي غالبا ما يستحيل توفيرها من طرف الأسر القاطنة بها. إلا أن ظهور حركة بيع المنازل التقليدية للأجانب، ساهم بشكل كبير في إنقاذ الإطار المبني، الذي رافقته عمليات إعادة ترميم وإنقاذها من الضياع والخراب.

وبذلك ساهمت دور الضيافة في التقليل من أعداد الدور المهددة بالانحيار، لكون عملية الإصلاح لم تقتصر فقط على الدور المعنية بالمشروع السياحي، بل شملت الدور المجاورة التي كانت من الممكن أن تشكل خطرا على القاطنين بالمنطقة، وحتى على السياح الذين سيفدون على هذه الدور. كما أن المشاريع السياحية ساعدت على تغيير المشهد الحضري للعديد من أزقة ودروب المنطقة، التي كانت تعاني من تشويه منظرها بسبب الأخشاب المدعمة للمباني، والتي ظلت لوقت طويل مصدر قلق ورعب لجل السياح والوافدين على المدينتين القديمتين.

3- 2 - 2 - مشروع المسارات السياحية

بالرغم مما تتوفر عليه من مؤهلات سياحية وثقافية هائلة، ما زالت غالبية المدن القديمة بالمغرب، تعاني من ضعف جاذبيتها السياحية وصعوبة ولوجية أحيائها التاريخية. وتمثل المدينتين القديمتين لفاس ومكناس وجهة للسياحة الدولية والداخلية بامتياز، لكن ضعف بنية الإستقبال وفقر التنشيط السياحي، يجعل منهما مجرد محطة عبور في مسارات زيارة المدن المغربية التراثية، بمعنى آخر هما وجهة لسياحة العبور أكثر منها وجهة لسياحة الإقامة؛ لكن على الرغم من ذلك فإن المدينتين القديمتين تحتضنان عددا من التجهيزات والبنيات السياحية.

3- 2 - 2 - 1 - المسارات السياحية بالمدينة القديمة لفاس

يشكل تطوير المدارات السياحية ركيزة أساسية من أجل تعزيز المدينة القديمة لفاس، وبالتالي الرفع من لياالي المبيت المسجلة ووقعها على التنمية السياحية والنشاط الاقتصادي للمدينة بشكل عام.

ويندرج مشروع إحداث المسارات السياحية، ضمن المشاريع المرتبطة بالنهوض بالقطاع السياحي وتحسين الولوجية، وتحديدًا ما يخص تنظيم تدفق السياح وتوجيههم داخل طرقات وأزقة النسيج الحضري القديم لفاس. فهو يهدف إلى تخفيف الإزدحام على المحاور الرئيسية وزيادة الإقبال السياحي بالمدينة، هذا مع تشجيع الاستثمار في ترميم معالمها التاريخية¹.

وتتقسم المسارات السياحية بالمدينة القديمة لفاس إلى ستة مسارات وهي:

- مسار الأسوار والأبراج: يقدم للسائح فرصة لإلقاء نظرة شاملة على المدينة القديمة من الخارج، أي من خلال الأبواب والأسوار المحيطة بها والأبراج المنتصبة على طولها؛
- مسار فاس الجديد: يبلغ طوله 1 كلم، يمتد من باب القصر الملكي في اتجاه ضريح أبوبكر بن عربي، ويكتشف السائح المعالم التاريخية للمسار البالغ عددها 12 معلمة مشيا على الأقدام؛
- مسار عدوة الأندلس: يتضمن 12 معلمة سياحية، تبدأ نقطة الإنطلاق به من مسجد الأنوار، وتنتهي الجولة السياحية عند قصر الجامعي شمال المدينة القديمة؛
- مسار القصور والحدائق الأندلسية: يعرض نماذج فريدة من الحدائق والقصور للسياح، يبلغ طوله 2.5 كلم من مدخل عين أزلتين وينتهي عند حديقة جنان السبيل، وتسمح مدة ثلاث ساعات من التعرف على تسع معالم تراثية، تجمع بين التراث المبنى والتراث الطبيعي؛
- مسار الصناعة التقليدية: يهدف إلى اكتشاف ملامح قطاع الصناعة التقليدية بفاس؛ يبدأ هذا المسار من الطالعة الكبيرة وينتهي عند باب الرميّة، ويستطيع السائح من خلاله اكتشاف عدد من الوحدات الإنتاجية التقليدية؛
- مسار المعالم والأسواق: يمتد من الجهة الغربية لمدينة فاس القديمة، وتحديدًا من باب بوجلود متجهًا صوب مركزها الديني والاقتصادي، لينتهي عند ساحة سيد العواد.

3-2-2 - تهيئة المدارات السياحية بالمدينة القديمة لمكناس

تعتبر مدينة مكناس متحفا مفتوحا على نواتين تاريخيتين (المدينة القديمة والقصبة السلطانية)؛ لتتيح بذلك لزائر سواء كان محليا أم أجنبي مجالا للسياحة الثقافية، تغطي تطلعاته لاكتشاف معالم، تجسد الوقائع التاريخية التي مرت بها المدينة عبر مراحل نموها.

¹ - حسن الحجامي، (2013): الولوجية والتنمية السياحية بمدينة فاس القديمة: نموذج مسار المعالم والأسواق الممتد من بوجلود نحو مدخل الرصيف، بحث لنيل شهادة الماستر متخصص، تخصص المدن التراثية والتنمية، شعبة الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ص: 86.

ويأتي الاهتمام بخلق مدارات سياحية بمدينة مكناس، في سياق رد الاعتبار لمعالمها العمرانية والتاريخية، وانسجاما مع التوجهات الرسمية المعتمدة من طرف وزارة السياحة لجلب مليون سائح في أفق 2010. وقد كان نتاج هذا الاهتمام إنجاز العديد من الدراسات والتقارير التي تروم التعريف بالمنتج السياحي لجهة مكناس- تافيلالت عموما، ومدينة مكناس القديمة على وجه الخصوص¹.

هذه المشاريع والدراسات أفضت إلى تقسيم الزيارات السياحية إلى ستة مدارات موضوعاتية، يغطي كل مدار منها منتوجا ثقافيا، يشمل خصائص متميزة من حيث المكونات العمرانية، والأنشطة الاقتصادية، والمكونات الاجتماعية؛ وتتمثل هذه المدارات في:

مدار الأسوار والأبواب، مدار الحقائق، المدار الثقافي، المدار التاريخي، مدار الأنشطة، ومدار الماء.

4- تهمين الموارد التراثية آلية لاستدامة التنمية المحلية بالمدن القديمة، حالة مدينتا فاس

ومكناس

تعتبر التنمية من الإشكاليات البحثية الكبرى حول المجال المغربي ككل، فقد أصبحت تشغل بال المهتمين من كل التخصصات والمجالات، فتحقيق التنمية بأي مجال رهين بتشخيص مواردها والكشف عن الاختلالات، والتفكير في مشاريع تنموية جديدة من شأنها تحسين الوضعية السوسيو- اقتصادية للسكان.

4-1 - دور الموارد التراثية بمدينتي فاس ومكناس القديمتين في تحقيق التنمية المحلية

إن أهمية الموارد التراثية المتوفرة بمدينتي فاس ومكناس القديمتين، تتطلب بلورة استراتيجية للتنمية المحلية، والتي تستدعي تهمين هذه الموارد.

ويتيح التشخيص الترابي من منظور التنمية، إجراء الملاحظة والجرد الشامل لمكونات المجال الترابي المراد تنميته، بهدف تمكين الفاعلين المحليين والمهتمين بالتنمية، من إنجاز مشاريع ترابية مؤسمة للتنمية المحلية المستدامة، فهو بذلك جزء من العملية التنموية؛ كما يشكل أداة قيادة لمنظومة التنمية² الترابية. ويسمح لنا بوضع خطة عمل إستراتيجية شاملة ومتوازنة وتشاركية ملموسة، يمكن القيام بها بالشراكة مع مختلف المتدخلين المحليين.

¹- Délégation Régionale du Tourisme, Plan de Développement Régional Touristique de Meknès, Région Meknès- Tafilalt, 2007.

- Conseil Régional Meknès- Tafilalt, Ministère du Tourisme et de l'artisanat, Etude de Repositionnement Touristique de la Région Meknès- Tafilalt. Rapport I. II. III 2008

² -Lorthios, J. (1996), " le diagnostique local des ressources " .Ed : w.a.s die p : 214.

كما يهدف التشخيص الترابي للموارد إلى دراسة واقع الحال، وتشخيص الموارد المتاحة والموارد التي يمكن خلقها، أو تلك التي يمكن استقطابها، ومختلف الإكراهات التي تعيق التنمية المحلية. وانطلاقاً من تحليلنا للتشخيص الاستراتيجي للموارد التراثية بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس (تحليل مصفوفة AFOM أو SWOT)، تمكنا من إبراز مواطن القوة، والضعف، وكذا الفرص، والتهديدات للموارد التراثية بالمدينتين.

الجدول رقم 18: تعبئة نموذج AFOM بالنسبة لمدينة فاس القديمة

مواطن القوة (ATOUTS)	مواطن الضعف (Faiblesses)
- موقع جغرافي متميز؛ - تراث معماري غني ومتميز؛ - تصنيفها تراث عالمي إنساني منذ (1981)؛ - عاصمة المولى ادريس الثاني والعاصمة العلمية للمملكة؛ - صناعة تقليدية متميزة (صناعة الفخار - الجلد - النحاسيات -)؛ - مهرجان الموسيقى الروحية؛ - مطار دولي فاس-سايس؛ - تعزيز المشهد البيئي من خلال نقل الصناعات الملوثة (الدباغة والنحاسية العصريتين) إلى خارج المدينة (بنجليق وعين نقبي بفاس)؛ - التدخل في المبني دون المساس بقيمته التاريخية والمعمارية والهندسية؛ - إيقاف ومعالجة أهم عوامل تدهور التراث المبني؛ - إعادة توظيف المباني وفق ما يتناسب مع خصوصية المبني.	- ضعف البنيات التحتية والتجهيزات الأساسية؛ - تراجع الصناعة التقليدية واندثار بعضها؛ - قلة الوعي بأهمية الموارد التراثية في تحقيق التنمية؛ - تدهور النسيج العمراني القديم؛ - كثافة سكانية مرتفعة؛ - تعدد المتدخلين بالمجال القديم (غياب التنسيق بينهم) - غياب استراتيجية واضحة المعالم للنهوض بالمدينة؛ - نقطة عبور وليست مجال إقامة على غرار مدن مراكش، أكادير وغيرها؛ - ارتفاع عدد الدور الآيلة للسقوط.

المهددات (Menaces)	الفرص (opportunités)
- ضعف على مستوى التدبير وغياب النظرة الإستراتيجية المستقبلية؛ - اندثار بعض الموروثات الثقافية كالتقاليد والأعراف والمهارات؛ - منافسة مدن أخرى كمراكش مثلاً؛ - تدهور التراث المبني بالمدينة، واندثار العديد منها؛ - منافسة المنتوجات المستوردة (الصينية) للمنتوجات المحلية؛ - تراجع الشعور بالانتماء وأزمة القيم والهوية؛ - تراجع عدد من الأنشطة الحرفية التقليدية الزرابي والجلد...؛ - عدم إشراك السكان في البرامج برد الاعتبار وإعادة التأهيل، وتبني نظرة قطاعية في كل المجالات وغياب علاقة التشاور والتشارك؛ - غياب رؤية واضحة للاستثمار في التراث.	- تطوير السياحة (مسارات سياحية، مقاهي ومحلات ترفيهية)؛ - برنامج مشروع رد الاعتبار بالمدن العتيقة ما بين سنتي 2019-2023؛ - موارد تراثية متنوعة لازالت غير مستغلة؛ - وعي بأهمية التراث كمحرك للتنمية؛ - تزايد الطلب على السياحة التراثية؛ - خلق مسارات سياحية جديدة بين المدينتين فاس ومكناس؛ - إمكانية التعاون بين المدينتين فاس ومكناس في مجال تعزيز القدرة السياحية؛ - التخلص من الأنشطة الملوثة بالمدينة.

الجدول رقم 19: تعبئة نموذج AFOM بالنسبة لمدينة مكناس القديمة

مواطن القوة (ATOUTS)	مواطن الضعف (Faiblesses)
- موقع جغرافي متميز؛ - تراث معماري غني ومتميز؛ - موقع استراتيجي مهم توجد بالقرب من الطريق الوطنية الرابطة بين فاس وإفران والطريق السيار الرابطة بين فاس والرباط؛ - مدينة سلطانية (العاصمة الإسماعيلية)؛ - صناعة تقليدية متميزة (صناعة الفخار - الجلد)؛ - المعرض الفلاحي الدولي (SIAM)؛ - الحفاظ على المحيط العمراني للمباني التاريخية؛ - تواجد مؤهلات جذب مهمة؛ - ظهور أنشطة مرتبطة بالسياحة أساسا كدور الضيافة والسياحة العائلية؛ - الرفع من قيمة المباني التاريخية ومحيطها؛ - انتعاش الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالسياحة والتراث بالمدينة؛ - تعزيز المشهد البيئي من خلال نقل الصناعات الملوثة إلى خارج المدينة؛ - مشاركة المجتمع المدني في مشاريع رد الاعتبار والحفاظ على المدينتين.	- ضعف البنيات التحتية والتجهيزات الأساسية؛ - تراجع الصناعة التقليدية واقتصارها على العمل فقط في البيت؛ - تدهور النسيج القديم؛ - كثافة سكانية مرتفعة؛ - تعدد المتدخلين بالمجال العتيق (غياب التنسيق بينهم)؛ - غياب استراتيجية واضحة المعالم؛ - نقطة عبور؛ - ارتفاع عدد الدور الآيلة للسقوط؛ - غياب الوعي البيئي لدى الساكنة والصناع التقليديين - مخاطر التلوث الأمراض الناجمة عنه (ضيق التنفس - الحساسية - ...) - ضعف البنيات التحتية والتي تسمح بالاستغلال السياحي للتراث؛ - نقص في عدد الخبراء والمتخصصين في المجال السياحي؛ - نقص في عدد وحدات الإيواء ذات الطاقة الكبرى؛ - ضعف وزن المجال السياحي في مخططات الجماعات الترابية.

المهددات (Menaces)	الفرص (opportunités)
- اندثار الحرف التقليدية؛ - ضعف على مستوى التدبير وغياب النظرة الإستراتيجية المستقبلية؛ - التخوف من اندثار بعض الموروثات الثقافية كالتقاليد والأعراف والمهارات؛ - منافسة مدن أخرى كفاس والرباط ومراكش؛ - تدهور التراث المبني بالمدينة، واندثار العديد منها؛ - منافسة المنتجات المستوردة للمنتجات المحلية؛ - تراجع التنمية السياحية مقارنة مع مجالات سياحية منافسة.	- تصنيفها تراثا عالميا إنسانيا (1996)؛ - إمكانيات سياحية مهمة تتجلى دور الضيافة؛ - تطوير السياحة (مسارات سياحية، مقاهي ومحلات ترفيهية)؛ - برنامج مشروع رد الاعتبار بالمدن العتيقة ما بين سنتي 2019-2023؛ - التصميم التهيئة 2015 كأداة قانونية وتقنية لتنمية المدينة؛ - موارد تراثية متنوعة لازالت غير مستغلة؛ - وعي بأهمية التراث كمحرك للتنمية.

يتضح من خلال التحليل الرباعي للمدينتين وأهم القطاعات الحيوية بهما:

- وجود مؤهلات وإمكانات وبشرية وموارد تراثية مهمة، يمكن توظيفها في تحقيق التنمية المحلية؛
 - مؤشرات مرتفعة في الفقر والهشاشة بالمدينتين، من خلال ضعف الاستفادة من مشاريع رد الاعتبار والتجهيزات والخدمات الأساسية التي لا ترقى إلى المستوى المطلوب؛
 - وجود مشاكل ذات أولوية استعجالية، في مقدمتها تلك التي تعيق نمو القطاع السياحي، الذي يعتبر قاطرة للتنمية المحلية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وبيئيا.
- تجعل هذه الوضعية المدينتين أما مجموعة من الإكراهات والتحديات، التي لا تترك وقتا للانتظار، وتقتضي مضاعفة الجهود وتآزرها، والتقاءها في إطار مشروع ترابي تنموي، تعبئ من خلالها كل الموارد التراثية والترابية بصفة عامة على مستوى المدينتين، وتظافر جهود مختلف الفاعلين وتكاملها، لتقوية المدينتين القديمتين ضد أشكال التدهور والإهمال.

كما أظهرت نتائج التشخيص الترابي للمدينتين مفارقة واضحة، إذ رغم تنوع وغنى المجال المدروس من حيث الموارد التراثية، إلا أن مسألة استغلالها لا زالت ضعيفة خصوصا مدينة مكناس، وبالتالي فإن مستويات التنمية لا زالت دون مستوى تطلعات الساكنة المحلية، وهو ما يؤكد أن تحقيق التنمية في المدن

القديمة، لا يرتبط بموارد ومؤهلات بقدر ما هو مرتبط بفاعلين محليين مؤهلين وقادرين بوزنهم وكفاءتهم على تحقيق التنمية بالمدينتين القديمتين.

كما تجدر الإشارة إلى مجموعة من الاستنتاجات، التي تشكل الإطار الموجه لاستراتيجية تحقيق التنمية، والتي يمكن أن توضع للمدينتين نظرا لما تحملهما من غنى وما تعرفانه من تدهور واختلال.

4-2- إستراتيجية تحقيق التنمية المحلية بمدينتي فاس ومكناس القديمتين

إن أهمية الموارد التراثية المتوفرة بمدينتي فاس ومكناس القديمتين، تتطلب استراتيجية واضحة للتنمية المحلية، تركز على تامين هذه الموارد، وفق ما يعود بالنفع على الساكنة ويحسن ظروف عيشهم. ومن خلال تحليل نتائج التشخيص الاستراتيجي AFOM، تم تحديد نقط القوة والضعف وكذلك الفرص والتهديدات، لمختلف القطاعات: القطاع الاقتصادي والاجتماعي، والقطاع العمراني، والقطاع السياحي.

الجدول رقم 20: نتائج تحليل الجانب العمراني والمعماري

مواطن القوة (ATOUTS)	مواطن الضعف (Faiblesses)
- وقف ومعالجة أهم عوامل تدهور التراث المبني؛ - استخدام المواد التقليدية في الترميمات المستحدثة؛ - إعادة توظيف المباني وفق ما يتناسب مع خصوصية المبنى؛ - التدخل في المباني دون المساس بقيمته التاريخية والمعمارية والهندسية؛ - الحفاظ على المحيط العمراني للمباني التاريخية.	- جل المباني المرممة مغلقة ولا تتم تهويتها.
الفرص (Opportunités)	التهديدات (Menaces)
- صيانة دورية للمباني؛ - توفر مواد البناء؛ - حرف إنتاج مواد البناء التقليدية؛ - خبرات ومهارات متوارثة.	- تواجد الرطوبة في المباني المرممة؛ - ضعف الإطار القانوني في التدخلات العشوائية للساكنة؛ - عدم الحفاظ على أصالة المبنى التاريخي.

الجدول رقم 21: نتائج تحليل الجانب الاقتصادي

مواطن القوة (ATOUTS)	مواطن الضعف (Faiblesses)
-تحسن المستوى المعيشي للساكنة؛ -توفير فرص الشغل مؤقتة للعاملين بمجال الترميم من عمال، وصناع تقليديين، نقش على الخشب والجبس، ...؛ -توفير فرص عمل من خلال الأنشطة الخدماتية المتعلقة بالتراث المبني؛ -ظهور أنشطة مرتبطة بالسياحة أساسا كدور الضيافة والسياحة العائلية والتي تشغل يد عاملة مهمة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ -انتعاش الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالسياحة والتراث بالمدينتين.	- ضعف المشاريع الاستثمارية في المدينتين. - ضعف استثمار المباني التي أعيد توظيفها.
الفرص (Opportunités)	التحديات (Menaces)
- توفر يد عاملة مهمة خاصة من سكان المدينتين؛ -استثمارات هامة في السياحة التراثية؛ -رغبة الساكنة في الحفاظ على المدينتين والذين هم جزء منهما.	- تراجع عدد من الأنشطة الحرفية التقليدية الزرابي والجلد، ...؛ - غياب التنسيق بين الجهات المتدخلة في التراث؛

الجدول رقم 22: نتائج تحليل الجانب السياحي

مواطن القوة (ATOUTS)	مواطن الضعف (Faiblesses)
- تراث عمراني مهم؛ - مؤهلات جذب مهمة؛ - مهرجانات ونشاطات عالمية؛ - منعشين عقاريين ومستثمرين في قطاع السياحة؛ - تزايد الطلب على السياحة التراثية.	- ضعف البنيات التحتية والتي تسمح بالاستغلال السياحي للتراث؛ - نقص الخبراء والمتخصصين في المجال السياحي؛ - نقص وحدات الإيواء ذات الطاقة الكبرى؛ - ضعف وزن المجال السياحي في مخططات الجماعات الترابية.
الفرص (Opportunités)	التهديدات (Menaces)
- خلق مسارات سياحية جديدة بين المدينتين فاس ومكناس؛ - إمكانية التعاون بين المدينتين فاس ومكناس في مجال تعزيز القدرة السياحية.	- تراجع التنمية السياحية مقارنة مع مجالات سياحية منافسة؛ - تراجع عدد ليالي المبيت؛ - ضعف مدة الإقامة.

على أساس التشخيص ونتائج دراسة AFOM، يمكن تحديد ثلاثة أهداف تشكل العمود الفقري لخطة التنمية المحلية للمدينتين، والتي تتوافق كل واحدة منها مع قطاع معين.

الجدول رقم 23: أهداف التنمية المحلية بمدينتي فاس ومكناس

الأولويات	الأهداف
تنمية المجال السياحي	- زيادة جاذبية المدينتين السياحية؛ - تحسين البنية التحتية للسياحة وتعزيز موارد المدينتين؛ - الزيادة في عدد ليالي المبيت السياحية؛ - تنويع التسويق السياحي؛ - إطلاق منصة لترويج السياحة بالمدينتين، تتناسب وموقعهما الجغرافي والتاريخي؛ - جعل المنتجات المحلية التقليدية وسيلة جذب سياحي.

- إنعاش الوظيفة التجارية للمدينتين القديمتين؛ - خلق الرواج التجاري؛ - أنشطة تجارية موجهة للسياح الأجانب؛ - إطلاق منصة خاصة لتسويق منتجات الصناعة التقليدية بالمدينتين مدعومة بتوفير الإمكانيات اللوجيستكية الضرورية لذلك، وتخصيص بعض القاعات العمومية للعرض المؤقت.	تطوير التجارة المحلية
- الحفاظ على اندماج وتكامل النسيج الاقتصادي المحلي؛ - استمرار استقرار الأنشطة في هذا المجال العتيق؛ - حماية الصناعة التقليدية بالمدينتين من المنافسة الأجنبية؛ - موائمة المنطق الاقتصادي والنمط المعيشي.	تقوية الاقتصاد المحلي بالنسيج العمراني التقليدي

يتضح إذن من خلال الجدول رقم 23 أن تحقيق التنمية المحلية بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس رهين بثلاثة قطاعات أساسية، وهي القطاع السياحي والذي يتطلب الاهتمام به وتدخل الجهات المعنية لدعمه من خلال تحسين استراتيجيات الجذب السياحي الدولي، وكذا تجند المهنيين لصياغة منتج سياحي بالمدينتين وإعداد عروض شاملة مشجعة (النقل - الإيواء - الترفيه).

بالإضافة إلى ذلك، يجب الإهتمام بالقطاع التجاري الذي يعرف تراجعا ملحوظا على مستوى المدينتين، من خلال خلق أنشطة تجارية موجهة للسياح الأجانب، تعتمد على سلع محلية الصنع ذات جودة عالية وبأثمان معقولة.

ثم تقوية الاقتصاد المحلي، والعمل على تثبيت الأنشطة الاقتصادية (الحرفيين، التجار) بالنسيج القديم للمدينتين، كما يجب حمايته من المنافسة الأجنبية، خصوصا فيما يتعلق بمنتجات الصناعة التقليدية.

وبالإضافة إلى تقوية هاته الركائز الثلاث من أجل تحقيق التنمية المحلية، يجب تضافر جهود جميع مكونات المدينتين القديمتين فاس ومكناس (القطاع العام والقطاع الخاص والمجتمع المدني)، ووضع خطة شاملة تأخذ بعين الاعتبار الحفاظ على الطابع العمراني القديم للمدينتين، واستغلال مؤهلاته وموارده وتأمينها في أفق تحقيق التنمية المحلية.

خاتمة الفصل السادس

إن عملية إعادة التوظيف للمبنى التراثي وإعادة إحيائه وظيفيا هي عملية استثمارية بالأساس، فعند عدم وجود أي مورد، تعتبر هذه العملية موردا اقتصاديا مهما، حيث يمكن شراء مجموعة من المباني التراثية من طرف السلطات ومنحها للقطاع الخاص، من خلال اتفاقية بينهما على فترة انتفاع مادي واستفادة محدودة، مع تسليمه عند انتهاء المدة المحددة، لكن بشرط ترميم وتأهيل المبنى.

وعلى هذا الأساس تم تحويل وإعادة توظيف مجموعة من المآثر بالمدينتين، من خلال مجموعة من النماذج، سواء تعلق الأمر بالدور أو المدارس أو المتاحف، إلا أن نسبة هاته النماذج تبقى ضعيفة مقارنة مع ما تزخر به المدينتين من وعاء تاريخي مهم ومقومات سياحية مهمة، التي من شأنها تحقيق تنمية سياحية مهمة، خاصة السياحة الثقافية والتي تحتل مكانة هامة في مجال صناعة السياحة.

إلا أنه بالرغم من المقومات السياحية المهمة التي تزخر بها المدينتين، ورغم قدم السياحة بهما إلا أنهما لا زالتا تعاني من نقص في الخدمات السياحية التي من شأنها أن تعمل على تنشيطها، فهما يعتبران فقط منطقة عبور، ومعدل الإقامة بهما ضعيف إذا ما تمت مقارنتهما بمدن أخرى؛ إذ في المتوسط لا يتعدى ليلتين.

فبالرغم من أهمية الموارد الترابية المتوفرة بالمدينتين، إلا أنها تتطلب استراتيجية خاصة للتنمية، تستدعي معها تعبئة وتنشيط هذه الموارد، من أجل النهوض بمسلسل التنمية، وتحسين ظروف عيش الساكنة. ورغم توفرهما على مؤهلات عديدة، تتجسد في موقعهما الجغرافي المتميز، وكذا توفرهما على موارد بشرية هامة، فلا زال المجال المدروس يعاني التهميش والإهمال، والإقصاء، مما يشكل عائقاً أمام المسار التنموي بالمنطقة.

لذا ينبغي السيطرة على هذا الوضع، والتفكير مليا في الحلول الناجعة، من طرف كل المتدخلين والفاعلين المحليين، وذلك من خلال وضع استراتيجية محكمة، تتغلب على كل الإكراهات التي تواجه مسلسل التنمية بالمنطقة، ووضع اليد على موقع الجرح، والتفكير في العلاج الملائم وخلق مشروع ترابي، يركز على تنمية الإنسان، وتحسين ظروف عيشه، وتطوير قدراته في الخلق والإبداع، واستغلال أمثل للموارد المحلية الطبيعية.

خاتمة القسم الثالث

إن دراسة وتشخيص وضعية التراث العمراني بمدينة فاس ومكناس القديمتين، وتحديد حالته الفيزيائية بالإضافة إلى العوامل المسؤولة عن تدهوره، أبرزت وأظهرت مدى التدهور الذي تعاني منه مكونات التراث العمراني، خصوصا فيما يتعلق بالسكن المهدد بالانهيار، بالإضافة على مجموعة من المآثر التاريخية بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس، الشيء الذي ألزم مختلف الفاعلين والقائمين على تدبير الشأن المحلي على الصعيدين الوطني والمحلي، التدخل لبلورة مجموعة من الأفكار تمت ترجمتها على شكل مشاريع وبرامج، الهدف منها التقليل والحد من حدة التدهور.

وقد ركزت هذه التدخلات والمشاريع بالمدينتين على:

- إنجاز وثائق التخطيط، من خلال إنجاز التصاميم المديرية وتصاميم التهيئة للمدينتين القديمتين.
- بالإضافة إلى ذلك تم القيام بمجموعة من المشاريع بداية من تسعينيات القرن الماضي، والتي كانت تهدف إلى الحد من تدهور المآثر التاريخية بالمدينتين، وخصوصا على مستوى مدينة فاس القديمة، وتركز هذه المشاريع على:
- صيانة وترميم المعالم التراثية البارزة بالمدينتين، من دور ذات قيمة تاريخية وفنية، ومؤسسات ثقافية ودينية، بالإضافة إلى المنشآت الدفاعية، كالأسوار، والأبواب؛
- تطوير السياحة وتحسين المناظر العمرانية؛
- البنيات التحتية والمرافق العمومية؛
- معالجة السكن المهدد بالانهيار؛
- ترحيل الصناعة الملوثة.

كما ساهمت عملية الترميم ورد الاعتبار، والتي قوبلت باستحسان الساكنة وزوار المدينتين، في توقيف النزيف والتدهور ومسلسل الانهيارات الذي يمس الإطار المبنى.

بالإضافة إلى عملية الصيانة والترميم الذي عرفها التراث العمراني بالمدينتين، فقد احتضنت بعض مكونات هذا التراث مشاريع سياحية وثقافية، وإعادة توظيف جزء آخر (فنادق - أبراج - متاحف - مدارس)، ساهمت في تنشيط المدينتين وجعلهما أكثر جاذبية؛ كما ساهمت هاته العملية في ضمان واستمرارية المآثر التاريخية في حلة جديدة.

خاتمة عامة

انطلاقاً من دراسة وتحليل عناصر الإشكالية التي ارتكز عليها موضوع الأطروحة، ومختلف الفرضيات التي تم الانطلاق منها، تم التوصل إلى الخلاصات والاستنتاجات التالية:

تختزن مدينتا فاس ومكناس تراثاً عالمياً إنسانياً غنياً ومتنوعاً، يعكس قروناً من الإرث الحضاري والثقافي والروحي للحضارات المغربية عبر عصورها المختلفة؛ كما تتوفران على مؤهلات بشرية ومقومات تاريخية ومعمارية، تؤهلها لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

تمثل مدينتا فاس ومكناس بفضل شكلهما المعماري الأصيل، وإشعاعهما الثقافي والديني، نموذجاً للمدن المتوسطية العربية والإسلامية؛ إلا أن هذه المكانة المتألقة التي تمثلها المدينتين، أصبحت مهددة بالتراجع وتدهور نسيجهما العمراني، وانهيار العديد من مآثرهما التاريخية، بفعل تراكم عوامل ديمغرافية واقتصادية واجتماعية، بالإضافة إلى مجموعة من العوامل الطبيعية، وهي عوامل تفاقت منذ بداية ثمانينات القرن العشرين.

ويتكون هذا التراث العمراني أساساً من:

- ❖ **التراث العمراني العسكري:** الذي يطلق عليه المباني الدفاعية، ويتشكل خصوصاً من الأسوار والأبراج والأبواب. فقد عمل الحكام المتعاقبين على المدينتين منذ تأسيسهما، على تعزيزهما بالتحصينات العسكرية للدفاع عليهما. كما تحيط بالمدينتين أسوار تتميز بطابع التباهي والعظمة، وتنتصب في أجزائها المتعددة مجموعة من الأبواب العظيمة.
- وتحيط بالمدينة القديمة لفاس أسوار تاريخية تمتد على طول 26 كلم، في حين تمتد الأسوار بالنسيج القديم لمدينة مكناس 42 كلم، وتنتشر عليها مجموعة من الأبراج، التي تعتبر بمثابة دعائم للأسوار، كما استعملت كمراكز دفاعية وسند رئيسي لحراسة الباب ومراكز للمراقبة.
- وتخترق أسوارهما مجموعة من الأبواب، التي تميز عمارة المدن الإسلامية، وهي في غاية السعة والارتفاع لها قبة داخلية، وتعتبر صلة وصل بين داخل المدينة وخارجها، كما تعتبر نقط هامة للمراقبة.
- ❖ **التراث العمراني الديني:** يعتبر الميزة الخاصة التي انفردت بها المدينة الإسلامية عن غيرها من المدن، ويتشكل من المساجد، والجوامع، والمدارس، والزوايا، والأضرحة، والكتاتيب القرآنية:

- **المدارس العتيقة:** فإلى جانب دورها الثقافي والتعليمي التي أنشئت من أجله، فهي تلعب أيضا دور اجتماعي مهم يتجلى في إيواء الطلبة؛ وكانت هاته المدارس تؤدي وظيفتين، وظيفة الصلاة، والثانية الدراسة وماوى للطلبة، كما تتميز هذه المدارس بعمارة رفيعة ومتنوعة.

- **الجوامع والمساجد:** من أبرز المعالم التاريخية الموجودة بالمدينتين، وهي بمثابة المكان المخصص لإقامة الشعائر الدينية، وهي في نفس الوقت تشكل مؤسسات ثقافية وتربوية، ارتبطت بها أمجاد الأمة الإسلامية في مختلف العصور، وتتميز بتصميم معماري فريد، يجسد الازدهار الذي عرفته المدينتين في مختلف الفترات التاريخية.

- **الزوايا والأضرحة:** اشتهرت بهما المدينتان، حيث تكتسحهما عدد منهم، وهي مؤسسات عمومية تتشابه في هياتهما المعمارية إلى حد ما هندسة المدارس المرينية.

❖ **التراث العمراني الاقتصادي والثقافي:** وهو بمثابة فضاءات ضرورية وأساسية لسير الحياة المدنية، ويتشكل من الأسواق، والفنادق، والسقايات، والحمامات، والمدابع، والمتاحف، ...

- **الفنادق:** فبحكم موقع المدينتين الفريد والموجود عند ملتقى الطرق، فهما يحتضنان عددا مهما من الفنادق. وكانت تلعب دورا متميزا في التنشيط الاقتصادي للمدينتين، وتتموقع غالبيتها على المحاور الكبرى، أو بالقرب من أبواب المدينة القديمة بغرض تسهيل تدفق السلع.

- **الأسواق:** تتوفر المدينتان على مجموعة من الأسواق ذات وظائف اقتصادية محددة، حيث تخصص في إنتاج وبيع سلع معينة.

إلا أنه خلال العقود الأخيرة، تراكمت عوامل كثيرة أدت إلى تدهور التراث العمراني بالمدينتين القديمتين، ترجمت على المستوى المجالي بتسريع مسلسل تدهور واتلاف مكونات هذا التراث.

فقد عرف المجال المدروس، كسائر المجالات القديمة بالمغرب، تحولات اجتماعية واقتصادية جذرية بدت واضحة، من خلال نمطهما العمراني وتواجههما السكاني، فأصبحت تميزهما كثافة سكانية مرتفعة، ساهمت في تزايد وثيرة النمو الديمغرافي، وفي تأزم الوضعية الاجتماعية والاقتصادية التي أثرت على سير الحياة العامة بالمدينتين فأصبح مجالا مهمشا.

كما تأثرت المدينتان بمجموعة من العوامل الطبيعية أثرت على شكلهما المعماري، من قبيل المناخ والعوامل البيولوجية والجيولوجية، بالإضافة إلى عوامل أخرى، نذكر منها:

- ارتفاع الكثافة السكانية، وانتشار الفقر الذي يجمع عدة عائلات في منزل واحد، شيد في الأصل لعائلة واحدة فقط (ظاهرة التساكن)؛

- ارتفاع عدد القاطنين بالمسكن، يؤدي إلى الضغط على مرافقه وخدماته وعجزها على تلبية الحاجيات؛

- تعدد الملكية وتنوع المستعملين، يصعب عملية الصيانة مما يؤدي إلى تدهور المسكن.

ونتيجة لهاته العوامل المتعددة والمتنوعة، فقد عرف هذا التراث العمراني بالمدينيتين نوع من التدهور والتراجع، شأنه شأن كل التراث المتواجد في كل بقاع الأرض، وهو ما جعل المنتظم الدولي يتحرك منذ نهاية القرن التاسع عشر، بإصدار مجموعة من الاتفاقيات والمواثيق، وعقد مجموعة من المؤتمرات من أجل حماية والحفاظ على هذا الكنز التاريخي.

وفي هذا الإطار تعددت المؤسسات والمنظمات غير الحكومية الدولية المهمة بهذا التراث؛ والمتدخلة في حمايته ورد الاعتبار له، سواء تلك التي تمنح القروض والمنح، أو التي تقدم الدعم التقني من خلال تقديم مختلف الدراسات والاستشارات.

وهكذا كثرت الاتفاقيات الدولية التي خصت حمايته، وهو ما يعكس غناه وأهميته، وكذلك وعي المجتمع الدولي بكونه يشكل إحدى الركائز الأساسية، التي من شأنها تحقيق التنمية المحلية، إذا ما تم استغلاله وتنميته بطريقة جيدة.

أما على المستوى الوطني يتوفر المغرب على ترسانة قانونية مهمة تتعلق بالتراث، منها ما يرجع إلى الفترة الاستعمارية (قوانين 1912 و1914 و1945)، وهي قوانين لم تكن كافية واكتتف الغموض بعض نصوصها. وقوانين أصدرت بعد الاستقلال كقانون سنة 1980 الذي يلئم مستجدات الاتفاقيات الدولية لحماية التراث الدولية، بالإضافة إلى قوانين أخرى متعلقة بالتعمير كقانون 12-90 أو قانون المباني الآيلة للسقوط (قانون 12-94).

كما يتميز المغرب على المستوى المؤسسي، بتعدد المتدخلين في مجال حماية وصيانة التراث، إلا أن هذا التعدد يرافقه تضارب في الرؤى، مما يشكل تحديا يعيق حماية التراث المبني، إذ تختلف توجهات وتطلعات المتدخلين كل حسب رؤيته واختصاصه، مما يتطلب معه إعادة النظر في الإطار التشريعي والمؤسسي المنظم لحماية وصيانة التراث للأجيال القادمة.

- إن تعدد القوانين والفاعلين المتدخلين في مجال التراث سواء على المستوى الوطني أو الدولي، ساهم في تعدد الإجراءات ومشاريع وبرامج التدخل منذ نهاية القرن الماضي، والتي ساهمت إلى حد كبير في توقيف النزيف الذي تعاني منه المدينتان القديمتان فاس ومكناس، وقد شملت:
- إجراءات قانونية، من خلال إعداد مختلف وثائق التخطيط الحضري (المخططات التوجيهية، تصاميم التهيئة،...)
 - مشاريع ترميم ورد الاعتبار لمختلف مكونات التراث العمراني بالمدينتين (مآثر تاريخية، بنايات سكنية)؛
 - ترحيل الصناعات الملوثة، وتحسين المشهد الحضري بالمدينتين؛
 - إعادة توظيف بعض مكونات التراث العمراني، سواء في وظائفه الأصلية أو وظائف جديدة، بغية تحقيق التنمية المحلية بالمدينتين؛
 - العمل على استغلال المؤهلات التراثية بالمدينتين وتنميتها، في أفق جعل المدينتين وجهة سياحية متميزة على المستوى الوطني.
- وانطلاقاً من تشخيصنا لوضعية المدينتين القديمتين فاس ومكناس، والوقوف على المؤهلات والإمكانات الترابية والتراثية، وعلى حجم التدهور الذي تعاني منه المدينتين، نوصي في عملنا هذا ببعض التوصيات والاقتراحات:
- وضع أولويات في الحفاظ على التراث، تأخذ بالاعتبار مدى مساهمة المدن التاريخية في التنمية، مع ضرورة التنوع في مشاريع الحفاظ ورد الاعتبار، بشكل يشمل الحفاظ على ثراء وتنوع التراث العمراني المغربي؛
 - اعتبار التراث موردا للتنمية، واعتماد مبادئ الحماية والحفاظ، كحل لمشاكل التدهور التي تعاني منها المباني التاريخية، وكذلك ضمانا لحقوق الأجيال الحالية والقادمة في حفظ ذاكرتها التاريخية؛
 - إتباع نهج متكامل وشمولي في الحفاظ والحماية، يتعدى احتياجات المباني الأثرية بمفردها إلى سياقها التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والبيئي، بما يضمن حماية وترابط المواقع بكامل محيطها؛
 - الاهتمام بالمحيط العمراني الشامل للمآثر التاريخية بالمدينتين؛
 - أهمية وضع استراتيجية تنموية مندمجة، تقوم أولاً على دراسة وتشخيص الوضعية الحالية لجميع المآثر التاريخية القديمة بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس، كما من شأنها أن تساهم في المحافظة على هذا التراث العمراني وتأهيله والتعريف به؛

- تضمين التراث العمراني في المغرب ضمن المناهج المدرسية، لزيادة الوعي والإدراك لدى الطلاب والتلاميذ والمجتمع بأهميته؛
- وضع إطار قانوني فعال لتنظيم عمليات الاستثمار في المباني والمدن التاريخية والأنسجة القديمة؛
- إنشاء صندوق خاص لحماية التراث، يدعم القروض الميسرة للحفاظ والحماية الطارئة للمباني التاريخية؛
- وضع آلية لتتبع وتقييم ومراقبة المشاريع المرممة، لضمان التزام الشركاء بمسؤولياتهم من حيث التشغيل والصيانة؛
- تصميم أداة لتقييم الآثار الاجتماعية والاقتصادية لمشاريع الحفاظ ورد الاعتبار وإعادة التوظيف.
- إدماج متخصصين من ذوي الكفاءة والمهارة في مجالات التنمية، ضمن أطر التصميم والتنفيذ لعملية الحفاظ ورد الاعتبار؛
- توفير قاعدة معطيات حول المشاريع الاستثمارية في المناطق التاريخية وطرق تنفيذها ومخاطرها، بالإضافة إلى دراسات الجدوى وآليات التمويل لدعم المستثمرين والمجتمع المدني بها.
- إعادة النظر في سياسة إعادة توظيف بعض المباني التاريخية بالمدينتين، واقتراح مشاريع جديدة تلائم خصوصياتها؛
- جذب المستثمرين لإقامة أنشطة سياحية بجوار مراكز التراث العمراني بالمدينتين، مع الحفاظ على الطبيعة الخاصة لمناطق التراث.
- التسويق للمآثر التاريخية المرممة سياحيا، مع الاهتمام واستهداف السائح المحلي وتوفير الخدمات السياحية؛
- تكثيف البرامج الإعلامية والتعريف بالموروث الثقافي والحضاري الذي تشتهر به مدينتا فاس ومكناس في مختلف وسائل الإعلام، وذلك بهدف الانفتاح والتعريف بالمجال السياحي للمدينتين.
- ربط علاقات تعاون وشراكة على المستوى الدولي، خصوصا مع بعض المدن السياحية المشهورة عالميا، والتي تتوفر على بنى وإمكانية مهمة في السياحة، يمكن الاستفادة منها والتعامل مع مؤسساتها وجمعياتها السياحية.

- قيام الفاعلين المحليين بعقد جولات تسويقية وتوعية بمناطق التراث العمراني وأهميته، وأن تخصص الجماعات الترابية جزءا من ميزانيتهما للتسويق، وتمويل بعض مشاريع الحفاظ وتطوير التراث العمراني والارتقاء به.

- توظيف هذه المآثر التاريخية من الناحية الاقتصادية والسياحية؛

- تثمين وتأهيل النسيج العمراني بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس رهين بوضع مخطط شمولي تنموي مندمج من أجل جعل هذين المدينتين مجالا وقاطرة للتنمية.

- إشراك جميع المتدخلين في مجال المحافظة على الأنسجة العمرانية للمدينتين القديمتين مشددين على أهمية الشراكة بين القطاعين العام والخاص.

- الاهتمام بتنمية المجتمع المدني ونشر الوعي والتحسيس بأهمية التراث، من خلال مشاركة مدنية فعالة في جميع مراحل إعادة الاعتبار والصيانة.

- تمكين الفاعلين العموميين والمجتمع المدني، وتفعيل دورهما في المراقبة وتوعية السكان حول أهمية التراث والحفاظ عليه.

- ضرورة إدماج المجتمع المدني في كل استراتيجية تنموية، وضرورة العمل على تطوير وتنمية المدن القديمة وتنميتها اقتصاديا واجتماعيا بهدف تحقيق تنمية متوازنة.

ختاما وإن قدمت هذه الأطروحة نظرة عامة حول تدهور التراث العمراني بالمدينتين القديمتين بفاس ومكناس، فإننا نوصي بالتخصص في الدراسات اللاحقة في مجال واحد، بالإضافة إلى القضايا التالية والتي تحتاج إلى مزيد من الدراسة، وهي:

- إدارة التراث العمراني لما له من أثر في اتخاذ القرارات والالتزام في التعامل مع التحديات ومواصلة عملية الحفاظ على المدى الطويل.

- الحكامة الحضرية الحديثة في أنظمة المباني التاريخية وأثرها على الاستدامة.

- التمويل الذاتي لمشاريع رد الاعتبار وإعادة التوظيف، لضمان استدامتها على المدى الطويل.

لائحة البيبليوغرافيا

الأطروحات الجامعية

- أمانى السيد، (2010)، إعادة الإحياء العمراني كركيزة للاستدامة مع ذكر خاص لمناطق التراث العمراني، رسالة الدكتوراه، جامعة القاهرة، مصر.
- اليزيد حمدوني علمي، (2004)، التمدين والبيئة الحضرية بمدينة فاس، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرار، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
- بوشتي الخزان، (2000)، الإنعاش العقاري العمومي بالمغرب: حالي المؤسسات الجهويتين للتجهيز والبناء بمدينة فاس ومكناس. أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - ظهر المهرار، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
- جواد أبو زيد، (2009)، القطاع غير المهيكل والتنمية الحضرية بالمدينة القديمة لفاس حالة فندق اليهودي. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة.
- جمال حيمر (2003): مكناس من التأسيس إلى مطلع العصر الحديث، دراسة في التاريخ السياسي والعمراني، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس.
- خيرية عبد الله إبراهيم الأصقة، (2010)، إدارة التراث الثقافي في المملكة العربية السعودية - حالة الحرف والمصوغات التقليدية. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض.
- عبد المالك الناصري، (2003)، الخريطة المعمارية لمدينة مكناس دراسة تاريخية معمارية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس.
- عبد الواحد الهاروني علوي، (2004)، الأضرحة والمزارات، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس.
- عبد الواحد مهداوي، (2008)، حماية ورد الاعتبار للمدن العتيقة بالمغرب خلال القرن العشرين مع دراسة حالة مشروع إنقاذ فاس، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
- علي البوازيني، (2007)، التعمير بمدينة فاس بين النظام العمراني الأصل ومنظومة التعمير الاستعماري دراسة تاريخية إستراتيجية. أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس، فاس.

- **محمد البغدادى**، (2004)، الترفيه والممارسة الحضرية بمدينة فاس. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرار، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس.
- **محمد الرفيق**، (2012)، المباني المهددة بالانهيار الناجمة عن الأخطار الطبيعية والممارسات الحضرية بمدينة فاس، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
- **محمد اللحية**، (2007)، مدينة مكناس الوسطية النشأة والتمدين 452-645هـ/1060-1247م، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط.
- **محمد دروا**، (2003)، المدينة في تاريخ المغرب، دراسة مجملية، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط.
- **مصطفى كنكورة**، (2010)، استراتيجية المحافظة ورد الاعتبار للمدن العتيقة بالمغرب حالة مكناس من 1912 إلى بداية القرن 21م، أطروحة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

الكتب

- **إبراهيم خليل أبراش**، (2009)، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.
- **إبراهيم القادري بوتشيش**، (1993)، المغرب والأندلس في عصر المرابطين: المجتمع - الذهنيات - الأولياء. دار الطليعة، بيروت، لبنان.
- **إبراهيم حركات**، (1985)، المغرب عبر التاريخ، 4 أجزاء، الطبعة الأولى، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.
- **أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور**، لسان العرب، مادة "ورث" المجلد الثاني. دار الرشاد الحديثة، بدون تاريخ.
- **أحمد ابن القاضي المكناسي**، (1973)، جدوة الاقتباس في تكرر من حل من الأعلام بمدينة فاس. دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط.
- **أحمد حسين أبو الهيجاء**، (2002)، البحث في توجيه عمليات الحفاظ والترميم المعماري في فلسطين لحماية البيئة العمرانية والتراث المعماري، قطاع غزة، فلسطين.

- **المصطفى بنفايدة، (2007)**، مكناس: جولة في التاريخ والمعالم. مطبعة هديل للإعلام الطبعة الأولى، مكناس.
- **توفيق أحمد عبد الجواد، (1987)**، "العمارة الإسلامية فكر وحضارة"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.
- **جون فرانسوا تروان، (2006)**، المغرب مقارنة جديدة في الجغرافية الجهوية، ترجمة علي ابت احماو وادريس البوشاري، مطبعة طارق للنشر.
- **روجيه لوتورنو، (1994)**، فاس قبل الحماية. ترجمة الأخضر محمد، حجي محمد، الجزء الثاني، مطبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- **روجيه لوطورنو، (1992)**، "فاس قبل الحماية". ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي بيروت.
- **روجيه لوتورنو، (1967)**، كتاب فاس في عصر بني مرين. ترجمة نقولا رباد، سلسلة مراكز الحضارة، بيروت.
- **صالح مصطفى لمعي، (2008)**، المخطط العام للحفاظ على التراث الثقافي، القاهرة، مصر.
- **عامر ابراهيم قنديلجي، (1999)**، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.
- **عبد الرحمان ابن زيدان، (1993)**، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف (المنزع)، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، الطبعة الأولى، مطبعة إديال، الطبعة الأولى، الدار البيضاء.
- **عبد الرحمان ابن زيدان، (1990)**، إتحاف أعلم الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس أو عبير الآس من روض تاريخ مكناس، أو حسن الاقتباس من مفاخر الدولة العلوية بمكناس. خمسة أجزاء، الطبعة الثانية، مطابع إديال، الدار البيضاء.
- **عبد الرحمان البكويوي، (1993)**، التعمير بين المركزية واللامركزية، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط.
- **عبد الستار عثمان، (1988)**، المدينة الإسلامية. سلسلة عالم المعرفة 128، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- **عبد العزيز بن عبد الله، (2001)**، فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، الجزء الأول، المطبعة الملكية - الرباط.

- عبد الواحد مهداوي، (2011)، دليل التراث الثقافي والطبيعي بالمغرب. منشورات مرايا، طبعة 2011.
- علي الجزنائي، (1967)، كتاب جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط.
- علي الفاسي ابن أبي زرع، (1972)، (ق 8 هـ / 14م)، الدخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية. دار منصور للطباعة، الرباط.
- علي الفاسي ابن أبي زرع، (1972)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط.
- علي خليل اسماعيل الحديشي، (1999)، "حماية الممتلكات الثقافية في القانون الدولي دراسة تطبيقية مقارنة"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- عوف أحمد صلاح الدين، (2006)، مفاهيم الحفاظ لألفية جديدة في دولة الامارات العربية المتحدة. دائرة الثقافة والإعلان، الطبعة الأولى، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.
- محمد ابن غازي العثماني، (1988)، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط 2، الرباط.
- محمد الرفيق، (2018)، المباني الأيلة للسقوط بمدينة فاس: الأسباب، الأشكال، وطرق التدبير، مطبعة وراق بلال، فاس، المغرب.
- محمد المنوني، (1988)، مدائن مكناسة القديمة من العصر الإدريسي إلى أواخر عصر الموحدين. أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب مكناس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
- محمد بريان، حسن بنحليمة، عبد الله العوينة، (1981)، قراءة وتحليل الخريطة الطبوغرافية. منشورات اللجنة الوطنية المغربية للجغرافية، الطبعة الثالثة، الرباط.
- محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، (1900)، سلوة الأنفاس ومحادثاة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، المطبعة الحجرية، فاس.
- محمد نجيب بن يحيى: استراتيجية عملية لتدبير تراث تاريخي، التراث والتنمية المستدامة في المدن التاريخية بالمغرب العربي المعاصر دراسة حالات والتشخيصات والتوجهات. اليونسكو، مكتب الرباط.
- معنى محمد السنوسي، (2013)، نبضات من قلب فاس: سيرة مدينة وتاريخها. دار النشر المغربية - الدار البيضاء، المغرب.
- موسى عوني، (2005): دليل فاس المسارات السياحية الموضوعاتية، منشورات وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس، منشورات عكاظ، الرباط.

- وحيد رجاء دويدري، (2000)، البحث العلمي، أساسياته النظرية وممارسته العلمية، دار الفكر، دمشق، سوريا.
- مدينة مكناس تاريخ ومعالم، (1988): منشورات ودادية رؤساء المصالح الإدارية بمكناس، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء.

المقالات

- ابراهيم حركات، (1964)، العمران وفن البناء في عهد المرينيين، مجلة دعوة الحق، عدد 6، سنة 7.
- إبراهيم وحيد زكريا ومنال شديد، (2006)، "تأثير تجديد المباني ذات القيمة التاريخية على تجديد الفراغات الحضرية المتاخمة لها، مؤتمر قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، المؤتمر الدولي الثالث، القاهرة، مصر.
- أحمد بكاوي، (1995)، من أجل إنقاذ المدن الأصيلة، ما العمل؟، إنقاذ الرصيد الحضري بالمدن الأصلية المغربية والمراكز القديمة بفرنسا، ضمن كتاب الدورة الثامنة للملتقى الثقافي لمدينة صفرو.
- إدريس الفاسي، (1988)، مكناس في بيئتها الطبيعية، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى اسماعيل، مكناس.
- أسعد أبو غزالة، (2012)، "الأبعاد الاقتصادية لتصنيف وترتيب المباني التراثية والحفاظ عليها نحو مدخل لتفعيل التنمية المستدامة للمدن التاريخية". منشورات المؤتمر والمعرض الدولي الثالث للحفاظ على التراث العمراني، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
- أشرف صالح محمد سيد، (2010): "التراث الحضاري في الوطن العربي - أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ"، بحث مقدم إلى ندوة الحفاظ على التراث الحضاري في الوطن العربي، مطبوعات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، البتراء، الأردن.
- ألفه الحاج علي، (2003)، الديناميكية الديموغرافية وانعكاساتها المجالية نموذج مدينة فاس العتيقة، المدينة المغربية العتيقة: إشكالية الحاضر وتحديات المستقبل"، ضمن كتاب أشغال الملتقى الوطني السادس للباحثين في جغرافية المدن منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش.
- اليزيد حمدوني علمي، بوشتي الخزان، (2009)، الانعكاسات المجالية لتحول الصناعة التقليدية بمدينة فاس القديمة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرار، العدد 16، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

- **اليزيد حمدوني علمي، بوشتي الخزان، ماجدة صواب وزهير البحيري، (2014)**، تثمين المدن التراثية: حالة المدينة القديمة صفرو، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهرار "التراث الحضري والحدثة"، العدد 13 يناير 2014 - السنة السادسة والثلاثون، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
- **بوشتي الخزان، محمد حمجيق، (2007)**، المدينة القديمة بفاس تراث إنساني بين التهميش والإنقاذ. مجلة دفاتر جغرافية، عدد مزدوج 3-4 (التراث والمجال والتنمية)، كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهرار، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
- **بوشتي الخزان، منير الصادقي، (2014)**، التراث الحضري لمكناس العتيقة وأية استراتيجية للتنمية، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهرار " التراث الحضري والحدثة"، العدد 13 يناير 2014 - السنة السادسة والثلاثون، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
- **بونيون فرنسوا (2004)**: نشأة الحماية القانونية في حالة النزاع المسلح ضمن إطار القانون الدولي الإنساني التعاقدى والعرفي. محاضرة قدمت في اجتماع الذكرى الخمسين لاتفاقية لاهاي 1954.
- **جل جميل، زحوط إسماعيل، (2012)**: الحرف والصناعات التقليدية كفرص لترقية السياحة الداخلية في الجزائر، الملتقى الوطني حول فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، كلية العلوم القانونية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة باتنة، الجزائر.
- **جمال حيمر، (1995)**، العمران الإسماعيلي مقدمات وملاحظات عامة، ضمن أعمال ندوة السلطان مولاي اسماعيل، منشورات جامعة المولى اسماعيل، مكناس.
- **رضوان حسن، (1995)**، استراتيجيات رد الاعتبار للمدن التاريخية فاس نموذجا، إنقاذ الرصيد الحضاري بالمدن الأصيلة المغاربية والمراكز القديمة بفرنسا، ضمن كتاب الملتقى الثقافي لمدينة صفرو.
- **زهير البحيري وامحمد الموساوي، (2012)**، المدينة العتيقة بصفرو بين التدهور ورد الاعتبار، ضمن كتاب سياسة المدينة الواقع وأفق التفعيل، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الدورة الثالث والعشرين، الشركة العامة للتجهيز والطبع، الطبعة الأولى، فاس.
- **سعيد بن سليم الكيتاني، (2010)**، " التراث الثقافي والإنسان والتنمية"، مجلة تواصل عدد 13، عمان.
- **سمية لحلو، (2002)**، تأهيل السياحة رهين بتصحيح عمران المدينة، مجلة البرج، عدد خاص.
- **سيف الدين الخرشافي، (2001)**، المدينة العتيقة بين رد الاعتبار والتخطيط الحضري، مجلة البرج، عدد دجنبر.

- عبد الهادي التازي، (1991)، جامع القرويين، الجامع بمدينة فاس. المجلد الأول، العدد 11.
- فاطمة شكيب، (2011)، "دار السلاح بفاس أقدم متحف في العالم العربي شيده أسرى برتغاليون"، جريدة الشرق الأوسط، العدد 11744.
- ماجدة صواب، بوشتي الخزان، (1998)، المدينة القديمة بفاس وإستراتيجية رد الاعتبار، ندوة مراكز المدن العربية: إعادة التأهيل عمرانيا-حضريا-اجتماعيا-اقتصاديا، حلب الجمهورية العربية السورية.
- محمد العرايشي، (1988)، الثقافة في مدينة مكناس في حاضرها وماضيها، ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى اسماعيل، مكناس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
- محمد المنوني، (1972)، التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور (التخطيط)، مجلة الثقافة المغربية، العدد 7.
- محمد المولودي، محمد البوشيخي، (2016)، "المدن التراثية: الدينامية ورهان الإنقاذ: حالة مدينة فاس العتيقة"، أعمال الندوة الوطنية "التراث العمراني بالمغرب: التحولات ورهانات التنمية التراثية"، مختبر: الدينامية، المجال، التراث، التنمية المستدامة، الكلية متعددة التخصصات تازة.
- محمد بنعتو، (2008)، الموروث الإنساني- الهندسي أو التراث متعدد القيمة الرمزية والدلالة حالة العرائش (المغرب)، مجلة إنسانيات عدد 42 أكتوبر- ديسمبر 2008.
- محمد حمجيق، عبد النور صديق، عبد السلام بوهلال، (2014)، المدن القديمة بين مخاطر التدهور واستراتيجية المحافظة والإنقاذ حالة مدينة وزان، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرار "التراث الحضري والحدثة"، العدد 13 يناير 2014- السنة السادسة والثلاثون، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
- مصطفى أبو محمد، (2002)، "البطحاء القصر السلطاني الذي أصبح متحفا"، جريدة اليوم، العدد 10661.
- منير أقصبي، (2009)، ترميم أسوار مدينة فاس بين أصول الفن وإكراهات الواقع، مجلة التراث المغربي، العدد 2.
- نعيمة الحضري، (2006)، المدارس المرينية بفاس (دراسة تاريخية ومعمارية). مجلة التاريخ العربي، العدد 38، الإمارات العربية المتحدة.
- عبد الإله الغزاوي، (2007)، السقاية المكناسية: تراث عمراني عريق. مجلة مكناس تكرارت، نشرة تصدر عن جمعية إنقاذ المدينة والمآثر التاريخية بمكناس، العدد 2.

- عبد الواحد مهداوي، (2007)، جهود المحافظة على التراث العمراني بالمغرب: دراسة تجريبية مدينة فاس. أشغال المؤتمر الدولي الثاني حول الحفاظ العمراني، دبي.
- فاتنة كردي وسمان مازن، (2008)، "المنظمات الدولية والعربية ودورها في الحفاظ وإعادة تأهيل المدن القديمة وتنميتها سياحياً"، مجلة بحوث جامعة حلب، سوريا.
- لحسن تاوشتخت، (2017)، العمارة المغربية المبنية بالتراب وتحديات المحافظة والتأهيل، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراب، الرباط، هسربيس- تمودة 3.
- مجلة زهور، (2012): مكناس بوابة المغرب العتيق، العدد الثاني، السنة الأولى، مجلة تصدر عن جمعية زهور للعدالة الاجتماعية والتنمية المستدامة، مطبعة الرباط.
- محمد اللحية، (2011)، محددات نشأة المدينة المغربية الوسطية وتمدينها مكناس 452-645هـ/1060-1247م. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، مطبعة سايس كرافك، الطبعة الأولى، فاس.
- مصطفى كنكورة، جواد أبوزيد، (2016)، البنايات الآيلة للسقوط بمدينة مكناس القديمة: بين الحد من المخاطر ورد الاعتبار للتراث العمراني، ضمن كتاب أشغال الدورة السابعة والعشرون للملتقى الثقافي لمدينة صفرو 22-23 أبريل تحت عنوان (التجديد الحضري بالأنسجة العمرانية القديمة).
- نور الدين محمد عماد، (2010)، "الحفاظ على التراث العمراني في المدينة الإسلامية القديمة، دروس مستفادة من تجارب سابقة"، سجل أبحاث المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية"، الرياض، السعودية.

بحوث الإجازة والماستر

- إبراهيم وزاني وعبد المجيد هضمي، (1991)، تصميم رد الاعتبار للمدن الأصيلة بالمغرب نموذج مدينة فاس، بحث لنيل دبلوم مهندس معماري المدرسة الوطنية للهندسة، للرباط.
- أحمد الطلحي، (1999)، تدهور السكن بمدينة فاس الأصيلة ومحاولات إصلاحه. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
- أحمد محمود الشحات، (2003)، "الاستدامة في مشروعات الحفاظ العمراني والمعماري". رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الهندسة، قسم الهندسة المعمارية، القاهرة، مصر.
- أيمن عزمي جبران سعادة، (2009)، "آليات تفعيل المشاركة الشعبية في مشاريع الحفاظ المعماري والعمراني - حالة دراسية للضفة الغربية"، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

- **حسن الحجامي، (2013)**، الولوجية والتنمية السياحية بمدينة فاس القديمة: نموذج مسار المعالم والأسواق الممتد من بوجلود نحو مدخل الرصيف، بحث لنيل شهادة الماستر متخصص، تخصص المدن التراثية والتنمية، شعبة الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرار، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
- **ريهام الخضراوي، (2012)**: الحفاظ على التراث العمراني، رسالة لنيل درجة الماجستير في التخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، مصر.
- **زهرة لحسيني وشادية الكدري، (2006)**، دراسة تاريخية ومعمارية لمساجد وسقايات المدينة (مكناس). بحث لنيل الإجازة في شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى اسماعيل، مكناس.
- **علي البوزاليني، (2002)**، ملامح تخطيط المدينة المغربية الأصلية: دراسة مقارنة بين مدينتي فاس ومراكش خلال العصر الوسيط. بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعممة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس، فاس.
- **عمر الإدريسي ورشيد عفيرات، (1992)**، مقارنة الشكل في العمارة الأصلية نموذج مدينة فاس، دبلوم لنيل مهندس معماري المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية، الرباط.
- **عمر بومهدي، (2012)**، التراث المبني بمدينة في عهد المولى إسماعيل 1672-1727م، بحث لنيل الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى اسماعيل، مكناس.
- **محمد اللحية، (1984)**، الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن 19، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط.
- **محمد عتمة فوزي علام، (2007)**، إعادة تأهيل المباني التاريخية في فلسطين "حالة دراسية، تجربة مدينة نابلس عام 1994"، أطروحة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين.
- **مصطفى كمال مدبولي، (1992)**، "إعادة تأهيل المناطق المركزية ذات القيمة التاريخية في الدول النامية"، دراسة حالة القاهرة، منطقة درب الأحمر، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.
- **نسرین رفیق اللحم، (1997)**، "الحفاظ على المباني التراثية وتوظيفها". رسالة ماجستير، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.

- **مصطفى كنكورة، (2001)**، مكناس القديمة آليات ووسائل المحافظة والإنقاذ خلال القرن العشرين، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس - سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

- **هشام برودي، (2017)**، التجهيزات العمومية بمدينة مكناس العتيقة، بحث لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرار، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

- **ياسر هاشم عماد الهياجي، (2013)**، إدارة مواقع الجذب السياحي التراثية، مدينة صنعاء القديمة أنموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود الرياض، المملكة العربية السعودية.

المصادر والمراجع المعتمدة باللغات الأجنبية

Thèses

- **ABOULEM, S. (2002)**, Délocalisation des activités polluantes de la Médina de Fès ou l'impasse de la sauvegarde, Thèse de doctorat de 3^{ème} cycle, INAU. Rabat.
- **BEGHDADI, M. (1990)**, La médina de Fès flux d'hommes et reproduits. Université Français Rabelais-tours UFR aménagement et géographie département de géographie Département de géographie 1989-1990.
- **BENCHKROUN, N. (1982)**, La Reconquête des centres anciens : les conditions de la réhabilitation des médinas : cas de Fès. Thèse de doctorat de 3^{ème} cycle, INAU. Rabat.
- **BOUAZZA -EL ASSOULI, B. (1993)**, La protection du patrimoine culturel au Maroc, cas des monuments et des Sites. Mémoire de cycle supérieur, ENAP. Rabat .
- **CHRAIBI, (S). (1998)**, Processus de dégradation d'un site Historique La Médina D'Azemmour, Institut National de l'aménagement et d'urbanisme Rabat.
- **EL BOUCHIKHI, M. (1990)**, La rénovation de l'habitat dans la Medina de Fès, thèse de Doctorat (Géographie de l'aménagement) Université de Bordeaux III.
- **ELKHAMMAR, A. (2005)**, « Mosquées et oratoires de Meknès (IX-XIII siècles) : géographique, architecture et problème de la Qibla, Thèse de Doctorat d'histoire et d'archéologie médiévales, Université Lumière Lyon 2, Faculté de Géographie Histoire, Histoire de l'art et Tourisme.
- **MASROUR, J. (2007)**, La Sauvegarde de la Médina de Fès : De l'ambition à la réalité. Quel bilan? Institut National de l'aménagement et d'urbanisme-Rabat.

Ouvrages

- **BEN FAIDA, M. (2011)**, Meknès un musée à ciel ouvert, première édition, Meknès.
- **BENZAKOUR, H. (2003)**, Haj Driss Benzakour Raconte fès, Publiday-Multidia, Casablanca.
- **BARRUCAND, M. (1985)**, Urbanisme Princier en islam, Meknès et ville royales islamiques Post Médiévales, librairie orientaliste Paul, Guethner S.A Paris.

- **BARRUCAND, M. (1976)**, « L'Architecture de la Qasba de Moulay Ismail à Meknès ; étude et travaux d'archéologie marocaine » volume VI, Casablanca.
- **CHERKAoui, T. (1987)**, Les tremblements de terre. p p : 56-74, In «La grande encyclopédie du Maroc», Vol. Géographie physique et Géologie. 237 p.
- **EL IDRISSE EL OMARI, M. (2010)**, l'espace urbain de la médina de Fès l'Epoque Alaouite jusqu'au protectorat, édition Afrique orient.
- **FEILDEN, BERNARD, M. (1994)**, Conservation of Historic building. London, Butterworth Architecture.
- **GAUDIO, A. (1982)**, Fès joyau de la civilisation islamique, Nouvelles Ed Latines, Paris.
- **HAMMAD, B. (2011)**, Fès de Bab en Bab Promenades dans la Médina, Edition Marsam, RABAT.
- **HAMMAD, B. (2005)**, Meknès de bab en bab, volubilis et Moulay Idriss Zerhoun, Casablanca.
- **KEANEY, E. (2005)**, Heritage and Civil Renewal: Do we have the right policies? IPPR, London.
- **MARSTON FITCH, J. (1998)**, Historic preservation. Curatorial Management of the Built World. University Press of Virginia, Charlottesville & London.
- **PICKENS, S, SAHAROFF, P. (1990)**, Les Ville impériales du Maroc. ACR, édition internationale, Paris.
- **ROSELLI, P. (1991)**, Restoration of the City this Day (trans). Alliena, Firenze.
- **VICAIRE, V. (2012)**, Souvenirs du Maroc, éditions, Afrique-Orient.

Articles

- **ABRY, A. (2003)**, «Habitat et intégration patrimoniale dans la médina de Fès : quelles politiques, quels enjeux». Université Européenne d'été «Habiter le patrimoine», Saumur, 13–16 Octobre 2003.
- **AKSBI, M. (2007)**, Magasine cahier géographie, N° 3-4.
- **BELINDA, Y. (2005)**, "Strengthening Urban Heritage In Singapore: Building Economic Competitiveness and Civic Identity", Global Urban Development, Vol 1, Issue 1.
- **CORDON, C. (1964)**, Town Scape. P P. (10-14).
- **EL BOUCHIKHI, M. (2008)**, Caractéristiques de l'espace urbain traditionnel cas de la Médina de Fés, Fès : Ressources, patrimoine et développement local.
- **ELKHAMMAR, A. (2001)**, « les madrasas mérinides de Meknès, archéologie islamique », revue publiée avec le concours du centre national de la recherche scientifique, maison neuve et Larousse, 11ème trimestre.
- **ETAHIRI, A. (2003)**, locaux d'enseignement au Maroc islamique : genèse et rôle de la medrasa , revue amal, n° 28-29.
- **FASSI, D. (1977)**, Géographie physique de la région de Meknès. Revenue de Géographie du Maroc, N° 1, Faculté des lettres et sciences humaines Rabat.
- **GENDRE, F. (1944)**, « Climatologie des villes du Maroc ». Revue de Géographie de Maroc, N° 4.
- **Groupe de Recherche Géographie, société et Aménagement (GREGSA) 2012** : Evaluation des politiques publiques en matière de résorption de l'habitat insalubres de Meknès. Minbbar Al JAMIAA.

- **JENNAN, L. LANDEL, PA. SENIL, N. (2007)**, Le Patrimoine : une ressource pour le développement territoire expériences de mise en œuvre de pôles d'économie du patrimoine au maroc. Revue cahier géographiques, N° ¾ université sidi Med Ben Abdellah. FLDM Fès.
- **RUI, L. (2008)**, Urban Heritage Conservation by GIS under Urban Renewal, A Case study of Hankou Historical District in Wuhan, China, 44th ISOCARP Congress.
- **MECHKOURI, A. (xxxx)**, Présentation de la ville de Meknès, Faculté des Lettres Meknès, S.D.
- **TAGEMOUATI LAHBIL, N. (2003)**, Objectives, Enjeux et contraintes des politiques de Réhabilitation, Rencontre internationale Fès, patrimoine et développement durable dans les villes historiques du Maghreb: enjeux diagnostics et recommandations» Bureau Multipays de l'UNESCO, Rabat.
- **RLAEDC, (2002)**, Definition utilized in Rebuilding London's Future, Report of the London Assembly's Economic Development Committee, March 2002 .
- **STEVEN, T. (1996)**, Revitalizing Historic Urban Quarters.
- **STOVEL, H. (1997)**, Operationnal Guidelines for The Implement of The World Heritage Conventions. ICOMOS, Unesco, Paris.

Rapports

- **ADER-Fès, (2013)**, Lala Ydouna, Description du projet. Gouvernement du Royaume du Maroc.
- **ADER-Fès, (2004)**, Etude de définition et de Montage des opérations d'actions D'urgence au sein de la Medina de Fès Jedid , rapport de diagnostic et de présentation de la stratégie globale.
- **ADER- Fès, (1982)**, Sauvegarde de la ville de Fès, Tome I, Programme des nations unies pour le développement. Ministère de l'intérieure en collaboration avec et Unesco.
- **ADER- Fès, (1996)**, Sauvegarde de la médina de Fès, étude de restructuration de l'artisanat de la médina de Fès et de protection de son environnement version finale.
- **Agence Urbaine de Meknès, (2015)**, Plan d'aménagement de la médina de Meknès, Rapport justificatif.
- **Agence Urbaine de Meknès, (2010)**, Charte Architecturale du centre historique de Meknès, volume 1 (diagnostic).
- **Agence Urbaine de Meknès, (2007)**, Projet de mise à niveau de l'axe Bab Aissa-Bab Bradyaine, Document technique.
- **Agence Urbaine de Meknès, (2004)**, Deux circuits touristiques élaborés dans le cadre de la mise à niveau du projet urbain de la ville de Médina de Meknès, secteur médina et ville impériale.
- **Al Omrane Meknès, (2010)**, Mise à niveau urbain des bâtisses menaçant ruine de la ville de Meknès, Rapport annuel.
- **Al Omrane Meknès, (2008)**, Mise à niveau de la ville de Meknès, exposé.
- **AMARANI ABROUCH, M. (2009)**, Projet de mise à niveau de l'Axe Qoubat Souk, étude technique, Commune Urbaine de Meknès.
- **AMARANI ABROUCH, M. NAHAL, M. et BENNANI, K. (2004)**, Etude de définition et de montage des opérations d'actions d'urgence au sein de la Medina de Fès. Ader- Fès.

- **ATLAS, (2006)**, Région Meknès – Tafilalt, Ministère de l'aménagement du territoire de l'eau et de l'environnement, inspection régionale Meknès – Tafilalt.
- **Banque Européenne d'investissement et Préfecture de Meknès, (2016)**, Etude de préparation d'une opération de Réhabilitation urbaine, Quartier de Tizimi.
- **Banque Européenne d'investissement (BEI), Al Omrane, (2008)**, Medina du Maroc Scénarios 2030 Meknès- Azemour.
- **Banque Mondiale, et ADER de Fès, (2002)**, Dossier fiches de projets pour la Réhabilitation de la Médina de Fès.
- **Banque Mondiale, 2002**, Projet de mise en valeur du patrimoine culturel ville historique du Meknès, Mission d'identification préalable.
- **Banque Mondiale, 1995**, Projet de sauvegarde de la Medina de Fès, Evaluation Sociale, rapport de synthèse.
- **Chorfi, A. 2012**, Réhabilitation de la Médina de Meknès, Etude, Coopération Allemande (GIZ), Programme Comun, Commune Urbain de Meknès.
- **Conseil Régional Meknès- Tafilalt, (2008)**, Ministère du Tourisme et de l'artisanat, Etude de Repositionnement Touristique de la Région Meknès- Tafilalt. Rapport I. II. III.
- **Délégation Régionale du Tourisme, (2009)**, Rapport d'Activité touristique dans la région Meknès-Tafilalt, indicateur d'Activité et investissements touristiques.
- **Délégation Régionale du Tourisme, (2007)**, Plan de Développement Régional Touristique de Meknès, Région Meknès- Tafilalt.
- **Humbert, M. (1967)**, Mémoire explicatif de la carte géotechnique de Fès, Notes et Mémoire du Service Géologique, N° 186 bis.
- **ICOMOS, (1964)**, (International Council On Monimenys and Sites), international chartes for the conservation and restoration of monuments and sites, the VENICE CHARTER, Article 01.
- **Ministère de l'habitat et de l'aménagement du territoire, (1979)**, schéma Directeur et de l'urbanisme de la ville de Meknès, secteur médina.
- **Ministre d'économie et d'emploi français, (2010)**, Exemple de grille de diagnostic du contexte socioéconomique du territoire, rapport publié sur internet.
- **Préfecture d'Al ismailia, (1990)**, commune d'Al ismailia, projet de restauration des Fontaines dans la Medina de Meknès, Fiches Techniques.
- **Préfecture De Meknès, (2016)**, Programme de Réhabilitation et de Mise à niveau de l'ancienne Médina de Meknès.
- **Préfecture De Meknès, (2016)**, Projet d'aménagement de la place Lahdim, Fiche technique.
- **RADEEF, (1996)**, Achèvement du Plan Directeur d'assainissement liquide du Grand Fès. Tome 2, mission 1-1, Rapport final.
- **SERGHINI, F. (2009)**, Réhabilitations de la médina de Fès, ADER- Fès.
- **UNESCO, (1999)**, Le projet pilote de restauration et de réhabilitations du Palais Dar Adiyel à Fès. un exemple remarquable de coopération internationale tripartite, éditeur diagonale Rome Italie.

- UNESCO, (2003), Rencontre internationale Fès-2003 patrimoine et développement durable des centres historiques urbains, Rapport Final, Bureau Multipays de l'UNESCO, Rabat.
- UNITED NATION, (1971), Economic commission for Europe, Urban Renewal, vol 1, United Nation, New York.
- Wilaya de Meknès Tafilalet, Préfecture de Meknès, (2010), Rapport de Constructions menaçant ruine.

الظواهر الشريفة والقوانين والمراسيم والمذكرات الوزارية

- ظهير 16 ذي الحجة 1330هـ-26 نونبر 1912، الجريدة الرسمية عدد 5 بتاريخ 29 نونبر 1912.
- ظهير 17 ربيع الأول 1332هـ-13 فبراير 1914 الجريدة الرسمية 43 (27 فبراير 1914).
- ظهير 11 شعبان 1364هـ-21 يوليوز 1945، الجريدة الرسمية 1715 (7 شتبر 1945).
- ظهير 31 ماي 1935 الموافق لـ 28 صفر 1345 هـ.
- ظهير 30 يوليوز 1952م المتعلق بالتعمير الصادر بالجريدة الرسمية عدد 2083 بتاريخ 26 شتبر 1952م
- ظهير 22-80، الفصل الأول.
- قانون رقم 19.05 الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.06.102 بتاريخ 18 من جمادى الأولى 1427 (15 يونيو 2006)؛ الجريدة الرسمية عدد 5435 بتاريخ 7 جمادى الآخرة 1427 (3 يوليو 2006)، ص 1646.
- قانون رقم 012.90 المتعلق بالتعمير الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.92.31 في 15 من ذي الحجة 1412 (17 يونيو 1992)؛ الجريدة الرسمية عدد 4159 بتاريخ 14 محرم 1413 (15 يوليو 1992).
- ظهير الشريف الصادر في 7 ذي القعدة 1371 (30 يوليو 1952) في شأن التعمير تتصرف بقوة القانون إلى الأحكام المطابقة لها المقررة في هذا القانون".
- مشروع قانون 2000-43 المتعلق بحماية وصيانة التراث الثقافي والطبيعي للمملكة المغربية، الفصلان 3-4.
- مرسوم رقم 1751.02 الصادر بتاريخ 23 شوال 1424 الموافق لـ 18 دجنبر 2003

الوزارات والمؤسسات

- وزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان والبيئة. مشروع قانون تأهيل العمران عدد 42-00 يوليوز 2000.
- وزارة الشؤون الثقافية، مشروع قانون 2000-43 المتعلق بحماية وصيانة التراث الثقافي والطبيعي للمملكة المغربية.
- المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية، 1994، وزارة الداخلية، مديرية التعمير، مذكرة تقديمية.

- وزارة الإسكان، 1979، المخطط التوجيهي لمدينة مكناس.
- الوكالة الحضرية لمدينة مكناس.
- ولاية جهة مكناس- تافيلالت 2009، عمالة مكناس، قسم الصفقات.
- الوزارة المنتدبة أي الوزير الأول المكلفة بالإسكان والتعمير مديرية الهندسة المعمارية، التراث وروح المجال: مكناس 2005.

- منشورات غرفة الصناعة التقليدية بمكناس، الصناعة التقليدية تراث وحضارة، صوت مكناس 2007.
- منشورات المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، العمران في الوطن العربي بين التخطيط والتشريع والإدارة.

المواثيق والاتفاقيات الدولية

- الثقافة والتراث القومي. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في خطة الشاملة للثقافة العربية.
- اليونسكو، اللجنة الدولية الحكومية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، النصوص الأساسية.
- اليونسكو، اللجنة الدولية الحكومية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، المبادئ التوجيهية.
- ميثاق أثينا 1931 م، حماية المعالم التاريخية والطبيعية في العالم، اليونان.
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، "ما هو التراث العالمي؟".
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، "التراث الثقافي المادي"، مكتب اليونسكو بالقاهرة.
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، (نشرة 2005)، "النصوص الأساسية المتعلقة باتفاقية التراث العالمي 1972"، المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس، (17 أكتوبر-21 نوفمبر 1972).

- ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته.

الإحصاءات السكانية والنشرات الإحصائية

- المندوبية السامية للتخطيط والتوقعات الاقتصادية، الإحصاء العام للسكان والسكنى بالمغرب: 1960-1971-1982-1994-2004 - 2014.

الخرائط والتصاميم والمرئيات الفضائية والصور الجوية

- الخريطة الطبوغرافية فاس شرق وفاس غرب 1/25000.
- الخريطة الطبوغرافية لمكناس 1/50000.
- تصميم التهيئة فاس.

- تصميم التهيئة مكناس.
- الصورة الجوية فاس.
- الصورة الجوية مكناس.

Sites Web internet :

- www.unesco.org/new/ar/cairo/culture/tangible-cultural-heritage/
- www.icrc.org/ara/resources/documents/misc/62tc8a.htm
- www.icrc.org/ara/resources/documents/misc/5xff7b.htm
- www.International.icomos.org/Fvenis.htm
- www.unesco.org
- www.International.icomos.org/Fvenis.htm.
- www.iccrom.org
- www.unesco.org/en/about
- www.albanaldawli.org
- www.akdn.org
- www.oicc.org
- www.isesco.org
- www.al-turath.com
- archive.org/details/432556667/page/n151
- www.International.icomos.org/Fvenis.htm.
- www.albanaldawli.org
- www.akdn.org
- www.al-turath.com
- www.iccrom.org
- www.icrc.org/ara/resources/documents/misc/62tc8a.htm
- www.icrc.org/ara/resources/documents/misc/62tc8a.htm
- www.alecso.org/fr/pdf/201609271350.pdf
- [www.inp.rnrt.tn/Convention/Html/icomos%20chartes %20.htm](http://www.inp.rnrt.tn/Convention/Html/icomos%20chartes%20.htm)
- www.tourisme.org.ma
- www.classic.alwasat.com
- <http://www.observatoiredu tourisme.ma/>
- [www.inp.rnrt.tn/Convention/Html/icomos%20chartes %20.htm](http://www.inp.rnrt.tn/Convention/Html/icomos%20chartes%20.htm)

لائحة الجداول:

الجدول	العنوان	الصفحة
الجدول رقم 1	تطور حجم سكان فاس حسب المقاطعات بين إحصائي 1994 و 2014	82
الجدول رقم 2	تطور عدد سكان مدينة فاس القديمة	83
الجدول رقم 3	تطور عدد سكان المدينة القديمة لمكناس مقارنة بمدينة مكناس ككل	89
الجدول رقم 4	توزيع المباني المهددة بالانهيار بالنسيج العمراني القديم لمدينة فاس حسب الملحقات الإدارية وحسب درجة الخطورة	146
الجدول رقم 5	الحالة الفيزيائية للمباني بالنسيج العمراني القديم لمدينة مكناس ب %	196
الجدول رقم 6	عدد البنايات الآيلة للسقوط في مكناس 2010.	196
الجدول رقم 7	المشاريع المنجزة لرد الاعتبار للنسيج القديم بمدينة فاس ما بين سنتي 1991 و 2011	207
الجدول رقم 8	مشاريع وبرامج البنايات التحتية والمرافق العمومية	208
الجدول رقم 9	البرامج والمشاريع السياحية وتحسين المجال الحضري	211
الجدول رقم 10	مشاريع وبرامج الصناعة التقليدية	212
الجدول رقم 11	مشاريع وبرامج رد الاعتبار للمآثر التاريخية	215
الجدول رقم 12	برامج التدخل لمعالجة المباني المهددة بالانهيار بالمدينة القديمة بفاس فيما بين سنتي 1993 و 2012	219
الجدول رقم 13	المشاريع والبرامج المقترحة خلال الفترة الممتدة بين 2018-2022	224
الجدول رقم 14	مشاريع برنامج تثمين المدينة القديمة لمكناس بين سنتي 2019/2023	242
الجدول رقم 15	مشاريع تأهيل المآثر التاريخية بالمدينة القديمة لمكناس	243
الجدول رقم 16	التكلفة المالية والمساهمون في مشاريع تثمين المدينة القديمة لمكناس 2019 - 2023	244
الجدول رقم 17	توزيع المباني المهددة بالانهيار في التجمع الحضري لمكناس إلى غاية 24 أبريل 2010	246
الجدول رقم 18	تعبئة نموذج AFOM بالنسبة لمدينة فاس القديمة	279
الجدول رقم 19	تعبئة نموذج AFOM بالنسبة لمدينة مكناس القديمة	281
الجدول رقم 20	نتائج تحليل الجانب العمراني والمعماري	283
الجدول رقم 21	نتائج تحليل الجانب الاقتصادي والاجتماعي	284

285	نتائج تحليل الجانب السياحي	الجدول رقم 22
285	أهداف التنمية المحلية بمدينتي فاس ومكناس	الجدول رقم 23

لائحة الأشكال:

الصفحة	العنوان	الشكل
95	توزيع السكان بالنسيج القديم لمدينة فاس حسب حجم الأسر	الشكل رقم 1
95	توزيع السكان بالنسيج القديم لمدينة مكناس حسب حجم الأسر	الشكل رقم 2
96	المستوى التعليمي لأرباب الأسر بالنسيج القديم لمدينة فاس	الشكل رقم 3
96	المستوى التعليمي لأرباب الأسر بالنسيج القديم لمدينة مكناس	الشكل رقم 4
97	توزيع أرباب الأسر بالنسيج القديم لفاس حسب المهن	الشكل رقم 5
97	توزيع أرباب الأسر بالنسيج القديم لمكناس حسب المهن	الشكل رقم 6
98	الدخل الشهري لأرباب الأسر بالنسيج القديم لفاس	الشكل رقم 7
98	الدخل الشهري لأرباب الأسر بالنسيج القديم لمكناس	الشكل رقم 8
99	الوضعية العقارية للسكن بالمدينة القديمة لفاس	الشكل رقم 9
99	الوضعية العقارية للسكن بالمدينة القديمة لمكناس	الشكل رقم 10
121	الحالة الفيزيائية للأضرحة	الشكل رقم 11
121	الوضعية الحالية للأضرحة	الشكل رقم 12
124	الحالة الفيزيائية للزوايا	الشكل رقم 13
124	الوضعية الحالية للزوايا	الشكل رقم 14
128	الحالة الفيزيائية للمساجد والجوامع	الشكل رقم 15
128	الوضعية الحالية للمساجد والجوامع	الشكل رقم 16
133	الحالة الفيزيائية للفنادق بالمدينة القديمة لفاس	الشكل رقم 17
133	الوظيفة الحالية للفنادق بالمدينة القديمة لفاس	الشكل رقم 18
137	الوضعية الحالية للسقايات بالمدينة القديمة لمدينة فاس	الشكل رقم 19
137	الحالة الفيزيائية للسقايات بالمدينة القديمة لمدينة فاس	الشكل رقم 20
139	الحالة الفيزيائية للحمامات بالمدينة القديمة لمدينة فاس	الشكل رقم 21
139	الوضعية الحالية للحمامات بالمدينة القديمة لفاس	الشكل رقم 22
170	وضعية المساجد بالمدينة القديمة لمدينة مكناس	الشكل رقم 23

170	الحالة الفيزيائية للمساجد بالمدينة القديمة لمكناس	الشكل رقم 24
180	الحالة الفيزيائية للزوايا والأضرحة بالمدينة القديمة لمكناس	الشكل رقم 25
184	الحالة الفيزيائية للكتاتيب القرآنية بالمدينة القديمة لمكناس	الشكل رقم 26
190	وظيفة الفنادق بالمدينة القديمة لمدينة مكناس	الشكل رقم 27
190	الحالة الفيزيائية للفنادق بالمدينة القديمة لمدينة مكناس	الشكل رقم 28
191	وظيفة الحمامات بالمدينة القديمة لمكناس	الشكل رقم 29
191	الحالة الفيزيائية للحمامات بالمدينة القديمة لمكناس	الشكل رقم 30
193	وظيفة السقايات بالمدينة القديمة لمكناس	الشكل رقم 31
193	الحالة الفيزيائية للسقايات بمدينة مكناس القديمة	الشكل رقم 32
214	الأنشطة المرتقب إحداثها بساحة للأيديونة بعد عملية ترحيل الصناعات النحاسية الملوثة	الشكل رقم 33
264	مدى معرفة الساكنة بالتراث العمراني بفاس	الشكل رقم 34
264	مدى معرفة الساكنة بالتراث العمراني بمكناس	الشكل رقم 35
264	تمثلات الساكنة حول رضاها على مشاريع إعادة التوظيف بالمدينة القديمة لفاس	الشكل رقم 36
264	تمثلات الساكنة حول رضاها على مشاريع إعادة التوظيف بالمدينة القديمة لمكناس	الشكل رقم 37
265	تمثلات الساكنة حول دور المباني التراثية في تحقيق التنمية المحلية بالمدينة القديمة لفاس	الشكل رقم 38
265	تمثلات الساكنة حول دور المباني التراثية في تحقيق التنمية بالمدينة القديمة لمكناس	الشكل رقم 39
266	تنوع البرنامج السياحي لزوار المدينة القديمة بفاس	الشكل رقم 40
266	تنوع البرنامج السياحي لزوار المدينة القديمة بمكناس	الشكل رقم 41
267	توزيع الزوار حسب رغبتهم في تكرار الزيارة للمدينة القديمة لفاس	الشكل رقم 42
267	توزيع الزوار حسب رغبتهم في تكرار الزيارة للمدينة القديمة لمكناس	الشكل رقم 43
268	توزيع الساكنة حسب تمثلاتها للآثار الاقتصادية لعملية رد الاعتبار بالمدينة القديمة لفاس	الشكل رقم 44
268	توزيع الساكنة حسب تمثلاتها للآثار الاقتصادية لعملية رد الاعتبار بالمدينة القديمة لمكناس	الشكل رقم 45

الشكل رقم 46	توزيع السكان حسب رغبتهم في البقاء بالمدينة القديمة لفاس	269
الشكل رقم 47	توزيع السكان حسب رغبتهم في البقاء بالمدينة القديمة لمكناس	269
الشكل رقم 48	تقييم الساكنة لبرامج معالجة السكن المهدد بالانهيار بالنسيج القديم لفاس	270
الشكل رقم 49	تقييم الساكنة لبرامج معالجة السكن المهدد بالانهيار بالنسيج القديم لمكناس	270
الشكل رقم 50	توزيع مالكي دور الضيافة المصنفة بمدينة فاس حسب جنسياتهم	273
الشكل رقم 51	توزيع مالكي دور الضيافة المصنفة بمدينة مكناس حسب جنسياتهم	273
الشكل رقم 52	مدى تقبل فكرة دور الضيافة بالمدينة القديمة لفاس	275
الشكل رقم 53	مدى تقبل فكرة دور الضيافة بالمدينة القديمة لمكناس	275

لائحة الخرائط:

الخرائط	العنوان	الصفحة
الخرائط رقم 1	توطين مجال الدراسة	4
الخرائط رقم 2	مراحل تطور المدينة القديمة لفاس	78
الخرائط رقم 3	مراحل تطور المدينة القديمة لمكناس	85
الخرائط رقم 4	توزيع المعالم التاريخية بالنسيج القديم بمدينة فاس	108
الخرائط رقم 5	توزيع المعمار العسكري بالنسيج القديم لمدينة فاس	109
الخرائط رقم 6	الحالة الفيزيائية للأسوار التاريخية لمدينة فاس القديمة	112
الخرائط رقم 7	توزيع الأبواب بالمدينة القديمة لمدينة فاس	114
الخرائط رقم 8	توزيع المعالم الدينية بالمدينة القديمة لمدينة فاس	117
الخرائط رقم 9	توزيع المدارس الدينية بالمدينة القديمة لمدينة فاس	119
الخرائط رقم 10	توزيع الزوايا والأضرحة بالمدينة القديمة لمدينة فاس	122
الخرائط رقم 11	الحالة الفيزيائية للزوايا والأضرحة بالمدينة القديمة لمدينة فاس	123
الخرائط رقم 12	الحالة الفيزيائية للمساجد والجوامع بالنسيج القديم لمدينة فاس	127
الخرائط رقم 13	توزيع المعالم الاقتصادية بالنسيج العمراني القديم لمدينة فاس	130
الخرائط رقم 14	الحالة الفيزيائية للفنادق بالنسيج العمراني القديم لمدينة فاس	134
الخرائط رقم 15	الحالة الفيزيائية للسقايات بالنسيج القديم لمدينة فاس الحالة الفيزيائية	138

	للمساجد والجوامع	
الخريطة رقم 16	الحالة الفيزيائية للحمامات بالنسيج القديم لمدينة فاس	140
الخريطة رقم 17	تصنيف المباني المهددة بالانهيار بالنسيج القديم بمدينة فاس	148
الخريطة رقم 18	توزيع المعالم التاريخية بالمدينة القديمة لمكناس	155
الخريطة رقم 19	توزيع المعالم التاريخية بالقصبة الكبرى لمكناس	156
الخريطة رقم 20	توزيع المعمار العسكري بالمدينة القديمة والقصبة الاسماعلية لمكناس	158
الخريطة رقم 21	توزيع الأبراج بالقصبة الإسماعيلية بمكناس	160
الخريطة رقم 22	توزيع الأبواب بالمدينة القديمة لمكناس	163
الخريطة رقم 23	توزيع الأبواب بالقصبة الكبرى لمكناس	164
الخريطة رقم 24	توزيع المعالم الدينية بالمدينة القديمة لمدينة مكناس	169
الخريطة رقم 25	الحالة الفيزيائية للمساجد بالمدينة القديمة لمكناس	171
الخريطة رقم 26	توزيع الزوايا والأضرحة بالمدينة القديمة لمكناس	176
الخريطة رقم 27	الحالة الفيزيائية للزوايا والأضرحة بالمدينة القديمة لمكناس	179
الخريطة رقم 28	الحالة الفيزيائية للفنادق بالمدينة القديمة لمكناس	189
الخريطة رقم 29	الحالة الفيزيائية للسقايات بالمدينة القديمة لمكناس	194
الخريطة رقم 30	المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية لمدينة مكناس (المدينة العتيقة) 1979	230
الخريطة رقم 31	توزيع الضيافة بالمدينة القديمة لفاس	260
الخريطة رقم 32	توزيع دور الضيافة بالمدينة القديمة لمكناس	262

لائحة الصور:

الصفحة	العنوان	الصور
91	نمو الغطاء النباتي بالمباني بالنسيج العمراني القديم بفاس، يساهم في تدهورها وهشاشتها	الصورتان رقم 1 و 2
94	توضاحن ظاهرة التساكن وتقسيم البناية إلى مجموعة من الغرف تقطنها أكثر من أسرة واحدة.	الصورتان رقم 3 و 4

101	بعض الأنشطة الحرفية بالمدينة القديمة لفاس	الصورتان رقم 5 و 6
110	أسوار النسيج القديم لمدينة فاس	الصورتان رقم 7 و 8
111	البرج الشمالي شمال المدينة القديمة لفاس	الصورة رقم 9
113	البرج الجنوبي جنوب المدينة القديمة لفاس	الصورة رقم 10
116	باب المحروق	الصور رقم 11
116	باب الفتوح بعد عملية الترميم	الصورة رقم 12
120	مدرسة البوعنانية	الصورة رقم 13
120	مدرسة الصفارين	الصورة رقم 14
120	مدرسة العطارين	الصورة رقم 15 و 16
125	ضريح المولى ادريس الثاني	الصورة رقم 17
125	ضريح سيدي أحمد التيجاني	الصورة رقم 18
129	توضيح جامع القرويين	الصورتان رقم 19 و 20
132	فندق السمن	الصورة رقم 21
132	فندق التازي	الصورة رقم 22
136	سقاية النجارين	الصورة رقم 23
136	سقاية جامع أبي الحسن المريني	الصورة رقم 24
136	سقاية جامع فوارة	الصورة رقم 25
141	توضيح دار الدبغ شوارة	الصورة رقم 26
142	سوق الحنة	الصورة رقم 27
143	سوق العطارين	الصورة رقم 28
150	الحالة الخارجية للمباني المهددة بالانهيار بالنسيج العمراني القديم لمدينة فاس	الصور رقم 29 و 30 و 31
151	الحالة الداخلية للمباني المهددة بالانهيار بالنسيج القديم لمدينة فاس	الصور رقم 32 و 33 و 34
161	توضيح برج الماء	الصورة رقم 35
162	صورة لبرج الشافية	الصورة رقم 36
166	باب منصور العليج	الصورة رقم 37
167	باب الخميس	الصورة رقم 38
168	توضيح سجن قارا التاريخي	الصورتان رقم 39 و 40

172	توضح مسجد البرادعيين	الصورة رقم 41
173	توضح مسجد الأعظم	الصورة رقم 42
174	توضح الزاوية القادرية بمكناس	الصورة رقم 43
175	الزاوية التيجانية بمكناس	الصورة رقم 44
177	ضريح مولي إسماعيل بمكناس	الصورة رقم 45
182	المدرسة البوعنانية (المدرسة الجديدة)	الصورتان رقم 46 و 47
183	مدرسة العدول	الصورة رقم 48
186	هري السواني	الصورة رقم 49
187	صهريج السواني	الصورة رقم 50
197	تدهور المباني وهشاشتها بالمدينة القديمة لمكناس	الصور رقم 51 و 52 و 53
209	ساحة بوجلود بعد تهيئتها	الصورة رقم 54
210	ساحة الرصيف بعد تهيئتها	الصورة رقم 55
210	أشغال تهيئة ضفتي واد الجواهر	الصورة رقم 56
222	برج الكوكب بعد الترميم	الصورة رقم 57
223	قيسارية الكفاح	الصورة رقم 58
225	الساعة المائية المتواجدة بالطالعة الكبرى بالمدينة القديمة لفاس	الصورة رقم 59
226	المتحف اليهودي المتواجد بفاس الجديد	الصورة رقم 60
226	الموزع المائي بوجلود	الصورة رقم 61
228	بقايا مقابر المرينيين	الصورة رقم 62
228	مقبرة باب محروق	الصورة رقم 63
253	متحف البطحاء	الصورتان رقم 64 و 65
254	متحف النجارين	الصورتان رقم 66 و 67
256	متحف الأسلحة بالبرج الشمالي	الصورتان رقم 68 و 69
256	متحف برج بلقاري بمدينة مكناس	الصورتان رقم 70 و 71
258	متحف دار الجامعي بمدينة مكناس	الصورة رقم 72
261	نموذج لدور الضيافة بمدينة فاس	الصورتان رقم 73 و 74

الفهرس:

1	مقدمة عامة:	ص 1
1	- أهمية موضوع مقومات التراث العمراني والتنمية المحلية بمدينتي فاس ومكناس القديمتين.....	2
2	- دوافع اختيار موضوع البحث.....	2
3	- تقديم مجال مدينتي فاس ومكناس القديمتين.....	3
4	- إشكالية وفرضيات البحث	5
5	- أهداف البحث	7
6	- مناهج البحث: منهجيته وأدواته وتقنياته.....	8
7	- المفاهيم العامة المؤطرة للبحث.....	11
7 - 1	- مفهوم التراث.....	12
7 - 2	- التراث العمراني.....	15
7 - 3	- سياسات التدخل في التراث العمراني.....	16
8	- الأقسام الكبرى للبحث	22
9	- صعوبات البحث.....	23
	الباب الأول: الإطار المؤسسي والقانوني لحماية التراث العمراني، والإطار الجغرافي لمدينتي فاس ومكناس القديمتين، وعوامل تدهور تراثهما العمراني.....	24
	الفصل الأول: القوانين والمؤسسات الدولية والوطنية المعنية بالتراث العمراني.....	26
	مقدمة الفصل الأول.....	27
1	- القوانين والمؤسسات الدولية لحماية التراث العمراني	27
1 - 1	- الإطار القانوني والتشريعي لحماية التراث على المستوى الدولي	28
1 - 2	- المنظمات الدولية الخاصة بحماية التراث	34
1 - 3	- المنظمات الخاصة بحماية التراث بالعالم العربي والإسلامي	40
2	- تشريعات حماية التراث العمراني على المستوى الوطني.....	44
2 - 1	- القوانين التشريعية لحماية التراث بالمغرب.....	44
2 - 2	- الفاعلون المتدخلون في التراث العمراني على المستوى الوطني.....	63

71.....	خاتمة الفصل الأول.....
72.....	الفصل الثاني: الخصائص الطبيعية والبشرية للمدينتين القديمتين بفاس ومكناس، وعوامل تدهورهما.....
73.....	مقدمة الفصل الثاني.....
73.....	1- الإطار الجغرافي للنسيج العمراني القديم بكل من فاس ومكناس.....
73.....	1 - 1 - الإطار الطبيعي للنسيج العمراني القديم بمدينتي فاس ومكناس.....
73.....	1-1- 1 - الخصائص الطبيعية لمدينة فاس.....
75.....	1-1- 2 - الخصائص الطبيعية لمدينة مكناس.....
77.....	1-2- الخصائص البشرية لمدينتي فاس ومكناس.....
77.....	1-2-1- الإطار البشري لمدينة فاس.....
83.....	1-2-2- الإطار البشري لمدينة مكناس.....
90.....	2 - عوامل تدهور النسيجين القديمين بمدينتي فاس ومكناس.....
90.....	2 - 1 - العوامل الطبيعية.....
90.....	2-1- 1 - العوامل المناخية.....
91.....	2 - 1 - 2 - العوامل البيولوجية.....
92.....	2-1-3- تأثير الزلزال والحركات الأرضية.....
93.....	2 - 2 - انعكاسات ضعف البنيات التحتية بالأنسجة القديمة سبب مباشر في تدهورها.....
93.....	2-2-1- شبكة التطهير.....
93.....	2-2-2 - تقادم شبكة الماء الشروب.....
94.....	2-3- دور العوامل البشرية في تدهور النسيج القديم بمدينتي فاس ومكناس.....
94.....	2 - 3 - 1 - الإستغلال المكثف وارتفاع الكثافة السكانية بفعل الهجرة والتزايد الطبيعي.....
95.....	2 - 3 - 2 - المستوى السوسيو - اقتصادي لأرباب الأسر بمدينتي فاس ومكناس القديمتين.....
98.....	2 - 3 - 3 - الوضعية في السكن.....
99.....	2 - 3 - 4 - العوامل المرتبطة بعمليات الإصلاح والترميم العشوائي من طرف السكان.....
100.....	2-3-5- الآثار السلبية للصناعة التقليدية على الإطار المبنى بالنسيج القديم لفاس ومكناس.....

102.....	خاتمة الفصل الثاني.....
103.....	خاتمة الباب الأول.....
104.....	الباب الثاني: مدينتا فاس ومكناس القديمتين: مؤهلات تراثية عمرانية غنية ومتنوعة.....
105.....	مقدمة الباب الثاني.....
106.....	الفصل الثالث: المكونات التراثية العمرانية الأساسية لمدينة فاس.....
107.....	مقدمة الفصل الثالث.....
107.....	1 - التراث العمراني العسكري بالمدينة القديمة لفاس.....
107.....	1 - 1 - الأسوار التاريخية معمار عسكري متميز.....
111.....	1 - 2 - الأبراج مراكز دفاعية مهمة في المعمار العسكري.....
113.....	1 - 3 - الأبواب متعددة تتميز بزخرفتها وروعة هندستها.....
116.....	2- التراث العمراني الديني والثقافي بالمدينة القديمة لفاس، تراث يعكس خصائص المدينة الإسلامية.....
118.....	2 - 1 - تعدد المدارس وتنوع وظائفها بالمدينة القديمة لفاس.....
121.....	2 - 2 - الزوايا والأضرحة بالمدينة القديمة محج للوافدين من مختلف جهات المملكة وخارجها.....
126.....	2- 3 - مساجد متعددة يطالها التدهور والإهمال.....
130.....	3 - التراث العمراني الاقتصادي والاجتماعي بالمدينة القديمة لفاس.....
130.....	3 - 1 - تعدد الفنادق بالمدينة القديمة لفاس وتنوع اختصاصاتها.....
130.....	3-1-1- الفنادق بالمدينة القديمة لفاس.....
133.....	3-1-2- حالة ووضعية الفنادق بالمدينة القديمة لفاس.....
135.....	3 - 2 - سقايات متعددة تعكس غنى موضع المدينة القديمة بالعيون.....
137.....	3 - 3 - الحمامات التقليدية: طابع معماري فريد ومتميز.....
139.....	3 - 4 - المدابغ مورد اقتصادي وسياحي مهم بمدينة فاس.....
142.....	3 - 5 - أسواق متخصصة بالمدينة القديمة لفاس وذات رواج اقتصادي مهم.....
144.....	3 - 6 - المتاحف.....
145.....	4- المباني السكنية المهددة بالانهيار بالنسيج القديم لمدينة لفاس.....

146.....	1-4 - التوزيع المجالي للمباني المهددة بالانهيار بالمدينة القديمة لفاس
147.....	1-4 - 1 - درجة خطورة المباني: مؤشر رئيسي في تحديد حجم التدهور
149.....	1-4 - 2 - الحالة الفيزيائية للمباني السكنية
149.....	1-4 - 2 - 1 - الحالة الخارجية للمباني السكنية
150.....	1-4 - 2 - 2 - الحالة الداخلية للبنىات السكنية
152.....	خاتمة الفصل الثالث
153.....	الفصل الرابع: المكونات التراثية العمرانية لمدينة مكناس
154.....	مقدمة الفصل الرابع
154.....	1 - التراث العمراني العسكري بالمدينة القديمة مكناس
154.....	1 - 1 - الأسوار معمار عسكري ذات طابع فني وجمالي بامتياز
159.....	1 - 2 - الأبراج حصون عسكرية متميزة
162.....	1 - 3 - أبواب النسيج العمراني القديم بمدينة مكناس
167.....	1 - 4 - سجن قارا
168.....	2 - التراث العمراني الديني بمدينة مكناس القديمة
168.....	2 - 1 - المساجد تراث ديني ومؤسسات ثقافية وتربوية
173.....	2-2 - الزوايا والأضرحة بمكناس تعاني من التدهور والإهمال
173.....	2 - 2 - 1 - الزوايا مؤسسات دينية عمومية
175.....	2-2 - 2 - الأضرحة
180.....	2 - 3 - المدارس القديمة بمكناس
183.....	2 - 4 - الكتاتيب القرآنية
184.....	3- التراث العمراني الاقتصادي والاجتماعي
184.....	3-1 - الأسواق ذات أنشطة تجارية وحرفية متنوعة
185.....	3-2 - العمارة الاقتصادية والنفعية
187.....	3-3 - الفنادق التقليدية
190.....	3-4 - الحمامات
191.....	3-5 - السقايات

193.....	3-7- المتاحف بمكناس القديمة.....
195.....	4- المباني السكنية المهددة بالانقراض بالمدينة القديمة لمدينة مكناس.....
198.....	خاتمة الفصل الرابع.....
199.....	خاتمة الباب الثاني.....
200.....	الباب الثالث: مشاريع رد الاعتبار وتثمين المعالم التاريخية: أي تنمية للمدينتين القديمتين فاس ومكناس.....
201.....	مقدمة الباب الثالث.....
202.....	الفصل الخامس: مشاريع وبرامج متعددة للحفاظ على التراث العمراني بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس.....
203.....	مقدمة الفصل الخامس.....
203.....	1- مشاريع رد الاعتبار بمدينة فاس.....
203.....	1-1 - وثائق ووثائق التخطيط الحضري واستراتيجية الإنقاذ.....
204.....	1-1-1 - التصميم المدير للتهيئة الحضرية.....
205.....	1-1-2 - تصميم التهيئة، مساهمة في إنقاذ وإعادة هيكلة المدينة.....
206.....	1-2- وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس (ADER) وأهم محطات مشاريع الإنقاذ.....
206.....	1-2-1 - مرحلة ما بين 1991-2011، مرحلة التخفيض من الكثافة وإيقاف النزيف.....
220.....	1-2-2 - برامج ومشاريع التدخل 2013-2017 بالنسيج العمراني القديم بمدينة فاس.....
223.....	1-2-3 - برامج ومشاريع التدخل 2018-2022 بالنسيج العمراني القديم بمدينة فاس.....
229.....	2 - برامج ومشاريع رد الاعتبار للنسيج العمراني القديم لمدينة مكناس.....
229.....	2-1 - التدخل في النسيج العمراني القديم لمدينة مكناس من خلال المخططات الجهوية وتصاميم التهيئة.....
229.....	2-1-1 - المخطط التوجيهي لسنة 1979.....
231.....	2-1-2 - المخطط التوجيهي لسنة 1994.....
231.....	2-1-3 - المخطط التوجيهي لسنة 2004.....
232.....	2-1-4 - تصميم التهيئة لسنة 2006.....
232.....	2-1-5 - تصميم التهيئة 2015 للمدينة القديمة لمكناس.....

234.....	2-2 - مشاريع رد الاعتبار للنسيج العمراني القديم بمدينة مكناس
234.....	2-2 - 1 - التأهيل العمراني لمحور البرادعيين - باب عيسي (2007)
235.....	2-2 - 2 - تجديد القطب التاريخي لمدينة مكناس
236.....	2-2 - 3 - مشاريع الترميم بالمدينة القديمة لمكناس
242.....	2-3 - برامج ومشاريع تنمين المدينة القديمة لمكناس 2019 - 2023
244.....	2-4 - برنامج معالجة السكن المهدد بالانهيار
247.....	خاتمة الفصل الخامس
248.....	الفصل السادس: توظيف المعالم التاريخية في التنمية المحلية بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس
249.....	مقدمة
249.....	2- إعادة توظيف المآثر التاريخية بمدينتي فاس ومكناس القديمتين
249.....	1-1 - القوانين والمواثيق المؤطرة لإعادة التوظيف
251.....	1-2 - أشكال إعادة توظيف مكونات التراث العمراني
252.....	1-3 - نماذج من إعادة توظيف المآثر التاريخية بمدينة فاس القديمة
252.....	1-3-1 - متحف البطحاء 1915
254.....	1-3-2 - فندق النجارين
255.....	1-3-3 - متحف الأسلحة بالبرج الشمالي
256.....	1-4 - نماذج من إعادة توظيف المآثر التاريخية بمدينة مكناس
256.....	1-4-1 - متحف برج بلقاري
257.....	1-4-2 - متحف دار الجامعي
259.....	1-5 - دور الضيافة وسيلة أخرى للحفاظ على التراث العمراني وتحقيق التنمية السياحية
259.....	1-5-1 - دور الضيافة بالمدينة القديمة لفاس
261.....	1-5-2 - دور الضيافة بمدينة مكناس والقصبة الإسماعيلية
263.....	2 - تقييم عمليات التدخل ورد الاعتبار وإعادة التوظيف بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس
263.....	2-1 - تمثيلات الساكنة لإعادة توظيف المباني التاريخية بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس
265.....	2-2 - توظيف المباني التراثية في التنمية المحلية

265.....	2-3- الأنشطة الممارسة من طرف السياح خلال زيارتهم للمدينة الأصلية.....
265.....	2-3- 1- تنوع البرنامج السياحي لزوار المدينتين القديمتين فاس ومكناس.....
266.....	2-3-2- موقف ورغبة زوار المدينتين القديمتين فاس ومكناس من تكرار الزيارة.....
267.....	2-4- الآثار الإيجابية لعمليات الترميم على المستوى ولاقتصادي.....
268.....	2-7- تمثيلات السكان بالنسبة للآثار الاجتماعية لمشاريع رد الاعتبار بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس.....
269.....	2-8- تقييم الساكنة بالمدينتين القديمتين بفاس ومكناس للعمليات التقنية التي شهدتها المباني المهددة بالانهيار.....
270.....	3- التراث العمراني والتنمية السياحية بالمدينتين القديمتين فاس ومكناس.....
271.....	3- 1- أهمية القطاع السياحي بمدينتي فاس ومكناس ورهانات التنمية.....
272.....	3- 2- دور المشاريع السياحية في رد الاعتبار للمدينتين القديمتين فاس ومكناس.....
272.....	3- 2- 1- دور الضيافة ودورها في تحقيق التنمية السياحية.....
276.....	3- 2- 2- مشروع المسارات السياحية.....
278.....	4- تثمين الموارد التراثية آلية لاستدامة التنمية المحلية بالمدن القديمة، حالة مدينتا فاس ومكناس.....
278.....	4- 1- دور الموارد التراثية بمدينتي فاس ومكناس القديمتين في تحقيق التنمية المحلية.....
283.....	4-3- إستراتيجية تحقيق التنمية المحلية بمدينتي فاس ومكناس القديمتين.....
287.....	خاتمة الفصل السادس.....
288.....	خاتمة القسم الثالث.....
289.....	خاتمة عامة.....
295.....	لائحة البيبليوغرافيا.....
311.....	لائحة الجداول.....
312.....	لائحة الأشكال.....
314.....	لائحة الخرائط.....
315.....	لائحة الصور.....
318.....	الفهرس.....

الملحق

الاستمارات

تاريخ الاستجواب:

الرقم الترتيبي:

1. استثمار خاصة بالأسرة

خاص برب الأسرة:

- صفته داخل الأسرة: أب ☐ أم ☐ آخر ☐
- مكان ازدياده ☐ داخل المدينة القديمة ☐ خارج المدينة القديمة ☐
- مدينة أخرى ☐ وسط قروي ☐
- الأصل الجغرافي: الريف ومقدمة جبال الريف ☐ الأطلس المتوسط ☐ سائيس ☐
- الجنوب ☐ أخرى ☐
- تاريخ استقراره بالمدينة القديمة ☐
- الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐
- السن: ☐
- المستوى الدراسي: لا شيء ☐ ابتدائي ☐ إعدادي ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐
- المهنة: بدون ☐ موظف ☐ تاجر ☐ مياوم ☐ أخرى ☐
- عدد أفراد الأسرة: ☐
- عدد أفراد الأسرة: النشيطون ☐ عدد المتدربين ☐
- الدخل الشهري: أقل من 1000 درهم ☐ ما بين 1000 و 2000 درهم ☐
- ما بين 2000 و 3000 درهم ☐ أكثر من 4000 درهم ☐
- ما هو الحيز الذي تقطنه الأسرة من البناية: بناية كاملة ☐ طابق ☐ أكثر من طابق ☐
- جزء من الطابق ☐
- عدد الغرف؟ غرفة ☐ غرفتين ☐ ثلاث غرف ☐ أكثر ☐
- الحالة الفيزيائية؟ جيدة ☐ متوسطة ☐ متدهورة ☐ مهددة بالانهيار ☐ خربة ☐
- حالة التدهور: جزئي ☐ كلي ☐
- الوضعية العقارية: ملك خاص ☐ وقف ☐ ملك عمومي ☐ أخرى ☐
- استغلال الطابق الأرضي: سكن ☐ تجارة ☐ مستودع ☐
- صناعة تقليدية ☐ حالات أخرى ☐
- مساحة البناية: أقل من 60 متر ☐ ما بين 60 و 80 متر ☐ أكثر من 80 متر ☐

- هل توجد الأعمدة والحوامل بالبنائية؟ نعم ☐ لا ☐
- طبيعة السقف؟ الإسمنت المسلح ☐ الخشب ☐
- كيف هي نظرتك لصلابة المسكن؟ صلب ☐ متوسط ☐ هش ☐ متدهور ☐
- الحالة الخارجية للبنائية: جيدة ☐ متوسطة ☐ متدهورة ☐
- هل تتواجد شقوق بالواجهة؟ نعم ☐ لا ☐
- الحالة الداخلية للمسكن؟ وجود شقوق ☐ وجود رطوبة ☐
- هل تتواجد رطوبة؟ نعم ☐ لا ☐
- موضعها؟ الجدران ☐ الحوامل ☐ الأعمدة ☐ السقف ☐
- هل لديك معلومات حول عملية الإنقاذ؟ نعم ☐ لا ☐
- هل قمت بإصلاحات داخل المسكن نعم ☐ لا ☐
- ما هي؟

- هل قمت بتغييرات؟ نعم ☐ لا ☐
- ما هي مواد البناء المستعملة في الإصلاحات؟ الحجر ☐ الطوبية ☐ الرمل ☐ الجير ☐
- الاسمنت ☐ الصبغة الحديثة ☐ الزليج ☐ الجبس ☐ الخشب ☐ ياجور الرومي ☐
- كيفية القيام بالإصلاح لمواجهة الرطوبة؟
- لمواجهة التشققات؟
- السبب في ذلك؟

3- تدخلات من طرف إدارات ومؤسسات:

- ما هي نوعية هذه المؤسسات: جماعة ☐ وكالة التنمية ورد الاعتبار ☐
- مندوبية الأوقاف والشؤون الإسلامية ☐ جمعيات مدنية ☐ حالات أخرى ☐
- طبيعة التدخل: تدعيم بالخشب ☐ ترميم الجدران وواجهة المنزل ☐ ترميم السقوف ☐
- إصلاح شبكة الصرف الصحي ☐ القضاء على تسرب الماء ☐ آخر ☐
- مستوى التدخل في المبنى: تدخل بدون مقابل ☐ تدخل نسبة 50% ☐ تدخل نسبة 100% ☐
- حالات أخرى ☐
- وثيرة الأشغال: منتهية ☐ في طور الانجاز ☐ متعثرة ☐ متوقفة ☐
- هل تفضل البقاء بهذا المسكن بعد إصلاحه: نعم ☐ لا ☐
- هل استفدتم من مساعدة مادية من طرف الدولة؟ نعم ☐ لا ☐
- هل أنت راض عن المسكن الذي تقطنه؟ نعم ☐ لا ☐ لماذا؟
- ما هي المشاكل التي تقلقك في منزلك؟

4- نظرة السكان للتدخلات:

- هل تريد امتلاك السكنى الحالية ☐ نعم ☐ لا ☐
- إن لم تكن هناك رغبة في البقاء في السكنى الحالية، ما هي نوع الاستفادة التي تفضل؟
☐ قطعة أرضية ☐ شقة جاهزة ☐ الإصلاح ☐
- في حالة تدعيم البناية: التدخل بطريقة شخصية ☐ تدخل الدولة ☐
- ما هي نظرتك لإصلاحات وتدخل الدولة؟ جيدة ☐ لا بأس بها ☐ ضعيفة ☐
- كيف تفضل هذه الإصلاحات؟

4- طبيعة التدخلات:

- ما مدى معرفتك بترائك العمراني المتواجد بمدينتك؟ جيدة ☐ متوسطة ☐ ضعيفة ☐
- دور الإدارة في رد الاعتبار للمدينة: إيجابي ☐ سلبي ☐
- طبيعة الأنشطة المقدمة في هذا الإطار؟ جيدة ☐ متوسطة ☐ رديئة ☐
- ما هو دور عملية الإنقاذ في إطار التحولات التي يمكن أن تعرفها المدينة القديمة مستقبلاً؟
معمارية ☐ اقتصادية ☐ اجتماعية ☐ بنية تحتية ☐ آخر ☐
- ما هو رأيك في مشاريع الترميم التي عرفتتها المدينة مؤخراً؟
جيدة جداً ☐ جيدة ☐ لا بأس بها ☐ مقبول ☐ غير كاف ☐ ضعيفة ☐
- هل هناك آثار اقتصادية لعملية رد الاعتبار؟ نعم ☐ لا ☐
- ما مدى رضاك حول مشاريع إعادة التوظيف؟ موافق ☐ غير موافق ☐
- ما هو رأيك في مشاريع ترميم المآثر التاريخية التي عرفتتها المدينة مؤخراً؟
ما مدى تقبلك لفكرة دور الضيافة؟ جيدة ☐ متوسطة ☐ سيئة ☐
- هل تعرف جمعيات أو ودايات بالمدينة القديمة تهتم بالتراث والتنمية ما اسمها ودورها وما رأيك فيها؟
جيدة جداً ☐ جيدة ☐ لا بأس بها ☐ مقبول ☐ غير كاف ☐ ضعيفة ☐

5- استثمار خاصة بالزائرين

- هل هذه أول زيارة لك للمدينة القديمة؟ نعم ☐ لا ☐
- كيف تم تنظيم زيارتك للمدينة القديمة، هل تم بشكل؟
فردى ☐ مع العائلة ☐ مع الأصدقاء ☐ عن طريق وكالة الأسفار ☐
- ما هو هدف من زيارتك للمدينة؟ اكتشاف المنطقة ☐ ديني ☐ ثقافي ☐ للعمل ☐
- زيارة الأقارب والأصدقاء ☐ الراحة والاستجمام ☐ البحث والدراسة ☐ هدف آخر ☐
- ما مدة إقامتك المقررة في المدينة القديمة؟
يوم ☐ يومان ☐ 1-5 أيام ☐ أسبوع ☐ أكثر من أسبوع ☐
- ما هي كلفة زيارتك للمدينة بالدرهم؟

- أين تقضي ليلتك؟ فندق ☐ دور الضيافة ☐ منزل للأقارب أو الأصدقاء ☐ أخرى ☐
- كم مرة زرت فيها المدينة القديمة؟ المرة الأولى ☐ المرة الثانية ☐ أكثر من مرة ☐
- ما الذي شجعك على المجيء إلى المدينة القديمة؟ الدعاية ووسائل الإعلام المختلفة ☐ صديق ☐ وجود الأقارب ☐ زيارات سابقة ☐
- ما الذي أعجبك في المدينة القديمة؟ الموقع ☐ المناخ والبيئة ☐ المعالم السياحية ☐ أخرى ☐
- من وجهة نظرك، ما هو أفضل مكان تحب أن تزوره في المدينة القديمة؟
- زيارة المدارس ☐ زيارة المتاحف ☐ زيارة الأضرحة ☐ أخرى ☐
- هل هناك مكان في المدينة القديمة لا يعجبك؟ نعم ☐ لا ☐ إلى حد ما ☐
- أذكر أمثلة:

- ما هو رأيك في السياحة بالمدينة القديمة؟ جيدة ☐ لا بأس بها ☐ ضعيفة ☐
- ما هي أنواع السياحة التي سمعت عنها في المدينة القديمة هل هي؟
- سياحة بيئية ☐ دينية ☐ ثقافية ☐ كل ما سبق ☐
- لا شيء مما سبق ☐ سياحة استجمامية ☐ سياحة أثرية ☐
- كيف يمكن تحسين الخدمة السياحية في المدينة القديمة من وجهة نظرك؟
- مقترحات أخرى يمكن إضافتها:
- أتفكر في زيارة المدينة مرة أخرى؟ نعم ☐ لا ☐
- ماذا برأيك ما ينقص المدينة القديمة؟
- من وجهة نظرك هل تعتقد أن السياحة مهمة في تحقيق التنمية المحلية بالمدينة؟
- موافق ☐ غير موافق ☐ محايد ☐

6- استثمار مع الموظفين بمندوبية السياحة

- ما هي مواصفات المنتج السياحي بالمدينة؟
- ماهي مكونات هذا المنتج؟
- من هم الفاعلون المحليون في ميدان السياحة بالمدينة؟
- ماهي أدوارهم في الميدان السياحي كيف ينسقون وكيف يشتغلون؟
- ما هو دور المندوبية السياحية في التعريف بالسياحة بالمدينة؟
- ما هي التوجهات للنهوض بالقطاع السياحي بالمدينة؟
- هل البنية الإيوائية بالمدينة تستوعب السياح خلال فترات الإنتعاش؟ نعم ☐ لا ☐
- ما هي عدد الليالي التي يقضيها السائح في الفندق؟
- ماهي الفنادق التي يقصدها هل 5 نجوم أم أخرى؟

- ماهي الفترات التي تعرف إقبال من طرف السائح؟
- هل الثمن مشجع للسواح المغاربة؟